الإسلاموطوبيا

عمرو عبدالعزيز

مقدمة

لم ينته عام 2013 إلا وقد رشقت فصائل المقاومة السورية بعضها البعض جمار جهنم!

إن العوامل التي أدت لهذا المشهد المخيف أكثر من أن تحصر. وقد تحولت الساحة بها ، سريعا، إلى منطقة حرب ذات فكر إبادي يسعى لقتل (أكبر عدد ممكن من الطرف الآخر) بلا أي محاولة للإبقاء على أي طاقة بشرية مخالفة في ساحة مهلهلة أصلا! تدخلات غربية وشرقية تنفخ في النار وتعبث عن طريق شائعات سخيفة لا تلبث أن تغرق فيها النفوس، ثم عن طريق مبدأ التأثير والتأثر تسري النار في الجهة الأخرى لتتجه الأوضاع كلها إلى الخراب المنتظر.

حصر هذه العوامل يحتاج لعمل ضخم وجهد استقصائي كبير من أشخاص عايشوا تفاعلات كل الأطراف منذ البداية ثم ينقلون الأحداث كلها بحيادية.. وهذا –بصراحة- وهم لن يحدث أبدا! القصة الحقيقية الكاملة لما جرى في هذه الساحة يستحيل أن يتم التعرف عليها حتى على أكثر أطرافها المشاركين والفاعلين! لأن انقطاع المواصلات والاتصالات والاعتماد تماما على خبر الواحد – وما أكذب آحاد هذه الساحات- أو تواترات المتحزبين تحول الكذبة، في لمح البصر، إلى حقيقة تستدعي فعلا عنيفا يؤدي لنقل الحدث بوصفه اعتداء من الجبهة الأخرى التي تتحول فيها الكذبة المقابلة لحقيقة تستوجب ردا قاصما!

وما أفجر البشر في الخصومات!

لكن، مع تسليمي بذلك، فإن هناك عاملا لا يمكن أن يتم تجاهله أثر بشدة في تلك الساحة، ألا وهو عامل التصور الذهني الطوباوي للمجاهدين والمقاتلين بوصفهم أشباه ملائكة، يتنزه آحادهم وجموعهم عن أي غرض أو مطامع أو أخلاق دنيوية. تلك النظرة الطوباوية التي ساهمت بشكل صريح في إفساد هذه الساحة وتخريبها، كنت قد ناقشتها قبلا في مقال (جناية الطوبيا) المنشور بكتاب النثار، موضحا أن حالة طوارئ القتال، وخاصة هذا النوع الدفاعي، قد ألزمت الأئمة بفك قيود كثيرة عن مثل هذه النازلة وعن هويات وأخلاقيات بل وحتى عقائد المدافعين، مستدلا على ذلك بأقوال لهم.. ولم يكن هذا هو المقال الأول الذي أتحدث فيه عن فكرة الطوبيا وخطورتها، بل قبل عام من هذا المقال، وتحديدا في 2012 أثناء رئاسة الدكتور محمد مرسي، كنت قد كتبت شيئا مماثلا، فيه رد مبطن على إخوة استنكروا أن أنصر جماعة أخالفها في أصول –لا فروع- مثل الإخوان المسلمين وأدعم سعيهم للقيادة على اعتبار أن هذه الأصول توجب حالة العداء المطلق والقطيعة الدائمة، وقد أوضحت لهم أنني من أهل البحث عن (نموذج سياسي مثالي) ومن المطالبين بالسعي طوال الحياة لإيجاده، لكنني كذلك لست من أهل الرفض المطلق لكل واقع والقطيعة والعداء معه من أجل هذا النموذج المنشود. هذا الفارق الدقيق الذي يستعصي على البعض إدراكه هو حد السيف بين الطوبيا والرؤية الواقعية غير البراجماتية في نفس الوقت، وأعترف أن فهم هذا –وتطبيقه- صعب ومشكل ومربك في أوقات كثيرة ومؤرق للنفس في أحيانٍ أكثر!

هذه الطوبيا المنتشرة مقابل البراجماتية المحضة التي رفع لواءها بعض خريجي المدرسة الإخوانية المتلبرلة، فكريا أو تنظيميا، إلى جوار آخرين من اتجاهات مختلفة، رأيت أنه لابد من تحديد مظاهرها وأشكالها والرد عليها، خاصة أني شهدت في العام 2015 استخداما ظاهرا لها من قبل الأعداء والأنظمة العالمية القائمة بل وحتى بعض الحركات المقاومة، توظيفا للحشد ضد تنظيم الدولة؛ بل وقد كان –للمفاجأة- التنظيم نفسه على رأس الناشرين لتلك الرؤية الطوباوية التي تؤكد أن هذه نهاية التاريخ ومعركة الإسلام الكبرى

والملحمة الختامية بين المسلمين والروم والمذكورة في الأحاديث النبوية! لقد استخدم الجميع أنماطا مختلفة من هذه الطوبيا الإسلامية -والتي أطلقت عليها (الإسلاموطوبيا) تمييزا عن كل طوبيا أخرى- للحشد والتجنيد، من الطرفين. ففي الجانب السعودي تمت -بصورة مثيرة للهزل أحيانا- مقارنة أفعال بعض منتسبي التنظيم بأفعال الصحابة، مع نشر أي خطأ كبر أم صغر من أفراده، مرفقا بتعليقات من عينة: هل هكذا يكون المجاهدون؟ كأنما هناك مظهر ملائكي ثابت لمن يقاتل في سبيل الله، ولم يقتصر هذا أبدا على وسائل الإعلام الخليجية والسعودية، بل كان رأس هؤلاء أوباما وجون كيري، اللذان لم يفتأ أي منهما يؤكد أن أفعال داعش خارجة عن الإسلام وليست بأفعال مسلمين!

لقد استخدموا الإسلاموطوبيا كثيرا في هذه الحرب أثناء مرحلة الإعداد المعنوي والنفسي الأمريكية التقليدية وخاصة الموجهة للمسلمين؛ كي يتقبلوا بدء أمريكا إبادة كل مناطق سيطرة التنظيم وتحويلها لأيدي حلفائها من الشيعة وملاحد الكرد، وكم سمعنا حينها أن هؤلاء وأولئك سواء، وخرج الكاتب العراقي أحمد خيري العمري المتخصص في الإسلاميات يعلن سعادته وترحيبه ببدء القصف الأمريكي على بلده ما دام سينهي وجود داعش قائلا ما معناه: عندما أكون مريضا بالسرطان فلا تهمني هوية الجراح الذي سيزيله! وإن كان أمريكيا!

وفي الجهة الأخرى استخدمت الإسلاموطوبيا لتشويه كل مقاومة سورية لا تتشارك في نفس الرؤى السياسية، وراحت تلجأ لكل الحيل والأفكار والتأويلات التي تجعل هذه المقاومة، مرتدة يجب البدء بقتالها قبل أي أحد. ورأينا في كثير من تلك التأويلات والحيل استخدام التصور الطوبوي عند السلفية الجهادية –القائد الفكري لمعركة الإسلام الحالية- لمعتقد وهيئة (المجاهد)! هكذا ازداد امتحان الناس في معتقداتهم والتأويل المجنون لأي كلام برئ، لإعلان وصم (هذا فاسد المعتقد) وبالتالي وضعه في خانة الأعداء التي تتحول بسرعة البرق إلى خانة المرتدين!

هكذا صارت الساحة بين (خوارج كلاب أهل النار أمرنا الرسول أن نقتلهم قتل عاد، وقتالهم أولى من قتال النصيرية واليهود) وبين (مرتدون طواغيت أكبر من طواغيت الكفر الخالص ويجب البدء بهم، وقتالهم أولى من قتال النصيرية واليهود)! لاحظ أن الصيغة من الجانبين اعتمدت مقدمات لا يمكن حلها أبدا، وفيها قطيعة نهائية وترتيب صادم مجنون للأعداء في ساحة قتال مكاسبها ضد العدو الأكبر هشة جدا. ثم لاحظ كذلك أن كليهما يستبطن تصورا طوباويا لشكل (القتال والجهاد) ضد الأعداء وهوية المشاركين فيه وسلوكهم ومعتقداتهم الكبرى والصغرى وبالتالي وجوب (إبادة) كافة الأشكال الشاذة عن هذا التصور، لأنها ببساطة (ليست أشكال مجاهدين)!

لقد قرر الجميع إبادة بعضه البعض بسبب عوامل كثيرة كما ذكرنا، لكن الإسلاموطوبيا كانت وما زالت ركنا رئيسيا وعاملا محفزا بل ومنشئا لهذه الحالة الكارثية. ولن أستفيض طبعا في سخافات الاتهام بالعمالة لتنظيم الدولة -لأن (تصرفاته ليست تصرفات مجاهدين مسلمين)! وهو طرح لم يستنكف عن نشره رجال أصحاب قامات علمية كبيرة مثل الدكتور الريسوني وغيره. فما بالكم بالأصاغر؟!

لكل هذه الآثار والأحداث كانت الفكرة تدور دائما في عقلي، ثم بعدما أنهيت بحثي الذي استمر خلال عام 2014 بكتاب (المعوِّقين) ظلت فكرة التوسع في توضيح ما ذكرته فيه من أن المخذلين يعمدون في أحيان كثيرة إلى تقديم تصور تأليهي للأعداء ولإمكاناتهم وتصور طوبوي ملائكي إما لهيئة المجاهدين الماضين أو النموذج المقبول للجهاد والقتال –رغبة منهم في صرف الناس عن المقاومة المعاصرة لأنها لا تحقق هذه الهيئة الطوباوية وحتى إن حققته فلن تتحمل ضربات الإله الغربي الأمريكي أو الشرقي

الروسي! ظلت هذه الفكرة تلح علي أن أضيفها للكتاب.. ثم جاء 2015 كما ذكرت قبلا وارتفع معدل استخدام الإسلاموطوبيا بشكل جنوني فبدأت في عرض الفكرة بصورة تدريجية على صفحتي تمهيدا لجمع شتات الأفكار في كتاب يظهر بهذا العنوان في وقت مناسب، مع زيادة معدل القراءة في علم الاجتماع والتأريخ ومفهوم الطوبيا والأنظمة الشمولية لبناء قاعدة معرفية تمكنني من تحليل الأسباب والمظاهر والرد عليها.

وعندما شعرت أن الأفكار قد تم عرضها مقاليا بصورة كافية، وأن الفكرة قد وصل الإحساس بها، قعدت مجلس الكتابة، وقررت تقديم المحتوى الجديد ممزوجا بالقديم في ملاحق لكل فصل فيها المقالات والمنشورات التي تتحدث في إطاره والتي نشرت متتالية على مدار الأعوام؛ أولا لأنها احتوت على الكثير من الأفكار الإضافية، وثانيا لأن فيها روح التعليق على الأحداث الفورية بالمقالات الثائرة وهي الروح التي يصعب جدا بل يستحيل أن أستحضرها في الصياغة النهائية للبحوث والكتب بعد مرور زمن طويل عليها.

فأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذا الكتاب، الذي لن يعدم ذامّا ولن يخلوا من نقص، لكن هكذا كتابات البشر، والمهم عندي هو المعنى لا المبنى، وأن يدرك القارئ مقصودي النهائي ويتأمل اقتنع أم لا فيما ذكرته. سائلا الإخلاص من الله والقبول وحسن الختام.

ولله العلو والجلال،

مدخل إلى الإسلاموطوبيا

في الصفحات القادمة سأقوم بمناقشة مصطلحية ضرورية كمدخل لهذا الكتاب: ما الإسلاموطوبيا؟ ما مقصودي بالأيدولوجيا الكلية والجزئية؟ لأن هذه مفاتيح لفهم فصول الكتاب وستبدو الفصول غامضة دونها.

الأيدولوجيا الكلية والجزئية والإسلاموطوبيا

هناك تفسيران لليوتوبيا وللفكر الطوبوي[1] أما التفسير الأول فهو أن الطوبيا والتفكير الذي يصنعها ويحلم بها أمر مطلوب بل هو محرك التقدم، ويوتوبيا الأمس هي واقع اليوم. يتضح ذلك في مقولة أناتول فرانس: (**لولا يوتوبيات العصور الأخرى لظل الناس يعيشون في الكهوف عرايا بؤساء –لأنها هي التي رسمت خطوط المدينة الأولى! ومن الأحلام السخية تأتي الوقائع النافعة؛ فهي مبدأ كل تقدم وهي محاولة لبلوغ مستقبل أفضل**)[2] وحتى مانهايم صاحب الرؤية السوسولوجية المستعلية والمفارقة ينقل مؤيدا قول لامارتان (**إن اليوتوبيات كثيرا ما تكون حقائق لم تنضج بعد**)[3]. ومقارب لذلك قول هربرت مركوزه: (**اليوتوبيا تعبير عن المشروع الإنساني الذي يعاني الكبت والقسر الاجتماعي**)[4]. لهذا، فإن الطوبيا بهذا التفسير هي تفكير أو نظام مرغوب فيه جدا، إنه مشروع مستقبلي ناجح ومثالي وممكن الوقوع لحتمية التقدم الإنساني.

وحتمية التقدم والتطور هذه هي الفكرة المحركة لأكثر الأيدولوجيات الغربية حاليا، بينما الفكرة الأنثروبولوجية التي يقدمها كلود ليفي ستراوس عن أن كافة المجتمعات تتطور لكن بمقاييس مختلفة والغلط آتٍ من اعتبار المقياس الغربي للتطور هو الصحيح فقط[5]؛ ليست هي الرائجة في المجال الفكري الغربي العام سواء كان اليساري أو الليبرالي.

هذا التصور للطوباوية كمرحلة جيدة مطلوبة من مراحل التطور الإنساني يفسر رد ماركوزه على ناقديه حين اتهموه بالطوباوية: (**أنا لا أحسب نفسي طوباويًا بما يكفي!! إن علي أن أكون أكثر طوباوية!**)[6].

إذن هذا هو التصور الأول للطوباوية وللطوبيا. تصور مادح لا ذم فيه.

ويمكن تقسيم هذه الطوبيا إلى قسمين تبعا للويس ممفورد: **طوبيا الهروب، وطوبيا إعادة البناء. الأولى تغادر العالم الخارجي تاركة إياه كما هو. والثانية تسعى إلى تغيير الواقع لتمكين الفرد من التعامل معه حسب أهدافه. الأولى تدعو الفرد إلى بناء قلاع في الهواء والثانية تدعوه إلى أن يستشير مهندسا معماريًا!**[7]. ولم أضم القسم الأول (الطوبيا الهروبية) للتصور الثاني من المصطلح لأنها ليست مذمومة وخطيرة بذاتها كما يعتقد القسم الثاني من المفكرين.

---

1) لا أفرق بين اليوتوبيا والطوبيا، خروجا من الخلاف المصطلحي.
2) اليوتوبيا والفلسفة: 117.
3) الأيدولوجيا واليوتوبيا: 256.
4) اليوتوبيا والفلسفة: 16.
5) العرق والتاريخ: 31.
6) النظرية النقدية: 251.
7) اليوتوبيا والفلسفة: 15.

لكن هذا التصور المادح للطوبيا فيه جانب خطير، فالبحث عن (ماهية مجتمعية مثالية) يتضمن إلغاء فكرة وجود نموذج مثالي إلهي سبق حدوثه تاريخيا. إن الإنسان يتطور ويتقدم حتما وبالتالي من غير المعقول أن أخبرك بضرورة العودة للحالة المجتمعية والأخلاقية لأناس عاشوا قبل ألف وخمسمائة عام، مثل النبي وصحابته! من غير المعقول أن أخرجهم عن حيز (الظاهرة التاريخية) معطلا منهج الأرخنة عنهم وعن مجتمعهم فقط ثم أتعامل مع باقي التاريخ بنظرة إنسانوية محضة![1]. بل يجب أن أضع الدين والأخلاق ضمن سياق وقائع التاريخ وأخضعها لنفس العلم والمعيار[2]. مثل هذه المبادئ الكامنة الخطيرة تسببت في وصف رواد المفكرين الغربيين الباحثين عن (النموذج المثالي) للمجتمع والسياسة، بأنهم ملاحدة! لقد فهم الجميع أن القول بأن المجتمع البشري إنما هو ناتج عن عقد لا يعني سوى التصريح بأن لكل مؤسسة اجتماعية (أصل إنساني ومصطنع) بحت. إنه يعني القول بأن المجتمع ليس ناتجا بتأثير مؤسسة إلهية ولا بتأثير نظام طبيعي[3]! يمكنك أن تهلل سعادة بهذا الكلام موافقا إياهم عندما يتحدثون عن الكنيسة والطبقات والتوزيع، لكني أشك أنك ستصنع نفس الأمر عندما تجدهم يتحدثون بنفس المفاهيم تشريحا لمجتمعك ولعصر النبي والصحابة والتابعين! فمثلا، المؤسسة الفقهية (المذاهب الأربعة) ستتحول إلى مجرد (ظاهرة مجتمعية تاريخية) امتدت من الماضي إلى الحاضر مستمدة هيبتها وقدسيتها من خداعك بكونها مرتبطة بمصدر إلهي وأقدر تفسيرا للوحي! والحالة الراشدية السياسية والمجتمعية ستصبح مجرد ظاهرة مجتمعية ماضوية من العبث اعتبارها النموذج الأمثل!

أما التصور الثاني لها فقد يكون تعريف المعجم الفلسفي أكثر ما قرأت توضيحا له: (**الطوبيا هي كل فكرة أو نظرية لا تتصل بالواقع أو لا يمكن تحقيقها أو ما لا يعبر عن الواقع ويكون أشبه بالخيال**)![4] فهنا لا تكون الطوبيا إلا فضيحة مؤدية للغرق في أحلام بناء مجتمع نموذجي بكل الوسائل، من الدعوة المجردة حتى الإرهاب الشمولي! الطوبيا هنا إذن هي الغاية النهائية المستحيلة للأيدولوجيات مهما أنكرت، هي نهاية التاريخ سواء برداء ليبرالي أو يساري أو ديني، لكنها نهاية أرضية دنيوية لا سماوية: حيث الجميع يكون نموذجا للإنسان السوبرمان الأوغسطيني أو النيتشوي[5] أو يبقى الإنسان كما هو لكن تصير بنية المجتمع والسياسة هي المثلى كما عند فوكوياما[6] ليبراليا أو شيوعية نهاية الطبقات وانتصار البروليتاريا ماركسيا. المهم أن هناك تصور لطوبيا مستقبلية لابد من بنائها وهي عند كافة العقلاء مستحيلة لمنافاتها الطابع البشري والواقع الإنساني، إنها نسيج خيالي لا وجود له في عالم الحقيقة؛ والطوبوي هو من يتصف بجموح الخيال والبعد عن الواقع[7]، ولا يلزم في بعض الطوباويات الدينية وجود نموذج إلهي أو تاريخي أمثل أنشئ سلفا ويجب الوصول إليه، كما نرى في يوتوبيا أوغطسين (مدينة الله) السماوية التي تنهي التاريخ بملكوت أرضي غير مسبوق يتجاوز الشرور وخطايا البشر[8].

---

1) مونتسكيو السياسة والتاريخ: 18.

2) السابق: 19.

3) السابق: 21.

4) اليوتوبيا والفلسفة: 15.

5) السابق: 114.

6) نظريات العلاقات الدولية: 94.

7) اليوتوبيا والفلسفة: 15.

8) السابق: 111.

لهذا يمثل هذا الشكل من الطوبيا مشهدا مرعبا عند جورج أورويل، صاحب رواية 1984 الشهيرة، فهي عنده **حلم بمجتمع عادل ينتاب الخيال الإنساني ويعاوده باستمرار على نحو لا يمكن اجتثاثه واستئصاله في مختلف العصور، سواء كان اسمه ملكوت السماء أو المجتمع اللاطبقي أو العصر الذهبي الذي وجد ذات مرة في الزمان السحيق والذي انحرفنا وتنكبنا سبيله!**[1] وبناء على هذا التصور، فالطوبيا (سوداء) مخيفة. إنها طوبيا الوهم والأيدولوجيا التي ستستخدم الإرهاب يوما لا محالة سواء لبناء اليوتوبيا المزعومة أو حينما تقام فعلا على الأرض لتصبح دولة شمولية ستالينية أو نازية! إن هنَّه آرينت تصف هذا الرعب وتؤكد أنه وُجد يوما على الأرض وإن كانت لم تستخدم مصطلح طوبيا مفضلة عليه مصطلح الأيدولوجيا الشمولية، لكن ليس من العسير على القارئ أن يستخلص تماثل المحتوى بين مصطلحها الخاص ومصطلح أورويل السابق، وهي كأورويل، ترى أن السياسة الشمولية الأيدولوجية قد كشفت بعدما حكمت هذه الحركات أنه (**لن يكون ثمة خاتمة لهذا المسار**)[2]، بالتالي فالطوبيا وهم فادح الأثر!

وقد ذكرت هنَّه آرينت تحديدا لأنها المدخل الأنسب لشرح سبب كون الطوبيا بهذا التصور خطيرة أكثر من التصور الأول! ففي كتابها الأشهر (أسس الشمولية) تقول الآتي بصراحة بالغة: **(إن أيا من الأيدولوجيات التي تسعى إلى إسباغ تفسير شامل على أحداث تاريخية من الماضي، وترمي إلى أن تتخطى مسار كافة الأحداث المستقبلية، ليس بمقدورها أن تتحمل انعدام التوقع الذي يلازم عمل البشر الخلاق وملكتهم الدائمة في المضي إلى السبيل غير المتوقع)**[3] فأنت كمسلم صاحب رؤية تفسيرية شاملة للتاريخ وللماضي، دينك داخل بقوة في هذا الأساس! وتفسيرات تاريخية ميتافيزيقية على غرار (غضب الله ورضاه) و(النصر للمؤمنين) وما إلى ذلك، هي من أصلب الأدلة على كون دينك شمولي الطابع بوجهة النظر تلك! أضف إلى ذلك أن الجنة عند المسلمين لا تتعلق بأفعال ذاتية فقط بل بأفعال جماعية وسياسية مؤثرة في العلاقة والتصورات مع الآخرين من الأمم والديانات. إن الجنة هنا هي اليوتوبيا التي تؤدي إليها أيدولوجيا الإسلام الشمولية تبعا لهذا التصور!

وفوق هذا كله نفاجأ أن المسلمين عندهم ثلاثة من اليوتوبيا! يوتوبيا أرضية أولى مهدوية في آخر الزمان تتلوها يوتوبيا أرضية ثانية مسيحانية تبدأ بنزول عيسى (كي يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا) ثم يوتوبيا سماوية سرمدية أخيرة هي الجنة. تريد مزيدا من الصدمات: فمنذ سقطت الخلافة في القرن الماضي أضافت أدبيات الحركة الإسلامية يوتوبيا رابعة أكثر قربا هي (الخلافة العائدة) بالمطلق، دون أن تكون مرتبطة بالمهدي أو بأحداث النهاية (ختم التاريخ)، وهذه الأخيرة هي الوحيدة التي أقصدها في هذا الكتاب بأنها النمط الأشهر من (الإسلاموطوبيا).

لا يعني كلامي هذا أنني أرفض كتاب هنَّه، بل هو من أقوى الكتب وأهمها وعليه اعتماد أساسي في أحد الفصول، لكني فقط أوضح خطورة عدم الالتفات لهذا الجانب وتلك الأسس الخطيرة عندها وعند غيرها من كتاب نقد اليوتوبيا وعرضها باعتبارها خطرا على الإنسانية والبشر. وما يهمني هنا هو أن يصلك ما أريد قوله: هذان التصوران خطيران إن أخذنا بالمنظومة الفكرية الغربية، التصور المادح والتصور الذام!

---

1) السابق: 16.

2) أسس التوتاليتارية: 250.

3) السابق: 239.

وعليه كان من الواجب تبيان مواطن مخالفة تصور الإسلاموطوبيا لهذين التصورين المعروضين.

لكن قبل ذلك لابد من الانتقال لعرض مفهوم آخر واجب معرفته لفهمها، ألا وهو الأيدولوجيا. وسأقوم في هذا الكتاب باستخدام مصطلح أيدولوجيا في صورتين: جزئية وكلية؛ فما المقصود بالأيدولوجيا الكلية والأيدولوجيا الجزئية؟

لإجابة هذا السؤال لابد من إجابة سؤال آخر أولا: ماذا نقصد بالأيدولوجيا؟

إن هذا البحث ليس من مهماته استقصاء تاريخ مصطلح الأيدولوجيا والخلافات الكبرى في تفسيرها، لكن استرشادا بنصائح أساتذة العلوم الإنسانية مثل الدكتور عبدالله العروي[1] ممن يطلبون بإلحاح تقديم الكاتب لرؤيته وأي التعريفات والرؤى يريدها من لفظ الأيدولوجيا قبل الشروع في استخدامه -بسبب دلالته الواسعة والمتناقضة- فإني أقوم ها هنا بتوضيح تصوري لها مقدما لذلك بالتنبيه أنه، كما الطوبيا؛ فإن الأيدولوجيا لها تصوران كبيران متناقضان. تصور يعتبرها شرا وتصور يعتبرها مجرد معادل لفظي لكلمات (رؤية) أو (منهج سياسي) فيه حياد وليس شرا أو خيرا في ذاته.

عند الأكثرين، تكون دلالتها ومفهومها الذي وصلت إليه في القرن العشرين -قرن النسبية والبراجماتية (وهما متلازمتان لا محالة)- هي الإيمان بأن أي سرديات كبرى للتاريخ والكون والعالم ليست سوى حشد من الزيف والأوهام والانفصال عن الواقع المعقد. فالأيدولوجيا عند هؤلاء شيء قبيح وهو انحراف عن مبادئ نسبية الحق وبالتالي تعصب بعيد عن البراجماتية الضرورية لهذا الزمان. وهي مرادف للتعصب واحتمال تنفيذ كوارث إن وصلت أكثر هذه الأيدولوجيات للحكم، كما ذكرنا عن الطوباوية قبلا.

والأيدولوجيا عند الآخرين هي مجرد طريقة عمل سياسي وقالب نظري ومجموع القيم وأهداف الحزب أو الجماعة العاملة فلا إشكال حينئذٍ في استخدامه[2] ، بل ربما يجب استخدامه، كما فعل البيطار في الأيدولوجيا الإنقلابية[3]. فعند هؤلاء ليست الأيدولوجيا مستقبحة بذاتها على الإطلاق بل هي مطلوبة لتغيير الواقع المرير، أي أيدولوجيا؟ نعم، لا إشكال! هنا الأيدولوجيا ليست مشغولة ضرورة بالسرديات الكبرى وأصحابها لا يتحدثون عن ذلك، بل هي مشغولة بالتاريخ وحركته وكيفية استخلاص الفوائد وفهم حتمياته ونسقه العام لإدراك الطريقة المثلى للتعامل مع الواقع وتبديل حاله.

في هذا البحث لا ننطلق ذات منطلقات الرؤيتين السابقتين للأيدولوجيا، فإن المنطلق الأول براجماتي نسبي عدو بالضرورة لكل العقائد ولكل السرديات الكبرى للكون والإنسان وبالتالي عدو لحقيقة مفهوم الدين بذاته وهو وجود كون له سردية محددة وتاريخ كوني له قوانين معينة اسمها (سنة الله) التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا! كل هذا عند هؤلاء هو أيدولوجيا وتعصب ودوجمائية قبيحة وشعاراتية عفى عليها الزمن ومحرك للعداوات. وفي نفس الوقت لا ننطلق منطلقات الآخرين ممن يحسنون الأيدولوجيا لكن مع حصرها في مسار واحد هو الصحيح ومنهج الحق والباقي باطل.

إن الأيدولوجيا إن كانت تعني (عقيدة) و(رؤية كونية واسعة) فستكون حينها في إطار الاستقباح، وإن كانت تعني مجرد رؤية سياسية فهي في إطار التحسين ولا إشكال فيها بشرط فصلها عن العقيدة. لكن الإشكال في الثانية أن البعض رغم أنه يعتقدها

---

1) مفهوم الأيدولوجيا، العروي: 129.

2) السابق: 9.

3) السابق: 119.

مجرد رؤية سياسية لكنه لا يكتفي بذلك بل يقدسها تقديس العقائد والأديان ويبدأ في معاداة أي أيدولوجيا أخرى. وغالبا ما يتمثل هذا في الأيدولوجيات الشمولية كما جادلت آرينت.

في هذا البحث سيكون هناك استفادة من تقسيم مانهايم للأيدولوجيا إلى كلية وجزئية من حيث التقسيم بذاته لا من حيث المضمون، مع تحديد إضافات لإعطاء مفاهيم جديدة.

ها هنا ستكون **الأيدولوجيا بمعنى الانحراف الفكري عن الأصول، ونقصد بالأصول هنا المفاهيم العقدية المتعلقة بالحياة والمجتمع والسياسة والرؤية التفسيرية للتاريخ، أي المركز المعرفي والأنطولوجي الأصولي/الإسلامي.** فلا أوافق أهل النسبية بل أقوم بتثبيت مركز أصولي إسلامي معرفي ننطلق منه بحثا عن الانحراف. وفي نفس الوقت لا أنظر إلى الرؤى السياسية كلها باعتبارها ممكنة أو قاصرة على السياسة فقط كما يفعل محسنو الأيدولوجيا. والأصول التي أتحدث عنها هي المعلومات من الدين بالضرورة والمسائل المجمع عليها تجنبا لجدلية: هل أنت من تحدد الأصول المركزية؟! لا لست أنا، بل أهل العلم والشريعة من حددوها. فمن لا يؤمن بالإجماعات الفقهية ولا يقتنع بالمعلومات من الإسلام بالضرورة فعليه أن يترك هذا الكتاب فورا وليتجه لكتاب آخر فخطابي غير موجه له!

وسينقسم هذا الانحراف الأيدولوجي إلى نوعين:

1) أيدولوجيا كلية: وهي انحراف كامل، وفيها يتم هجران المركز المعرفي الأصولي تماما إلى مركز معرفي آخر، إنسانوي أو علماني أو غير ذلك.

وهذه الأيدولوجيا مدمرة لهوية الذات الإسلامية نفسها، فتنتج لنا مسخا لا هو بالعلماني القح ولا هو بالإسلامي حقا. ويكثر في هؤلاء التيه النسبي وبالتالي البراجماتية، فليس من المستغرب حينئذ أن يجذب هؤلاء الفكر المقاصدي أو يجذب الفكر المقاصدي هؤلاء: إنه رؤية معرفية ترسخ النسبية والبراجماتية تحت أي مجموعة ملائمة من الشعارات الكبرى، مثل حفظ الدين والنفس، وهي مقاصد بشرية/إنسانوية عامة قد يؤمن بها شيوعي بنفس درجة إيمان الليبرالي الرأسمالي!

2) أيدولوجيا جزئية: وهي انحراف أصغر، وفيها يتم الانطلاق من نفس المركز الأصولي لكن بمسارات تؤدي للانحراف الفكري والعملي على المدى البعيد.

و **موطن الخلاف الأكبر بين هذه والكلية: أن الجزئية تدخل الخلافيات في مرتبة اليقينيات وما لا يجوز التنازع حوله، بينما الأيدولوجيا الكلية تدخل اليقينيات وما لا يجوز التنازع حوله في مرتبة الخلافيات المقبولة.**

هكذا تجد صاحب الأيدولوجيا الكلية يعترض كثيرا على تشريعات فيها نص أو إجماع أو كليهما باعتبارها مخالفة للإنسانوية التي صار يؤمن بمركزيتها وينطلق في الأحكام والتحسين والتقبيح منها. بينما صاحب الأيدولوجيا الجزئية يدخل ما اختلف فيه السلف والخلف أو ما هو من الآداب لا العقائد إلى مرتبة العقائد التي يجعل عليها الولاء والبراء.

فهل الكل منحرف؟ لا ليس الكل منحرفا، والأيدولوجيا الجزئية لا تكون كذلك حقا إلا إذا طورت المركز المعرفي الإسلامي/الأصولي إلى هيئة أخرى وتصلبت في جعل سبيلها السياسي والاجتماعي هذا هو الحق الأوحد والباقي انحرافات. يمكن مثلا أن يؤمن السلفيون بأن الإصلاح ديني واجتماعي أولا ثم سياسي بعد ذلك، ويمكن أن يؤمن غيرهم بالعكس، لكن الأمر يصبح أيدولوجيا جزئية عندما تتحول تلك (الرؤية) إلى حق مطلق من خالفه صار يستحق الهجوم باعتباره منحرفا.

أما الأيدولوجيا الكلية: فلا حق فيها، كلها انحراف ضخم قد يستفحل حتى يخرج صاحبه من الإسلام مع الوقت، بنقض شرعته عقدة عقدة. لهذا قدمتها –لخطورتها- في فصول الكتاب عن الأدلجات الجزئية.

هذه التعريفات البسيطة وإن كانت ذات علاقة بتعريفات مانهايم وغيره لكنها ليست هي تماما، فهي لاتؤمن بالنسبية ولها مركز معرفي فعلي هو أصول الإسلام، لذا كان لابد من فهم هذا الفارق الرئيسي لإدراك أغراض الكتاب والاستعمالات جيدا.

الآن، ما المقصود بالإسلاموطوبيا؟

يفرق مانهايم بين اليوتوبيا والأيدولوجيا بما يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

1) الطوبيا لازمة للمعارضة، فهي تسعى لتقويض النظام القائم وتحطيمه بتصور متسامٍ مثالي، الأيدولوجيا ليست لازمة للمعارضة بل يمكن أن تكون منظومة متمثلة في الدولة والنظام القائمين، ولكنها عاجزة أبدا عن تحقيق شعاراتها المثالية حتى بعد السيطرة.[1]

إن الجماعة التي تقرر أن نظرية ما هي أيدولوجيا هي الجماعة المعارضة. والجماعة التي تقرر أن نظرية الآخرين هي طوبيا هي الجماعة الحاكمة![2] بالتالي فالأيدولوجيا هي هي اليوتوبيا لكن في سياق الحكم بدلا من المعارضة!

2) الطوبيا وصم من ابتداع النظام المعادي وليست وصفا قد يفخر به المفكر كما هو الحال في الأيدولوجيا، فلا توجد منظومة فكرية تصف نفسها بأنها (طوباوية) لكن رجال النظام القائم في إطار حملتهم الدعائية ضدها يصفون أفكارها بأنها مستحيلة التحقق في الواقع بالتالي فهي طوباوية.[3]

3) الرؤية الطوبوية مجرد وسيلة لإسقاط النظام القائم في زمانها ومكانها، وليست تصورا مطلقا في الزمان والمكان كما قد يتصور منظِّروها، ويتلخص هذا المبدأ في المتوالية الديالكتيكية التي أخرجها درويسن ونقلها عنه مانهايم:

- الأفكار توجه النقد لما هو كائن ولم يتطور بعد إلى ما ينبغي أن يكون – ترفع الأفكار الظروف إلى مستواها ثم تجمِّد نفسها لملائمة العادات والروح المحافظة والعناد – تنشأ الحاجة إلى نقد جديد.. وبالتالي إلى نظرية طوباوية جديدة، وهكذا دواليك.[4]

إذن، الطوبوية عند مانهايم هي نظرية معارضة ترسم حالة سياسية واجتماعية -وربما كونية- مثالية بما يكفي مقارنة بالنظام القائم فعلا. المسألة هنا ليست مجرد تعديل للتاريخ (الماضي) والواقع (الحاضر) وفهمها بصورة مترمتة محدودة مثل الأيدولوجيا، إنما هي رسم لمستقبل مستحيل الوجود في الواقع ولم يقع بهذه الصورة في الماضي!

كما ذكرنا قبلا فإن مانهايم منضم إلى التصور الذي يرى الطوبيا ليست طريقا للإرهاب بل هو نظام مستقبلي، لكن لا يجب أن يخدعنا هذا! إن مانهايم يرى نفسه فوق كل هذا ويرى -كما ذكرنا- أن الأيدولوجيا هي الطوبيا لكن هذه حاكمة والأخرى معارضة! هذه حاضرة والأخرى مستقبلة! وكليهما مجرد ظاهرة تاريخية وأكذوبة إنسانية وعدا بمستقبل أسمى! قرن النسبية كما ذكرنا قبلا!

---

1) الأيدولوجيا واليوتوبيا، مانهايم:247.

2) السابق: 256.

3) السابق: 250.

4) السابق: 252-253.

من هنا يبدأ شرح مقصودي من مفهوم الإسلاموطوبيا وعلاقته بالأيدولوجيا الكلية والجزئية: إن **الإسلاموطوبيا من وجه هي مسالك التحريف الأيدولوجي الكلي أو الجزئي. هي (تبييض) وترصيص التاريخ والفقه والشريعة والحضارة وكل ما يتعلق بالإسلام في هيئة درجات سلم يصل الصاعد فيه إلى مركز معرفي جديد أكثر تزمتا (أيدولوجيا جزئية) أو أشد انحرافا بصورة كاملة عن الدين (أيدولوجيا كلية). ومن وجه آخر الإسلاموطوبيا هي ذات المركز المعرفي الجديد والمنحرف!** ويتبدى أكثر وجه اعتمادي على رؤية مانهايم أن مسالك الإسلاموطوبيا ومركزها تصدر من الإسلاميين موضع البحث: أي تجيء من رحم تنظيرات معارضة ظهرت في عصر سيادة أنظمة علمانية قائمة قاهرة، ملك جبري ديكتاتوري أو حتى ديمقراطي مقنَّع. وأغلب معارضات العلمانيين (الدولتيين/الحاكمين) على هذه الرؤية يكون بوصفها كلها -مؤدلجة أو غير مؤدلجة-: بأنها طوبيا مستحيلة الوجود في الواقع!

في هذا البحث سيتم رصد هذه الإسلاموطوبيا، مسالكها ورؤاها ومراكزها التي قد يظن البعض أنها مبالغ في تقديرها وليست ذات أهمية كبيرة في الصراع الحالي. ورويدا رويدا عبر الفصول سيبدأ القارئ في إدراك حجم المشكلة التي تؤدي إليها ووبال أمرها على الجميع، كما ذكرت قبلا في المقدمة.

تبقى في نهاية هذا المدخل التنبيه إلى أنني لا أعني أبدا رفض التنظير لشكل (النموذج) السياسي والمجتمعي المثالي، بل عندي هذا هو الأصل والصواب ومؤمن جدا بديالكتيك النقد الذي قدمه درويسن/ وإلا ما كان كتاب وطن الراشدين إلا هزلا. ومونتسكيو نفسه الذي طالما مدحه ألتوسير أنه لم يكن مثل هوبز وغيره ممن نظَّروا بكثافة لفكرة الماهية: قد قام -فقط- بتغيير سبيل الوصول لهيئة القانون الأمثل وبالتالي للمجتمع والنموذج السياسي الأسمى، أي أنه خالف في سبيل بناء النموذج لا في وجوب إيجاد النموذج! ويكاد أكثر الفلاسفة المؤسسون لأوروبا الحديثة يجتمعون على ضرورة وجود لحظة (نموذجية) تاريخية مثلى أو قريبة من المثال الأسمى المطلوب. رآها مونتسكيو في (لحظة) ميلاد أصل الدولة الرومانية، ورآها ماركس في خياله على نقطة متقدمة جدا هي نهاية التاريخ وكان هيجل من قبله قد رآها في الدولة الأوروبية الأسمى!

المهم أنه لابد من لحظة (نموذجية) هي الأقرب للمثل الأعلى أو هي المثل الأعلى ذاته، أنا لا أخالف في هذا لحظة وهي عندي كما عند أهل السنة؛ فعندنا كمسلمين قد كان هناك عصر نموذجي -بنص قاطع- وهو ثلاثينية الخلافة الراشدة، وقد كان هذا النموذج السياسي الاجتماعي أقرب للواقع من النماذج المثالية التي طالما مجد فيها فلاسفة الغرب ومنظروه: إنه نموذج فيه صراع نفسي بين الخليفة ونفسه، وبين الخليفة وعماله، لا توجد مثاليات إنما يوجد نموذج يعترف بالنقصان البشري وفي النقصان هذا ذاته القرب إلى الكمال المنشود.

أقول هذا لاستدراك ما قد يفهمه البعض من حديثي عن رفض الإسلاموطوبيا؛ لأن انتشار أفكار النسبية الفلسفية والسياسية بداخل أوساط مجتمع الإسلاميين مع الهوس بفكرة (النقاء اللا أيدولوجي أو ما بعد الأيدولوجيات) باعتباره موضة ثقافية مميزة تسمو على نماذج الإسلاميين دائمة الانهيار قد استشرى أكثر من المعقول، واتجه هؤلاء لمسلكين: الأول يطعن في أي نموذج سياسي يتم طرحه باعتباره مثاليا/مستحيلا أو يقرب من المثالية مع الإصرار على علمنة التاريخ والتأريخ؛ وما يطرحونه هو البراجماتية والاستسلام لعدم النموذج الإسلامي وتبني أحد النماذج المعاصرة السائدة باعتبار أن ليس عند المسلمين نموذجا سياسيا مثاليا ولو حتى في هيئة أطر عامة.

والثاني هو الضغط على الإسلاميين لتقديم نموذج كامل مفصَّل لا إجمال فيه لأدق تفاصيل شكل الدولة الإسلامية المنشودة! وإن

المرء ليعجب كيف يريدون هذه التفاصيل الموازية للديمقراطية الغربية المعبودة والديمقراطية نفسها تطورت وتتطور كل يوم وفي كل مكان بهيئة تبعا لتقلبات المجتمع وظروفه السياسية! التفصيل قد جاء من الاستمرار والاستقرار لأزمان وعصور، فأين هذا للنماذج الإسلامية الحالية؟

إن الديمقراطية الغربية الحديثة أيضا تعاني من إشكالات ومعضلات حقيقية ولابد أن يفهم عابدوها أنها هي الأخرى (أنموذج) يتم تجريبه إنسانيًا طال الزمن أم قصر، وككل نموذج له عيوب يزداد وضوحها وجلاء مساوئها يوما تلو الآخر، حتى يأتي اليوم الذي يبرز فيه نموذج أسمى من التطبيقات الموجودة، سواء بعنوان جديد أو في هيئة طور أحدث منها أو حتى ينتشر نموذج أسوأ!

فلست من المؤمنين بحتمية التقدم الإنساني والخط الواحد للأمام! ثم أن كل هذا فخ أيضا؛ فحتى لو تم تقديم نموذج كهذا سيتم وصمه بأنه (أيدولوجيا) وأصحاب المطالبة به أنهم (متأدلجين)! وقد رأينا العجب من هؤلاء!

إنما العيب كل العيب على من يقدِّم نموذجا مثاليا -وهو أمر مطلوب- ثم يتعصب له ويرفض كل نموذج غيره في إطار المباح ويعتبر غيره ضالا لابد من هدمه من أجل النموذج (الأوحد) لا (الأفضل في رأيه)! مثل هذا حتى لو طبق نموذجه فسيصطدم بإشكالات الطبيعة الإنسانية فيمن حوله من حاكمين ومحكومين وسيعتبر أي تطور أو انحراف هو انهيار لمثاليته المنشودة؛ كما حدث للشيوعية المثالية النماذجية التي عندما طبقت وانتظرت نهاية التاريخ كانت نهايتها هي نفسها الأقرب بينما استمر التاريخ. هذا بناء الإسلاموطوبيا الذي أرفضه والذي أفرق بينه وبين (النموذج) بمعناه (مثالا) غير مبالغ فيه. إنه أشبه بمنظور الهندسة المثالية الطوبوية، حيث لا يمكنك أن تصمم منزلا فيه ثغرات وعيوب على الورق بدعوى (الموضوعية) بل تقوم برسم أفضل (نموذج) والواقع يسعى لمحاكاته قدر الإمكان، والنقاد الاستشاريون هم المسؤولون عن مراقبة تنفيذ هذا التصميم النموذجي مع إدراك الضغوطات الواقعية واستحالة الوصول للرسم الهندسي كما هو. في الإسلاموطوبيا تجعلك الأدلجة تؤمن إما أن هذا النموذج ليس مثاليا لأن منفذيه لا يحققون تصورك المثالي الكامل للإسلاموطوبيا التي تتخيلها، وهذه هي الأدلجة الجزئية. أو تجعلك تعترض أصلا على شكل النموذج معتبرا أن هذا ليس النموذج المطلوب ساعيا لنموذج آخر مخالف للإسلام، وهذه هي الأدلجة الكلية.

هنا ينتهي المدخل ونبدأ معا في استعراض نماذج مختلفة من الإسلاموطوبيا خلال الفصول القادمة.

الفصل الأول: **إسلاموطوبيا التأريخ**

أبدأ عند أشهر نموذج يأتي دائما في ذهني وأول المتهمين بصناعة الأوهام وتعبيد طرق الأدلجة/الانحراف في التصورات، ليس عندي فقط، بل عند جمهور المفكرين الغربيين: المؤرخ.

وفي حالتنا هذه: المؤرخ الإسلامي!

لكن، من هو المؤرخ الإسلامي؟

لا جدال أن المؤرخ الإسلامي ليس متفردا بطبعه ومنهجه، هو أحد أعضاء المجتمع الثقافي والعلمي للتاريخ ومدارسه، وبالتالي، سواء درس أكاديميًا أم لا؛ فإن منهجه لن يخرج عن المناهج السائدة في زمنه والتي تلقى بها تعليمه الأساسي على الأقل.

إذن لابد أن نحاول معرفة أي المناهج هي منهجه، أو على الأقل ما السمات التي تخالفها أو تشاركها مدرسة مثل الصلابية -التي سأجعلها نموذجا للعمل ها هنا لأنها الأوسع انتشارا من حيث النظرة الطوبوية للتاريخ الإسلامي- مع باقي المناهج التأريخية.

إن أول السمات الغربية التي يخالفها المؤرخ الإسلامي بوضوح، هو جعل المركزية الإسلامية محركا للتاريخ، فبينما زعمت المناهج الغربية منذ المذهب التأريخي الإنسانوي في القرن الخامس عشر حتى الآن التحرر من الرؤية المركزية الأوروبية/الغربية[1] إلا أن الواقع شيء والزعم شيء آخر!

إن التاريخ الإسلامي يتمركز حول العالم الإسلامي شرقا وغربا، دون إيلاء أولوية كبيرة للمشرق الإسلامي على حساب الغرب الإسلامي الأندلسي تحديدا. فأهمية الأندلس عند المؤرخ الإسلامي المعاصر ليست أقل من أهمية العراق وخراسان، بل قد بلغ الهوس بها أن فاقتها لأسباب سآتي لسردها بعد قليل. المهم أن مفهوم المركزية الإسلامية موجود ها هنا صراحة بينما هو غائب –نظريا- عن المناهج الغربية التأريخية.

وثاني هذه السمات التي يخالفها بوضوح كبير: هو إعادة العقيدة إلى التاريخ، ليس كعامل من العوامل المؤثرة سلبا في كل الأحوال -كما يظهر في المناهج الأوربية منذ عصر المؤرخ العقلاني[2] - بل كعامل إيجابي به تحدث الانتصارات الإسلامية وبدونه تحدث الإخفاقات. إن عامل القوة العسكرية لا يمكن أن يتجاهله أحد، لكن المؤرخ الإسلامي لا يضعه هو السبب الرئيس في الانتصارات؛ بل يضع العامل العقدي الديني –الإسلامي تحديدا!

ثم أن نفس ذلك العامل الديني عندما يكون عند الجبهة الصليبية أو اليهودية يصير عامل (غل وحقد) سلبي يملأ نفوس معتنقيه عداء للحق؛ مما قد يؤدي في النهاية إما إلى هزيمتهم وإما إلى انتصارهم انتصارا بربريا نكون نحن السبب فيه لقلة الإيمان من جهتنا!

قد تكون هذه إحدى أهم نقاط التضارب المنهجي الواضح: حين يصير نفس العامل عند تجريده محركا للانتصار في جهة ومحركا للهزيمة في جهة أخرى بزعم تعصبها؛ لكن تجاهل أن المؤرخ الإسلامي عقدي الرؤية يؤمن بوضوح أن الإسلام دين الحق المؤيد من الله

---

1) المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي: 49.

2) السابق: 62.

والأديان الأخرى باطلة يروجها الشيطان سيصبح تجاهلا سخيفا خاصة ان امتزج بالاستنكار.

إن المؤرخ الغربي في رؤيته الليبرالية -على سبيل المثال- سينظر دائما للعامل الديني باعتباره شر شيطاني، وللعامل التحريري التنويري –بزعمه- باعتباره الحق الذي يُصارع الباطل؛ وتفسير الوقائع والتواريخ بهذه الرؤية المستبطنة أمر واقع لا يكاد ينكره إلا بعض الحمقى ممن يؤمنون بإمكان كتابة تاريخ تفسيري دون أي أثر عقدي للكاتب! إن العقيدة ليست حصرية على الأديان الصريحة وحدها؛ بل الإلحاد نفسه عقيدة ذات أثر في التصورات والمنهج المعرفي للمؤرخ. وكاتبنا الإسلامي ليس عيبه أنه يولي هذه الأهمية للأثر العقدي: لكن عيبه أنه يبالغ جدا في جعل النصر يدور مع أهل العقيدة السليمة في شكل رياضي تعميمي إلا شذوذات قليلة.

لكن فجأة قد تجد المؤرخ الإسلامي يشابه المؤرخ الرومانسي المحافظ في تفضيله الحاكم القوي وإن كان شرسا، وممجدا للماضي الذهبي الفريد، مع العداء لكافة أشكال الثورات وتصنيفها كلها تقريبا في باب (الفتن) تبعا للمدرسة التاريخية الإسلامية الممتدة. فبرغم أن الدول الأموية فالعباسية فما يليها دول (جائرة) على المستوى البنيوي مهما أحدث حكامها وملوكها من إصلاحات عائدة لصفاتهم الشخصية أكثر منها صفات للدولة -مثل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه- إلا أنه مع ذلك يتم تصنيف الثورات عليها - إلا النادر في أوائل الدولة الأموية حتى عهد عبدالملك بن مروان والحجاج- باعتبارها ثورات (خارجية) أو (شيعية) أو (شعوبية) ونادرا ما يتم التعرض للعوامل البنيوية والنفسية والعنصرية التي جعلت الشعوب كافة ثائرة منتفضة ضد هؤلاء الحكام المتتابعين: مثل غلق هرمية السلطة على (العرق) العربي، وحصر السيادة الكبرى في جنس واحد بل قبيلة واحدة بل نسل واحد، وهو الأمر الذي أدى بعد ذلك لتسفيه منصب الخليفة وظهور عصر الأمراء والسلاطين والملوك الذين قد يصبح الخليفة العربي الهاشمي القرشي بالنسبة لهم مجرد مهرج بلاط؛ وهي المأساة التي تجاوزها بجرأة تستحق الإعجاب الملوك العثمانيون!

إن اختزال العوامل وتصنيف الثورات عامة -إلا النادر- في باب الفتن والمؤامرات أحد الصفات اللازمة لهذه المدرسة الإسلامية المعاصرة. طبعا، يظهر تشابه آخر مع المدرسة الرومانسية في الانشغال بكتابة التأريخ (البطولي) وخاصة ما جرى في عصر الفرسان (الحروب الصليبية والمغولية)، فتجد التاريخ الإسلامي قد تحول فجأة إلى ملحمة متسلسلة من الأبطال المتتابعين، ولابد من كتابة (قصة) جيدة محكمة عن هذا البطل، وفي هذا يفوق المؤرخ الإسلامي المعاصر كل من سبقه من مدارس المسلمين التي كانت واقعية بصورة أكبر في رسم صور الحكام الأقوياء: ستجد سيرة بيبرس الأعظم – سيرة صلاح الدين الأعظم – سيرة نور الدين الأعظم – سيرة الفاتح الأعظم! حكام التاريخ الإسلامي سلسلة من الشخصيات اليوتوبية التي أجرى الله الفتح على أيديها!

هذه هي أبرز سمات المشابهة والمخالفة مع مدارس ما قبل عصره التأريخية، لكن التفسير الحقيقي للمنهج الإسلامي التأريخي (الحركي) المعاصر لن يتم إلا بالتجول في عصر ظهور هذا المؤرخ: عصر نهاية الخلافة في أوائل القرن العشرين. إن أول سمات التأريخ في هذا العصر هو التنازع بين اتجاهين كبيرين تأريخيا: التاريخانية الوضعية العلموية والتاريخانية الماركسية. والمؤرخ الإسلامي من أكثر الناس قربا –وعلى عكس المفترض بدهيا!- من المنهج الوضعي العلموي في التأريخ، وهو ما يسميه الدكتور وجيه كوثراني (التاريخانية التوليفية)[1] إشارة لدمج ذاك المنهج مع الدين الإسلامي.

---

1) تاريخ التأريخ، وجيه كوثراني: 135.

مع ملاحظة وجود خلافات قليلة لكن آثارها منهجيا كبيرة: مثل عدم ادعاء الحياد أو السعي إليه، إضافة للفصل التام بين مفهومي الحياد والموضوعية؛ فالموضوعي لا يلزم أبدا أن يكون محايدا.[1] إن أبرز نقاط التشابه مع التاريخانية الوضعية تتمثل في ثلاثة مواضع كبيرة: الأول هو تماثل الإيمان بأن هناك حركة (طبيعية) للتاريخ ولبناء الأمم وسقوطها بصورة آلية، ودور المؤرخ هو الكشف عن هذه الآلية الطبيعية من كافة الجوانب السياسية والاجتماعية[2].

الثاني هو الانشغال بالسياسي وتجاهل الأحداث الصغرى في مقابل الصورة الكلية الكبرى[3] والثالث هو الانخراط في الحركة السياسية المعاصرة، بهدف إعادة بناء الأمة بعد هزيمة كبيرة، كما جرى من المؤرخين الوضعيين الفرنسيين بعد الهزيمة الساحقة الشهيرة أمام بسمارك؛ فقد استُخدم التاريخ بصفته سلاحا فعالا للحشد القومي والتطويب الشوفيني، وكما يقول إيف لاكوست (**التاريخ يصلح أيضا لشن الحروب**)[4]. وليس هناك أي غرابة في الهوس الشديد بتنظيم التاريخ في مساقات يستخرج منها المؤرخ الآليات الفاعلة، فهذا النوع من التأريخ ابن القرن التاسع عشر، قرن العلموية الأكبر والإيمان بالقدرة البشرية على الوصول للقانون الطبيعي المحرك للتاريخ، كما أن أوجوست كونت أستاذ هذه المدرسة التاريخية هو رائد علم الاجتماع كذلك بل مبدعه[5] وقد كان كونت مؤمنا بفكرة آلية التاريخ وطبيعيته. المؤرخ الإسلامي يستبدل إذن تطويب التاريخ القومي بتطويب التاريخ الإسلامي كله إلا النادر؛ وقد يجعل من مسائل الجور والظلم وغيرها مجرد مسائل عارضة أو يردها إلى زمنها وسياقها! وهو يلجأ لعزو المشاكل التي لا يمكن حلها إلى سياق زمنها وظروفه كظاهرة منتشرة حينها، بينما يرجع سريعا إلى الفكر الطبيعي الآلي في أقرب فرصة: المجتمع انتشر فيه الإيمان – الحاكم مؤمن – الانتصار قادم لا محالة! هذه هي الآلية الطبيعية (الكونية) عند المؤرخ الإسلامي، الذي ظهر إبان عصر رسوخ القوميات ومناهجها، ولا يمكن أن تفوتنا ملاحظة أن أول من لجأ لاستخدام المنهج النوستالجي الطوبوي للتاريخ كان القوميون العرب[6] وقد ظهر الإسلاميون بشكل عام في عصر سيادة هذا المنهج تأريخيا في البلاد العربية (عصر القومية العربية).

بناء على ما سبق، وجدنا سببين واضحين داخليا لتطويب وتبييض التاريخ الإسلامي من قبل المؤرخ الحركي الإسلامي، بالإضافة للأسباب الماضية المتعلقة بالشكل العالمي والعربي حين ظهوره:

السبب الأول عام عند كافة المسلمين: وهو صعود (تعريب) منتجات الحركة الاستشراقية المعادية للإسلام ممثلا في تاريخه وتراثه، وقد انبرى للرد غير الإسلاميين قبل الإسلاميين مثل العقاد الليبرالي في عبقرياته وكتب دفعه شبهات المستشرقين، ومحمود شاكر المستقل في معاركه مع طه حسين وغيره؛ بل وحتى غير المسلمين مثل إدوارد سعيد الذي انتقد التصور الاستشراقي عن الشرق من جذوره.

---

1) قد فوجئت بعد كتابتي ذلك أن الأستاذ يوسف كرم المؤرخ الفلسفي الشهير، في كتابه تاريخ الفلسفة الحديثة: 311، سبقني هو الآخر بملاحظة هذا التشابه بين فكر أوجوست كونت -معلم الوضعية- والفكرة السلفية -كما يسميها- عن تدهور المجتمع ووجوب إعادة تنظيمه بسلطة روحية؛ لكن على أساس الدين لا على أساس العلم كما عند الوضعيين، وأجمل بها موافقة لمؤرخ فلسفي في وزنه.

2) المدارس التاريخية الحديثة، الهادي التيمومي: 89.

3) السابق: 89.

4) السابق: 91.

5) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم: 319.

6) تاريخ التأريخ، وجيه كوثراني: 129.

السبب الثاني خاص بالحركة الإسلامية التي انبثقت في عصر انهيار الخلافة كما ذكرنا وانتشرت في ظل لعنها وتشويه تاريخها مقابل التطويب التاريخي القومي والوطني المستند إلى الإثنيات العرقية؛ هنا يكون التبييض عند القوميين لمتفرقات نادرة من التاريخ الإسلامي الذي يتجزأ ويتفتت ليتمجد منه كل ما تعلق بالتاريخ القومي العربي عامة أو الوطني الضيق خاصة؛ كما تم تمجيد صلاح الدين قوميا باعتباره المقاتل العربي ضد الغرب الإمبريالي في عهد ناصر - وتمجيد قطز باعتباره قائد الجيش المصري الوطني الذي انتصر بالمصريين على المغول، وكذا يتمجد محمد علي باشا باعتباره الوطني الذي بنى مصر الحديثة. وفي المقابل تمجَّد الفاتح –حين أفرج عنه عصمت إينونو بعد الحجر الأتاتوركي- باعتباره بطلا تركيا لا إسلاميا!

غرض الاسلاميين كان العكس: وهو جعل البطولة مطلقة إنسانيا ثم إسلاميا؛ لا مقيدة بقوم ولا وطن[1]. ثم ربط كافة تلك البطولات والتواريخ المجيدة بمفهوم الخلافة المطلوب رده واستعادته: بذا انتشر فكر تبييض التاريخ (الإسلامي) والسني بشكل خاص، مقابل إما تجاهل الفرق الأخرى وانتصاراتها -كما يجري مع إباضية عمان وفتوحاتهم المجيدة وتاريخهم الثري في شرق أفريقيا- أو حتى التهجم عليها -كما جرى مع الفاطميين وانتصاراتهم في جنوب وشرق إيطاليا- باعتبار هؤلاء دول خيانة بالضرورة لأنهم خوارج أو شيعة - وإما نسبتها للتاريخ الإسلامي وتبييضها هي الأخرى باعتبار ذلك واجبا لتكميل الصورة الناصعة لتاريخ المسلمين، فهذان مسلكان داخليان في المنهج التاريخي الإسلاموطوبي.

كيف سيطالب المسلمون بالخلافة إن لم يكن تاريخها هو سلسلة من الأمجاد والانتصارات والأبطال وأحقاب متتالية من قهر الأعداء القاهرين حاليا؟! -خاصة ذاك الغرب المهيمن السيد؟!

هنا يفيد جدا التبييض في نقل المثل الأعلى من مجرد ثلاثينية راشدية ذهبية يمكن الهجوم عليها بأنها شاذة لن تتكرر أو مجموعة من الأطر الشرعية النظرية يمكن الهجوم عليها بأنها مثالية غير واقعية -إلى مثل أعلى مطلق زمانا ومكانا اسمه تاريخ الخلافة وتاريخ الإسلام!

بِنى تاريخ الإسلام عظيمة ورجاله عظماء! وإني أتذكر يوما أن أحد الأصدقاء الباحثين المتعمقين في التاريخ أكاديميا والمعروفين باتجاههم الثوري، كان يمدح المماليك سياسيا بصورة عامة طوال الوقت؛ فقلت له ساخرا: صدقني مثلك لو كان في أيامهم لم يكن ليخرج من غياهب الجب بأفكارك وروحك الثورية تلك! لكنه لم يكف عن مدحهم مدحا بنيويا!

هذا التبييض الذي استخدم في إطار فكرة وجوب الاسترداد (استعادة الخلافة) بصورة مكثفة من الجهة الإيجابية (تبييض تاريخ المسلمين والسنة تحديدا) ومن الجهة السلبية (تسويد تاريخ الآخرين ومنهم الشيعة والخوارج وغيرهم) أنتج عقلية إسلاموطوبية مؤدلجة جزئيا يمكن التأثير عليها وهدم أفكارها ونظرياتها بمجرد رشقة صغيرة من أحجار العلم بالتاريخ (الحقيقي) للمسلمين لا التاريخ التبريري التطويبي!

---

1) السابق: 138.

لم تكن الأدلجة الجزئية ها هنا تعني عدم فداحة الأثر، بل تعني فقط، كما نبهت في المدخل، أن الجانب العقدي واحد وتأثيره المعرفي غير كبير لدرجة الانتقال إلى مركز معرفي جديد كما هو جارٍ في الإنسانوية على سبيل المثال، لكن مع ذلك فالأثر الفادح بسبب هذا المسلك هو المسؤول الأول عن عقلية الإسلاموطوبيا التي نراها الآن: صلبة متحجرة حين بروز الأمل وتعتمد على سرديات مصاغة في صورة معادلات وقوانين رياضية - وهشة للغاية عند الصدمات بسطحية المعادلات وتعقيد التاريخ والشخصيات المسلمة وغير المسلمة الصانعة له!

وقد يكفي بعضهم أن يقول هذا هو صلاح الدين الحقيقي، هذا هو ابن تاشفين الحقيقي، هذا هو عبدالرحمن الداخل الحقيقي، هذا هو محمد الفاتح الحقيقي، مستندا على المصادر المعاصرة لهم أو التأسيسية للتاريخ، حتى يوقع المستمع -المؤدلج من أساطين منهج التاريخ التبييضي- في متاهات عقلية قد تودي به إلى الإلحاد، وهذا معلوم مشاهد ومجرب، لا ظن ولا حدس!

وأحلام العودة إلى الأندلس يمكن تفسيرها بإدراك ذاك المنهج: فمملكة الأندلس الإسلامية المبيَّضة (إسبانيا والبرتغال) هي جزء أوروبي شديد الانتماء للغرب الحديث (الظافر والسيد العالمي)، وقد كان برغم ذلك في أيدي المسلمين قرونا طويلة، فبجوار طبيعتها ذات الجمال الخارق والآثار الإسلامية المتميزة، صارت خير ممثل للسيادة الإسلامية بصورة كاملة على جزء أوروبي قوي، مع أنه -من الوجهة النظرية والعملية الحقيقية- سقوط الأناضول والروملي وبيزنطة في أيدي المسلمين وإزاحتهم الخطر المسيحي الدئم في شمال الشام والعراق أكثر أهمية من الناحية الإستراتيجية مقارنة بالأندلس الطرفية؛ لكن لتقادم الأعصار على امتلاكنا له ووجود الأناضول وإرث بيزنطة بأيدينا؛ فقد خمد في المخيلة الأيدولوجية ولم يعد له نفس ما تمثله الأندلس المُبيَّضة من أثر!

رغم أنه –منطقيا كذلك- كان من الغريب صمود المسلمين فيها أكثر من قرن واحد! وهذه من الأعاجيب والألغاز التي لا تفسير لها إلا أن النصارى بجوار تفتتهم الموازي، ظلوا لقرون تحت وطأة رهبة الإسلام ودولته وصولته، شيء أشبه بتردد الروس لعقود أمام ضعفاء مغول القبيلة الذهبية وعجزهم نفسيا عن طردهم بصورة نهائية. فلا يكاد يوجد قطر في بلاد الإسلام ظل مفككا بهذه الصورة السياسية والاجتماعية طوال قرون إلا الأندلس! الأندلس ظلت جحيما لكل من فيها، دولة تتسيدها النظرية العرقية وتتصارع فيها العنصريات وعربها بين قيسية ويمانية ثم عرب ومولَّدين ومستعربين ثم كل عنصر: مجزء مفتت! فاليمانية منقسمون والقيسية منقسمون. ثم زد فوق هذا، الانحلال الخلقي الذي من الطبيعي أن يسود في مجتمع متفكك عجيب يشعر دائما بالظلم وكل مدنه تتصارع وكل عربه وغير عربه يتقاتلون! إن الأندلس كانت نموذجا سيئا قبيحا للدولة بشكل عام ثم للدولة الإسلامية بشكل خاص، ومشاكلها ظلت أكبر من إصلاحات الداخل أو الناصر العنيفة أو محمد بن عبد الله المتلطفة العفيفة! تاريخها من البداية إلى النهاية قد يشعرك أنها أكبر تكتل لأوغاد العرب والأوروبيين حدث في التاريخ وظل الفضلاء ندرة ذهبية غريبة عن محيطها!

لكن مع ذلك فإن الأندلس ظلت هي قبلة الشوق الإسلاموطوبوي لعصور السيادة الإسلامية الذهبية والرخاء العميم والمتع الوافرة! إن التبييض هو ما جعلها كذلك، أما حقيقة تاريخها الطويل فمريع لا يشجع أحدا يعرف حقيقته على التباكي حزنا على أيامه؛ لكن أين السبيل إلى الحقيقة مع ذاك المنهج النوستالجي التبييضي التبريري لبناء الوهم الإسلاموطوبوي عن المملكة الجميلة، جنة الأرض والمسلمين العظماء الذين حكموا في عصور الخلافة والسيادة الملائكية؟!

إن خطورة هذا المنهج على التصورات كبيرة، وآثاره العملية لا يمكن الاستهانة بها:

فقد رأينا صدمات تنزل كالصواعق تترى على من يؤمن بهذا الشكل الطوبوي الرياضي، والذي لا يحدث في الواقع أبدا؛ فيكون فشله حينها دافعا للجوء إلى الحكم على الفكرة الإسلامية كلها بالفشل وعدم الواقعية! لقد فشلت (المعادلة) أو لا يمكن تطبيقها في الواقع فهي إذن (علم زائف)!

ورأينا من يفسر تصرفات المجاهدين وصراعاتهم -خاصة حينما ساعدت الشبكات الاجتماعية التواصلية على الإنترنت على تقريب صورتهم- بأنهم شواذ وخوارج وعصابات من المجرمين ويستحيل أن يكونوا امتدادا للعظام الكبار أمثال صلاح الدين وبيبرس والفاتح! هذا وصراعات المجاهدين المعاصرين البينية على السلطة أغلبها لا يقارن بحجم الصراعات البينية السلطوية للملوك الثلاثة المذكورين! وقد جرى التكفير السياسي المتبادل كثيرا في التاريخ الإسلامي -والأمثلة عصية على الحصر- لكن منهج التاريخ (الإسلامي) الحديث لا يلتفت إلى مثل تلك السفاسف! إن مثل تلك (السفاسف) و(التفاهات) عندما غُيِّبت لمصلحة الإسلاموطوبيا، تشوهت التصورات وصدرت أسوأ الأحكام وأقساها!

ورأينا من يستخدم هذه الصورة الإسلاموطوبوية المتكونة في التخذيل عن طريق القول دائما: هل هؤلاء الأسافل امتداد للتاريخ الإسلامي وجهاد المسلمين المعاصرين؟! يستحيل! فكيف تؤيدونهم؟ انفضوا عنهم وابحثوا عن (امتداد صحيح) للعظماء المسلمين! وطبعا لن تجد فيتأدى بك إلى التعطيل ومعاداة الموجود لأنه (يشوه) السلسلة التاريخية اليوتوبية العظيمة.[1] ورأينا من يستخدمون هذه الأدلجة في الحكم على أكثر الحركات الإسلامية الجهادية بأنها مؤامرة غربية لتشويه الإسلام! لماذا؟ لأن تاريخ الإسلام يوتوبيا طبعا وسلسلة العظماء اليوتوبيين هؤلاء والتي يحقد عليها الغرب ويريد كسرها لن يفصمها إلا إدخال نماذج مشوهة غير يوتوبية ولا مثالية إليها! ستنكسر حينها حلقات سلسلة العظماء بكيانات وأشخاص مشوهين مجرمين وخوارج يعتبرون أنفسهم امتدادا للمجاهدين السنة الأبطال الأفذاذ زورا وعدوانا! والحقيقة أن امتداد العظمة لن يكون إلا بجماعات ملائكية طاهرة مما يثير النظام العالمي عليها من عداء!

---

1) فمثلا، قد نشر أحمد سالم على صفحته ذات مرة توصيفا للمجاهدين أنهم تيارات قتالية حداثية تهمش التراث لصالحها، متسائلا: "هل تعلمون في تراث المسلمين أن فئتين من المجاهدين في سبيل الله كانا على ثغر من ثغور الإسلام يجاهدون عدوا فإذا هما يقتتلان بمشهد من عدوهما؟" –هذا مثال ممتاز لتوظيف التاريخ الطوبوي في التخذيل وصناعة العداء مع الجهاد والمجاهدين المعاصرين، ولا داعي طبعا لكشف ما في الكلام من جهل فادح ومدقع بالتاريخ الإسلامي الذي امتدت المعارك البينية فيه منذ بدايات الأندلس بل ومنذ عهد فتنة الصحابة والضغط البيزنطي الذي ألجأ معاوية رحمه الله لمهادنة الروم بل دفع الأموال لهم من أجل التفرغ للقتال البيني السلطوي البحت، وكيف قام عبدالملك بن مروان بتكرار ذلك تفرغا للقضاء على عبد الله بن الزبير! وكيف أن صلاح الدين فك الحصار من على الكرك رفضا للاجتماع بنور الدين محمود وكيف خاض معارك الموصل والشام متجاهلا الكيان الصليبي زمنا فسره المؤرخ الإسلامي لصالح السلطان بأنه كان يقوم بمشروع توحيدي! ثم ماذا عن قتال السلاجقة ثم العثمانيين ضد المماليك؟ ومعارك السلاجقة ضد الدانشمنديين على حدود بيزنطة؟ وماذا عن تيمورلنك والعثمانيين؟ وماذا عن مهادنة سليم لأوروبا من أجل القضاء على الصفويين ثم المماليك؟ وماذا عن مغول القبيلة الذهبية وصراعاتهم البينية بينما الروس على حدودهم؟ ومغول الهند وصراعات بابر مع الأفغان والأوزبك التي لم تتوقف بعد بانيبات بينما الهندوس تحته يجهرون بوجوب إبادة المسلمين ويتجهزون ضده؟ القائمة لن تنتهي والسؤال الأقرب للصحة هو: متى توقفت فئات المسلمين عن التقاتل في الثغور بمشهد من عدوها! ولا أريد هنا سوى تبيان المثال وخطورة الاستخدامات التوظيفية لذاك المنهج من المعوّقين.

ورأينا الاستخدام السلبي في نشر الفكر المؤامراتي التاريخي على أهل السنة الملائكة: فقد جاء الصليبيون واحتلوا بيت المقدس بسبب أن الشيعة الفاطميين خونة وسلموها لهم في صفقة /كأنما لم يمروا في أراضي السلاجقة السنة أولا – ودخل المغول بغداد بسبب العلقمي الشيعي أولا وأخيرا /كأنما لم يتم أول استدعاء للمغول بواسطة الخليفة العباسي – والخوارج دائما كانوا يقاتلون المسلمين وسيفهم عليهم /كأنما كان الخروج على حكام السنة أمثال الحجاج مسألة لا تستحق النظر! وهكذا تصبح أي انتصارات خارج (السلسلة السنية الذهبية) هي انتصارات تآمرية غرضها هدم الإسلام![1] لقد رأينا الكثير من هذا المنهج، بغض النظر عن مبرراته، مما يحتاج إلى وقفة حقيقية لا لهدم التاريخ الإسلامي وتشويهه كما يصنع المتلبرلون والمتمركسون –بل للتعامل معه كما هو بواقعية دون غلو زائد في أحد ودون اعتباره سلسلة يوتوبية. وقد أثبتت إسلاموطوبيا التأريخ أنها مؤذية جدا وتوظيفها يصل لدرجة الجرائم النفسية والفكرية في بعض الأحيان!

1) حضرت ذات مرة خطبة للشيخ (الطيب) أحمد السيسي في الإسكندرية (دعوة سلفية)، وكانت الخطبة سردا طويلا لخيانات الشيعة ومؤامراتهم على الأمة الإسلامية حيث السنة الخير الدائم والشيعة الشر المطلق، تم فيها المبالغة في إعطائهم أدوارا أكبر من حقيقتهم حتى كادت تصبح كل مآسي المسلمين بسببهم وحدهم، مما ذكرني بالخطاب الذي كان سائدا قبل عقد واحد فقط عن اليهود الذين بسببهم وحدهم حدثت لنا كل مآسي تاريخنا!

ملحق المقالات

(فبراير 2015)

الكثير منهم لم يفهم بعد الحلقة المستحيلة العبثية في حروبهم ضد المسلمين:

- مشكلتهم ليست في جماعة.. أو في فكر.. المشكلة في الإسلام نفسه: في القرآن تحديدا..

- لابد من القضاء على القرآن لإنهاء الأمر بصورة جدية.

- لكن هناك تعهد من الله بحفظ القرآن طالما بقي المسلمون!

لذا فكلما نشروا أيدولوجيات وأديان معادية وناصرهم الملايين وحققوا تقدما كبيرا نحو محو القرآن؛ ظلت هناك خلايا تحمله بداخل الأمة؛ ولو بصورة تراثية.. من هذه الخلايا يحدث انبعاث جديد بطيء لكنه مؤثِّر.. وتعلَّم وأد هذا الانبعاث يكاد يكون مستحيلا لأن وسائل مقاومته نفسها يتم مقاومتها وتطويرها ولم يبلغ البشر أبدا القدرة على التحكم الكامل بالإنسان كي يمنعوه من التفكير في وسائل تقفز على تلك الوسائل المثبطة.

فهي حرب -عند التحقيق- عبثية لأبعد مدى! فقط من يظن أن تاريخ الأمم يقاس بالشهور والأعوام القليلة لن يفهم تلك العبثية؛ أما من ينظر لتاريخ أمة الإسلام تحديدا ويتتبع دورة حياة تنفيذ سنن الله في أرضه للأمم كلها عامة -سيفهم ويدرك حجم المهزلة التي يعيشها طرفان: طرف عداوة دين الله؛ وطرف العيش انتظارا لانتصار حاسم سريع لدين الله!

ومهما كنت تتوهم من قوة عدوك فاعلم هذه: لا يوجد طرفان في اشتباك طويل الأمد وكل طرف منها لديه جوانب خفية سرية عن عدوه (السي آي إي والجماعات السرية المسلحة مثالا) إلا ولابد أن تكون هناك لحظات ارتباك وفقدان أعصاب وتكتيكات خاطئة من كليهما وقد يكتشف الجانب القاهر في لحظة ما أن إستراتيجيته التي كان يعمل بها لسنوات طويلة ذات آثار عكسية لم يتوقعها..

يصعب على البعض أن يصدق ذلك؛ عشرات الآلاف من موظفي السي آي إي؛ كيف لا يديرون العالم بهدوء أعصاب وثبات ويصنعون المؤامرات هنا وهناك حتى إن كل الصراعات المسلحة يقودونها بعملاء في الطرف الذي يصارعهم؟ -لكن الحقيقة الأمر أبعد ما يكون عن هذه الخرافات! أنتم لا تحاربون آلهة؛ ولا يعني هذا أبدا الاستهتار أو التأكد من استحالة الاختراق.. لكنه يعني أن عدوك بشري.. جوانبه السرية التي قد تظنها معامل تحضير لإدارة الكون ليست سوى معامل بشرية تحاول إدارة الكون وكثيرا جدا ما تصيبها النكسات غير المفهومة ولا المنطقية.. الإنسانوي قد يعزوها لظاهرة الإنسان التي لا يمكن التحكم فيها والمسلم سيعزوها لقدرة الله ومكره بالماكرين.. والحقيقة أن الأمر مزيج من هذا وذاك!

الخلاصة: أنتم لا تحاربون حمقى؛ ولا آلهة!

(أغسطس 2015)

تحدث عدنان إبراهيم في مقطع شهير عن الفتوحات الإسلامية بعد العصر النبوي -منذ عصر الخلفاء الراشدين فما بعدهم - وعن وجه تشابهها مع الاستعمار الغربي، مؤكدا على الفور أنه ليس متعاطفا معها! لماذا؟! لأن الحروب التي كانت دفاعا عن الدين مبررة.. أما الحروب الأخرى هي: **"حروب عدوان باسم الفتح... حتى في عهد الأمويين والعباسيين.. كانت حروب إمبراطورية بدليل أن الأمة نفسها لم تر منها الخير الكثير... كانوا يفتحون بلاد كبيرة والأمة تموت من الجوع.. تخيل؟!! وتصير ثورات الزنج والعطش: شيء فظيع! والخلفاء عندهم عشرات الآلاف الجواري.. وقادة الفتوح يُقتلون.."**. انتهى المقطع الأول من كلامه؛

ولا نعرف أي أمة تلك التي كانت تعاني من الفتوحات؟! يقصد المدينة ومكة؟! لأن الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن قد امتدت حتى لليمامة ونجد! هل الأمة هي الشام ومصر والعراق؟! هذه ليست من الأمة بمقاييسه -بل هي دول مُحتلَّة من المسلمين!

ثم يكمل: **"حسين مؤنس لاحظ ملاحظة ذكية: تقريبا كل البلاد الإسلامية التي فُتحت بالسيف عاد الإسلام وانحسر عنها! والتي فتحت بالدعوة والقناعة لازال الإسلام منيرا بشمسه فيها.. شوف ماليزيا واندونيسيا هذه فتحت بدعاة بسطاء"!**

ملاحظة مؤنس والتي مجَّد فيها عدنان إبراهيم ملاحظة عبقرية فعلا؛ فمعناها:

أن الحجاز -بل مكة نفسها- قد فتحت ولحقها الشام والعراق وفارس والأناضول وإسطنبول والسودان وشمال أفريقيا واليمن وعمان وأفغانستان والهند والسند /كل هذا فُتِح بالدعوة لا بالسيف!

أو معناها أن: كل هذه البلاد ارتدت عن الإسلام وانحسر عنها!

هذان احتمالان لا يعني كلامه سواهما! ولا يسلم العبقريان بهما طبعا!!
لا! لا تناقش المسألة من وجهة نظر شرعية وكيف أن لازم كلامه هذا الطعن في النبي والخلفاء الراشدين وآلاف الصحابة وملايين المجاهدين والفقهاء ممن باركوا وأيدوا هذه الفتوحات طوال تاريخ الإسلام! يا رجل ارتقِ فوق هذا التراث البالي والمسلمات التاريخية!
فقط ناقش المسألة منطقيا: هل الكلام الذي يقوله هذا الرجل يستوعب حقا قبل أن يقوله بكل غرور وعنجهية؟!
هل يعي معنى ترديده لقولة حسين مؤنس الحمقاء ووصفها بالذكاء -إن كان مؤنس قد قالها حقا؟!
رجل لا يعي كلامه نفسه ولا يعي المنطق الذي يبني فوقه الطعن في أئمة الدين -ما بالك بلوازم كلامه: كيف يؤتمن على دين الله؟! ثم كيف يعده البعض من المصلحين! بل من المجددين!!

(فبراير 2016)

التاريخ عامة؛ والإسلامي منه خاصة: لم يعتد الصراع بأسلوب الضربة القاضية الصادمة، أو غمر الأعداء بتسونامي هائل ضخم ينهي وجودهم! الصراع الإسلامي - الكفري صراع جولات متتالية في مباراة بلا نهاية منظورة؛ أمواج شرقية تضرب أمواجا غربية والعكس وتدافعها بلا توقف ولا ختام ظاهر!
إذا أوقفت سن قلم الزمكان على ختام الأندلس لظننت أن هذه لن تكون فقط نهاية وجود في بقعة؛ بل نهاية الإسلام ذاته باجتماع الظروف!
أنت الآن فقط مُحمَّل بحقيقة أن الإسلام لم ينته وقتها فلا تشعر بالرهبة: لكن لو عشت تلك اللحظة فغالب الظن أنك كنت ستعتبر هذه هي النهاية، ولن تكون وحدك أول من يشعر بهذا حينها؛ فقد آمن بها قبلك (بيلاجيوس)، المندوب البابوي في الحملة الصليبية الخامسة، الذي قدَّم له الخائن المدعو بالكامل (!) محمد الأيوبي عروضا سخيَّة منها تسليم بيت المقدس التي حررها صلاح الدين منذ أعوام قريبة. وقد رفض مندوب البابا بصورة حاسمة! لقد كانت جيوش الصليبيين أكبر من جيوش المسلمين المصرية وكانت قد احتلت دمياط بنجاح كبير وقد ارتأى المندوب البابوي أن المسلمين في اندحار بالمغرب العربي كله بعدما تكسر أكليله الأندلسي، وهم في اندحار بشمال الشام من مملكة أرمينيا النصرانية، وفي اندحار بالشام من تقاتلهم بين بعضهم البعض بينما الصليبيون أقوى منهم في سواحلها. والمغول قادمون من الشرق يدهسون المسلمين والبشرية كلها دهسا!
لقد رفض (بيلاجيوس) عروض الخائن الجبان بغطرسة بالغة؛ فالإسلام ينتهي شرقا وغربا وشمالا. لقد حالف التاريخ بين ثلاث جهات غير مترابطة لإبادة الإسلام وأخذ دياره بينما أقوى ملوك المسلمين في مصر يكاد يبكي لرباط الصليبيين في دمياط ثلاث سنوات رافضين بكل عُنجُهيَّة عروضه الاستسلامية!
لكن لا تسونامي كبير نهائي! هي أمواج ازدادت ارتفاعا أم انخفضت، جابهت صخرا أم زبدا: تظل أمواج لا أكثر!
كيف يفهم هذا من ينتظر ضربة حاسمة قاصمة مفاجئة ينهي بها الجولات الآن؟! كيف يفهم سنة الله في أرضه من ترك تدبر التاريخ وجعله كله عبارة عن دوامة تصب الآن الآن في فجوة ختامية؟! ثم كيف يفهم هذا من لا يؤمن بوجوب موجات التدافع هذه أصلا! من يؤمن أننا لابد أن (نتعايش مع الجميع) وأن هذا هو الأصل الإنساني الذي يسعى إليه الجميع لولا أفكار (الصراع بين المؤمنين والمعاندين) التي تموج في عقول المتطرفين؟! إن كان الأولون قد اتفقوا في وجوب الصراع وخالفوا في إدراك عدم لزوم التسونامي والضربة القاضية؛ فقد خالف الآخرون في أصل وجوب الصراع رأسا!
فمتى يستفيق الحالمون ويزدادوا هدوءا!
إن الهدوء والثقة صلابة، والتهور والرضوخ موات!

(فبراير 2016)

ماذا لو كان صلاح الدين يقاتل في واقعنا المعاصر؟
كم متفلسف كان سيعتبره خطرا على بنية المجتمع المدني وكان سيعد نفسه مقاوما لعسكرته الأيوبية للدولة /ونقلها من الخليفة الفاطمي (المدني) إلى ثقافة الطراز العسكري الحاكم التي كانت سائدة في العالم وقتها؟!
كم سلفي كان سيعتبره أشعريا مبتدعا صاعد النجم فهو بالتالي أخطر من العبيديين الآفلين، خاصة وهو لا ينشئ المدارس الحنبلية ولا يعتد بغير الأشعرية؟! كم سلفي كان سيحذر الناس منه ويطالبهم بعدم تمكينه؟
كم أشعري شامي (زنكي الدولة) كان سيعتبره خارجيا مجرما يقتل المسلمين ويحاربهم في قتاله لخلفاء نور الدين محمود وعصبة دولته المقطَّعة؟!
كم متذاكٍ كان سيعتبره جاسوسا يخوض السنوات والسنوات في حربه لإمارات الشام بينما يوجد الصليبيون على مرمى حجر منه ولا يهاجمهم؟! أيذهب لحصار الموصل مرة تلو المرة بينما القدس في مأمن بيد الصليب؟!

من كان سيتأول له قتاله للفاطميين وأنصارهم؟ ثم قتاله للشاميين وأنصارهم؟ ماذا لو كان قد مات قبل السنوات العشر الأخيرة من حياته التي قضاها في حرب الصليبيين؟ كم لاعن كان سيلعنه في التاريخ باعتباره الطماع الذي أفشل جهود عشرات السنوات الزنكية والنورية؟!

كم لاعن كان سيلعنه على فك حصاره للكرك هربا من مواجهة قائده نور الدين محمود؟! كم من شخص كان سيتهمه بالتآمر مع الصليبيين؟ كم من شخص كان سيدعوه بالخائن الذي غدر بسيده؟

كم شخص كان سيتهمه بأنه يفسد الحياة على المسلمين ولا يحقن الدماء بتدميره بعض المدن التي يتوقع سقوطها بيد الصليبيين كعسقلان وغيرها؟!

ثم كم متحمس غالٍ كان سيعتبر مجرد تفاوضه مع الصليبيين وهو في موقف استعصاء عسكري كمعاركه مع ريتشارد -هو خيانة للدين والملة؟

كم لاعن كان سيلعنه إن نجح فريدريك بربروسا في الوصول للشام بجيشه المرعب الذي فاق المئة وخمسين ألفا؟!

كم شخص كان سيتهم صلاح الدين بالتهور والجنون والتسبب في كارثة للمسلمين عندما فتح القدس واستفز الغرب كله للحضور، بينما جيوش صلاح الدين في كثير من الأوقات لم تكن تعبر حاجز العشرين ألفا!

فريدريك باربروسا الألماني قادم شمالا بمئة وخمسين ألفا (أو مئتي ألف في بعض التقديرات) وريتشارد قلب الأسد الملك الإنجليزي المرعب وفيليب أغسطس ملك فرنسا كلاهما على رأس حملة بحرية قوامها يقارب الخمسين ألف جندي! هناك ربع مليون أوروبي قادم بسبب فتح صلاح الدين للقدس وعلى رأسهم أكبر ثلاث ملوك: ملك ألمانيا وملك فرنسا وملك إنجلترا! ومن اتجاهين مختلفين وبثقافتين عسكريتين مختلفتين!

يقال أن المسلمين في مصر والشام اعتبروا أنفسهم في حالة ما قبل الإبادة المحققة طوال عامي تحرك فريدريك بالذات عبر أوروبا والأناضول! ماذا لو وصل فريدريك فعلا؟ ماذا لو أباد المسلمين في الشام ومصر؟ هل كان انتصارا صلاح الدين في حطين والقدس سيعتبران نصرا حقيقيا وعبقريا للمسلمين أم كانا سيعتبران مغامرة رجل متهور لم يُقدِّر حجم قوته الحقيقية مقابل القوة المهيبة للغرب؟!

ماذا لو كان صلاح الدين دائم الانتصارات الباهتة لكن بلا نصر لامع كحطين أو فتح القدس؟ ألم يكن تاريخه ليصبح كبيبرس البندقداري الذي أجلى المغول والصليبيين وبرغم ذلك ليس بصاحب صيت يداني صيت محمد الفاتح أو صلاح الدين، بسبب غياب انتصاره في معركة كبيرة صارخة انتصارا تاريخيا لامعا مذهلا قلب الدنيا كفتحي القسطنطينية والقدس!

كان صلاح الدين سيُلعن باعتباره أشعريا مبتدعا مجتهدا في نشر بدعته في مصر! كان صلاح الدين سيُلعن باعتباره خارجيا سفاكا لدماء مسلمي الشام الزنكيين والنوريين وقاتلا لأهل الإسلام تاركا لأهل الصلبوت! كان صلاح الدين سيلعن باعتباره المتهور الذي خرب مدن المسلمين العامرة بدلا من تسليمها للصليبيين الشاميين الذي كانوا قد تعلموا عدم الإبادة والتعايش مع مسلمي المدن المحتلة! كان صلاح الدين سيلعن باعتباره المتطرف الذي تسبب في إثارة أوروبا وتجييشها لأقوى أمم الأرض وقتها وتوحدها على المسلمين (الجرمان الهمج والفرانكيون المجرمون والإنجليز السفاحون)! كان صلاح الدين سيذكر في التاريخ باعتباره المتهور الذي تسبب في إبادة مسلمي الشام ومصر إن وصل بربروسا بنزعته الأوروبية الصليبية الخام!

رحمك الله يا صلاح الدين ورضي عنك يا صاحب الخاتمة طيبة الذكر.. كم كنت ستلعن في وقتنا هذا.. حيا أو ميتا! ناجحا أو فاشلا! فاتحا أو منتكسا! كنت ستُلعن وستُخوَّن وستبدَّع وسيقال عنك عميل لمخابرات الغرب أو فاسد العقيدة أو خارجي أو فاشل متهور ومجنون!

رحَمَك الله من زماننا، بوضعك في زمانك اللعين!

نعم قد كان زمانك على اللعنات التي سممت أجوائه أفضل من زماننا المخبول هذا!

(يونيو 2016)

يمثل د.سهيل طقوش وأمثاله من المؤرخين الموسوعيين -الذين ينتجون بغزارة تأريخا يكاد يغطي كافة الدول الشرقية: نموذج حي لمشكلة طلب الموسوعية، ومشكلة البحث التلفيقي، ومشكلة الباحث غير العقدي!

د.طقوش كتب عن غالب دول الشرق وفي مناطق مكانها شبه معتم في المكتبة العربية كإيلخانات المغول وسلاجقة الروم وتاريخ الكرد. موسوعية حقيقية..

ثم إنه يكتب بأسلوب واحد تقريبا، يمزج فيه تاريخ الموضوعات بتاريخ السرد المستمر، وبأسلوب فيه شيء من المتعة بلا إملال.

أما الموسوعية: فلأنه من الواضح أن الدكتور مشغول جدا بتقديم مشروع شرقي شبيه بمشروع (قصة الحضارة) الشهير.. تاريخ يغطي الشرق الإسلامي بأكمله في كل مكان (الشرق بالمعنى الاصطلاحي المواجه للغرب، فالأندلس والمغرب العربي داخلين فيه).

هنا تظهر المشكلة التي أخذت على قصة الحضارة ذاتها من قبل: أن تلك الموسوعية تعني الاعتماد الكامل على أبحاث الآخرين المدققة.. بالتالي فسينتقل الكاتب التجميعي من مكانة (المؤرخ) لمكانة (الباحث العادي)! مثال على هذا: في كتابه عن السلاجقة تجد إبداعا غير عادي -فتخصصه هو التاريخ التركي.. هنا الدكتور طقوش يستجلب المصادر الأصلية الكثيرة.. وتلاحظ أن هناك منهج موحد في الأحكام والتقريرات.. الرجل أتيناه في ملعبه.

لكن هذه المرتبة فجأة تصاب بنكسة كبيرة في كتابه عن مغول الهند مثلا! هنا يظهر (المنهج التلفيقي) البحثي ناصعا بصورة مخجلة! أورنجزيب متعصب دينيا في فصل.. بعد صفحتين أورنجزيب لم يكن متعصبا! ثم خليفة أورنجزيب أراد رفع تعصب والدة المذهبي!

قبل عشر صفحات أورنجزيب تسامح مع الهندوس.. بعدها أورنجزيب هدم معابد الهندوس!

تلفيق واضح من مصادر محدودة حتى ليظن القارئ أن الدكتور لم يقرأ هو ذاته البحث بعدما فرغ منه! ليس هناك منهج واضح في البحث إلا التلفيق! بصورة أقل وضوحا يظهر هذا في كتابه عن الدولة الفاطمية وإن كان قد أحسن سبكه جدا وهو من أفضل كتبه!

هنا تظهر إشكالية أخرى ترد على الدكتور طقوش: في كتابه عن العرب قبل الإسلام تجد تقسيما مشابها بصورة مريبة لكتاب (توفيق برو)! كتاب توفيق برو قام على سرد للموضوعات وكان مبناه صراحة على موسوعة د.جواد علي.. لكن د.طقوش بعده بأعوام يخرج كتابا قائما على تقسيم مشابه جدا (وهو ما يختلف عن أساليبه المعتادة في تأريخه) فيقسم الكتاب إلى موضوعات محاكية بصورة عجيبة لبرو! وهذه الإشكالية وإن كانت متعلقة بالنزاهة إلا أنها متعلقة بالمسألة الرئيسية ها هنا: طلب الموسوعية والإصرار على الكتابة في كل أقسام التاريخ الشرقي الزمانية والمكانية، بمعدل إنتاج غزير، ومنهج التلفيق مرة أخرى!

أخيرا تظهر مشكلة الباحث غير العقدي بصورة واضحة جدا في بحثيه (الدولة الفاطمية) و(الدولة الأموية) ولم ألتفت بعدهما لكتابيه عن السيرة والخلفاء الراشدين! الدكتور طقوش تجده يعرض بصورة ممتزة أحداث بيعة أبي بكر والخلافات بين السنة والشيعة بما يعتبره حيادا، لكنه في الحقيقة يعطي انطباعا أن الصحب الأوائل كانوا يلعبون سياسيا لا أكثر ولا أقل، -الصحابة الأوائل هنا كانوا الخلفاء الأربعة كما لابد أنك لاحظت!- وبسبب هذا التلاعب السياسي حدث الانفصال السني الشيعي (يسميهم الطالبيون في الأغلب)! في كتابه الدولة الأموية تجد هذا المزيج التلفيقي مدعي الحياد واضحا ولكن في الفاطمية ظاهر رغم جودة الكتاب العالية، هناك سرد سريع لعيوب خطيرة ومنهج واضح في تمجيد المآثر السياسية (هكذا يمجد المعز الفاطمي وأكبر الهندي تمجيدا هائلا ويمرر طوامهم سريعا في صفحات موجزة وإن علق كان تعليقا مقتضبا)!

مشروع د. سهيل طقوش إجمالا أرفع في المستوى البحثي والمعلوماتي من مشروع الدكتور الصلابي من قبله. قارن مثلا البحث المهزلة المسمى (الدولة الفاطمية) عند د.الصلابي بمثيله عند د.طقوش لتعلم الفارق الشاسع: د.الصلابي صنع نشرة للتحذير من الشيعة وجاء بتاريخ أكبر حكام الفاطميين في صفحات معدودة وبصورة مختزلة لدرجة الفضيحة! د.الصلابي في نفس البحث هاجم صراحة المؤرخ الذي يكتب بلا عقيدة ويعرض للناس التاريخ بزعم الحياد متجاهلا الآثار الكارثية: الحقيقة أن هذا هو رأيي تحديدا -المؤرخ حقا هو من يتعمق ويتأمل ويهضم ويقارن ويكون له منهج وذوق في فهم التاريخ، لا من يقدم لي بحثا محبوكا ثم أجد فيه أورنجزيب متعصبا متشددا أضاع مجهودات آبائه من بابر لأكبر في صفحة وفي التالية أورنجزيب في الحقيقة لم يكن متعصبا متشددا! لكن مع ذلك فلا تنخدع بموافقتنا له؛ فمنهج د. الصلابي فيه غلو غير طبيعي في عرض التاريخ بصبغة أبيض وأسود الكارثية (أهل السنة اللون الأبيض والباقي الأسود) وبطريقة النشرات الدعوية في أحيان كثيرة، وانتقائيته صارخة مستفزة عامة -ثم بعد كل ذلك لا تقدم صورة شمولية حقيقية للأحداث! ويا ويله يا سواد ليله من تخرج متمنهجا في قراءة الواقع بناء على مثل هذا التأريخ!

مع كل هذا: ومع رفض منهج تأريخ د.الصلابي إلا أنه يمكنك بوضوح ملاحظة أن تلك الإشكالات الواردة على د.طقوش لا ترد على د. الصلابي! د.الصلابي رجل له عقيدة يؤرخ من خلالها وواضح أن له نظرية شاملة -وإن خالفناها بل حذرنا منها- لكنها نظرية حقيقية يقدم من خلالها مؤلفاته وبحوثه.. الدكتور طقوش بسبب الموسوعية المطلوبة وبسبب منهج التلفيق وبسبب تقديم التقويم السياسي على أي اعتبار آخر: يصعب عليك بل يكاد يستحيل أن تعرف ما هي نظريته حقا، هل هو من المدرسة الواقعية السياسية -ظني أنه أقرب لها- أم من مدرسة الأيدولوجيات المتوافقة -يمجد في بعض الأحيان في السلام العالمي والديني- أم هو من مدرسة المتصارعين -تجده في بعض الأحيان يذم سنيا أنه لم يتصدى للشيعة أو لم يستخدم قومية معينة!

غياب (النظرية) عند المؤرخ عيب ثقيل، وليس ميزة كما يعتقد البعض! لكن أي نظرية؟! وتبقى المؤلفات في النهاية، وبالحكم العام: جيدة جدا.. لكن ليس لأي أحد! بل ستكون مضللة لمن لم تستقر في نفسه عقيدة وقد تجعله يرى التاريخ علمانيا يستخدم الدين لا أكثر ولا أقل!

(يونيو 2016)

للأمة الإسلامية وشريعة خاتم النبوة خصائص ليست في غيرها. من هذه الخصائص: الجهاد، الذي قد تتعلق به مسائل إيمانية لا يدركها المرء بسهولة مثل: فتنة القبر! نقل السيوطي في كوكبه الساطع الآراء في هل فتنة القبر خاصة لأمة الإسلام فقط أم عامة لكل الأمم، ثم أورد نقلا رائعا عن الحكيم الترمذي، يجعلك تستشف منها ملامح تلك الخاصية ولماذا قياس الإصلاح الإسلامي وإصلاح رسول الله خاتم النبيين على غيره والتهوين من الفوارق: خطأ فادح!

يقول الحكيم الترمذي: "**إنما سؤال الميت في قبره في هذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبَوْا كفَّت الرُّسل واعتزلوهم، وعُوجلوا بالعذاب. فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة إماما للخلق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أُمسك عنهم العذاب وأُعطي السَّيف حتى يدخل في دين الإسلام مَن دخل لَمهابة السَّيف، ثم يَرسخ الإيمان في قلبه، فأُمهلوا.**

فمن ها هنا ظهر أمرُ النِّفاق، وكانوا يُسرُّون الكفر ويُعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيَّض الله لهم فتَّانَي القبر، ليستخرج سرَّهم بالسُّؤال، وليَمِيز اللهُ الخبيثَ من الطَّيِّب، فيثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويُضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء".

من تولى حماية الدعوة والدين في الأمم الماضية والزود عنها حين الانكسار؟ رب العالمين، بتدخله المباشر. لقد كان العقاب فيها نازل من عند الله ذاته جل جلاله عند صد الدعوة. أما هذه الأمة فقد أمرها الله -من بعد بني إسرائيل- بالسيف والجهاد لعقاب المعاندين.

من هنا يظهر لنا مكر الخفي: أن مبتغي قياس واقع المسلمين المعاصر بواقع أقوام وأتباع أنبياء لأديان ذات خصائص مختلفة، حيث كان الله قد تكفل بعقاب معانديهم إن يئسوا من مجتمعاتهم: شخص متحامق! ليس في ديننا تلك الخاصية: العقاب الإلهي بالتدخل الإعجازي المباشر. ليس في دين الإسلام: لأن الله قد شرع لنا الجهاد وأوجبه على الأمة.

ثم إنه يتجاهل أن دعوة الإسلام فيها شريعة سلطة مأمورون بتنفيذها -فأقرب قياس يمكن أن تقاس عليه شريعتنا: هي الشريعة التي أنزلت على موسى. تلك التي رافقها الجهاد أيضا بمجرد النزول!

هنا أريد التوقف لحظة لبيان ذلك:

لقد قضى موسى عليه السلام مرحلتين متباتنين في الدعوة، يظهر منهما بوضوح ما أريد قوله وفوارق القياس. في المرحلة الأولى دعوة نبوية بالأسلوب العام للأنبياء قبل الشرائع: دعوة فرعون وقومه للإسلام ولتوحيد الله ربا وإلها والإيمان بالنبوة. في هذه المرحلة لم تكن هناك شريعة ولم يكن هناك قتال وجهاد، هذه علامة على كونها كسابقتها المحمية بتدخل الله المباشر.

ثم لما فشلت تلك الدعوة مع فرعون -صنع الله به ما صنع من تدخل إعجازي مباشر والقضاء عليه مع جيشه. هنا تنتهي مرحلة الدعوة النبوية المعتادة العامة التي يقيس عليها المغالطون، لتبتدئ المرحلة الثانية التي تشبه الإسلام والتي نسخت التدخل المباشر الإعجازي: مرحلة الشريعة والملاحم والقتال والجهاد. نزلت الشريعة في سيناء ونزل معها الأمر بالجهاد والقتال: لاحظ ترافق الشريعة بوجوب قيام سلطة وبالتالي وجوب قيام الجهاد، هذا الترتيب الطبيعي المنطقي كان يلزم منه أن يعلم أهل الدين أنه لا يمكنهم أن يتخاذلوا لأن ضمان التدخل الإلهي المباشر في تلك المرحلة يعني التواكل وترك الجهاد.. من هنا يمكننا أن نفهم لماذا قالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون! لقد كانوا يعتقدون أن المرحلة الجديدة كسابقتها: فليذهب النبي مع ربه وليدع موسى بهلاك العدو بمعجزة من السماء فتنزل الخوارق وطيور أبابيل ويثور الجو والبحر؛ لكنهم لم يستوعبوا أن هذه المرحلة (مرحلة حمل الشريعة) تعني انتهاء هذا التواكل وابتداء طور جديد.. وفي هذا الطور: لا ينصر الله القاعدين المتواكلين، بل يخزيهم ويزيدهم ضياعا -فضاعوا في التيه!

هذا هو أقرب طور للإسلام من كافة الأديان، بل نجد الإسلام منذ الابتداء والنبي يعلم ما هو صائر إليه: الأمر شديد وهذا الدين يستلزم أتباعا وسيادة متى جاءت الفرصة. ودليل هذا الكلام ما هدد به النبي كفار قريش: (جئتكم بالذبح)، وما استوعبه أحد رجال بيعة العقبة الأولى عندما حذر أهل المدينة أنهم سيقاتلون العرب والعجم فلينتبهوا لما يبايعون عليه؛ لذا فبمجرد اجتماع الفئة المؤمنة والانحياز إلى بلد وبدء مرحلة التشريع: بدأت السلطة، ومع السلطة بدأ الجهاد.

هكذا يكون قياس الإسلام بخصائصه تلك على عموم دعوات الأنبياء من قبله: معناه انتظار لمعجزة تبيد المخالفين، لأن هذا كان من خصائص الأديان الأخرى!

يعني أننا سننتظر صاعقة تحرق أمريكا، وزلزالا مهلكا يضرب إسرائيل، ورفعا لفرنسا إلى السماء قبل قلبها وهدمها!

يعني انتظارنا لمعجزات ينصرنا الله بها ونحن قعود: دون أن نكون أنبياء، ودون أن يكون عصرنا عصر معجزات!

(سبتمبر 2016)

أخ واقع في ضيق وكرب، وآخر واقع في تفاؤل عجيب!

هذا هو حال المؤمنين بفكرة أنه لابد من (جيل حاسم) و(جيل قرآني) يجيء على يديه النصر والتمكين للإسلام!

أما لو أدركوا أن حركة التاريخ (ضارب ومضروب) و(منتصر اليوم مهزوم غدا) إلى الأبد، ثم لو تأملوا في أن قيام القيامة على شرار الخلق يجيء بعد طوبيا نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، وأن الزمان متقدم أبدا وهو بين جبال وسهول وأخاديد، وأن كثيرا ما يكون الجبل مزروعا بالأشواك وتكون الأخاديد مواطن النجاء.. وأن النصر قد يجيء بغير هذا الجيل الطوباوي المنتظر.. لهدأت النفوس قليلا وساهمت بصورة أكثر تماسكا في (المطحنة) الدائرة أبدا.

دائما: من أول من حاول فتح القسطنطينية؟ الصحابة، أصفى عقيدة وأجمل نفوس رضي الله عنها. ماذا كانت النتيجة؟

ثم من الذي (فتح) القسطنطينية فعلا؟ هل تعرفون كيف كان جيش الفاتح عقديا واجتماعيا وكيف كان حال الجيوش في هذه الأعصار؟
لقد (فتح) الله القسطنطينية بعد قرون طويلة.. حين جاء موعد الفتح.. وبعد مئات الانتصارات والانكسارات والمحاولات الهجومية الفائرة المنتشية في شرق القسطنطينية والمحاولات الدفاعية اليائسة المنكسرة في شمال حلب! بين مد وجزر ومد وجزر! ليس من الصعب فهم لماذا ماثل الباحثون الأوربيون بين ضياع بيزنطة والقسطنطينية واستعادة الأندلس وقرطبة: إن هذا كان تتويجا لمئات السنوات من الصراع المتبادل.. نتاج مجهود أشعلته (أشتوريس) ونتاج مجهود بدأه أمويو الشام ولم يتعجل أيهما حصد الثمار بانتصار نهائي ختامي في خلال أقل من قرن! لم يكونوا عباقرة بالتأكيد يضعون الخطط المؤامراتية لألف عام، لكنهم كانوا يدركون أن حركة التاريخ بطيئة والمهم هو (إدارة الصراع الحالي) دون النظر طوال الوقت، وقبل الأوان، للحظة الفتح النهائي وختم التاريخ بجيل فريد! لا، لن ينتهي التاريخ بجيل فريد ولو فتحت غدا فلسطين كلها لما كان غريبا أن يتطاحن الفاتحون على من سيقوم بالحكم والإدارة عرقيا أو طائفيا!
لن يكون الفاتحون ملائكة بيض المظهر والمخبر، ومن يتوقعهم كذلك سينتظر أبد الآبدين ولن يعترف بفتح أبدا حتى لو عادت القدس قبلة الطهر المقدس بلا دنس اليهود والصلبان.
جيل النصر قد يكون مليئا بمواطن الانتقاد والذم، وقد تكون أخلاقياته ليست على المستوى، لكنه سيصيب الأسباب المادية واللحظة التاريخية المناسبة للفتح.. وقد يشتبك ويتصادم بعدها. المهم أن (جيل الملائكة) لن يأتي أبدا.
هذه اليوتوبيا الإسلامية الجهادية لابد أن تنحسر من النفوس، ويتم التفرقة بين ما هو نموذج مثال أعلى يُنشد الوصول إليه، وبين ما هو موجود أمامنا في الواقع من عمل بشري. من ها هنا يجيء النقد الذي يستحيل توقفه أصلا: فالنقد يجيء لتقويم البشر الحاكمين والمقاتلين ومحاكمتهم إلى أنموذج أمثل واجب الوجود، هو نقد لوجود الفارق بين المثل والواقع ومحاولة تقليل هذا الفارق وإعدامه متى أمكن.. ولا إعدام!
لكن اعتقاد أنه لا يمكن أن يكون الحاكمون والمقاتلون إلا تحقق كامل لهذا النموذج، سيؤدي إلى ما نراه إما من تبرير وتقديس لهذه المجموعات المشتبكة (كما يُصنع مع حماس وتنظيم الدولة والقاعدة والإخوان وغيرهم) وإما ذم دائم لهم لا يتوقف أبدا باعتبارهم ليسوا هم (الجيل القرآني) والتحقق المثالي للدولة النموذجية الأسمى إنسانيا وتاريخيا: دولة الإسلام!

(ديسمبر 2016)
وأيم الله. إنما كل الرزايا والنائبات الجاريات ما أوقعوها إلا ليُلقى في قلوب الذين آمنوا الرعب، كما ألقوه في قلوب الذين من قبلكم!
وإنهم لن يتوقفوا -إن سلمتم- إلا وقد صنعوا فيكم صنيعهم في الأمة اليابانية والأمة الألمانية، نزعا لمقاومة الاغتصاب من أغوار فكركم وأنفسكم؛ بله الاستمتاع بمجاراة المغتصبين في حكيهم وتدليسهم للتاريخ ولعن كل من تصدى لهم يوما!
بل لا! إن ما تنطق به صدورهم وألسنتهم فيما يرغبونه لأفحش وأطغى!
إن كل مخذل ومرجف وكل ديمقراطي نتن، هذه أيامه.. وقد كان كل مؤمن عارف بمسار الأحداث والتاريخ يعلم علم اليقين أن هناك جزر كبير عقب المد الجارف. وأن لحظة التراجع مخرجة كل ما طمرت الرمال من أفاعٍ وحيات نهزة لتصرخ بفحيحها حتى تضج منها الأرض ويحسب الناس أن لا صوت يعلو فوق قبح نكارتها.
إن كل هذه المعارك والحروب التي خاضوها منذ سنوات لا هدف لها إلا اجتثاث فكرة (أن تقاوم) من داخل أعمق أعماقك. هم لا يأبهون كثيرا بعوام الناس قدر اهتمامهم بأن تؤمن النخبة نفسها أن لا أمل.. أن لا خروج.. أن الحل الوحيد لإعادة دولة المسلمين لن يكون إلا بصاعقة ربانية تضرب أمريكا وروسيا وكل العالم! أو ربما نيزك! أو غزو فضائي!
أما أن يأتي النصر (من أرض المسلمين) فهو المحال! انتظروا المعجزة التي تدمر العالم كله وتبقيكم أنتم كي تعودوا أمة ودولة!
ما حربهم المستعرة تلك إلا لكي تؤمن أنت -يا من تعلم وتقرأ- إيمانا يقينيا صامدا: أن لا نصر! كي يقولوا لك استهزاء كونوا قردة أو خنازير، ألمانا أو يابانيين! قد نجعلكم رواد فضاء وصناع تلفزة وتكنولوجيا يوما لكن إرادة القتال والعسكرة والشعور بالتميز الديني والتفوق النفسي سنلقي بهم إلى غياهب الجب!
لا والله التاريخ ليس كذلك.. ولا حضارات الدنيا قامت ولا بعثت بذلك! إن كان ثمة قاسم مشترك بين كافة الأمم التي صعدت بعد انهيار وأدالت الدول بعد انحدار هو أنها لم تستمع للمخذلين ولم تترك مقاومة الأفاقين! يقولون لكم كونوا كأوروبا، فهلا كنا كأوروبا الأسبان الذين ظلوا ثمانية قرون يقاومون ولا يتخاذلون إلا قليلا؟!
الأيام القادمة أيام صعود الديمقراطيين العرب مرة أخرى، بعدما صمتوا خزيا وعارا وشنارا لثلاثة أعوام وزادهم الانقلاب على إردوغانهم حيرة فوق حيرتهم.. أما المعوقون فلم يتوقفوا -قبحهم الله وأخزاهم- يوما عن التخذيل.. وهم منذ سنوات ينثون سمومهم بلا توقف ولا حياء.. ومنذ أشهر وهم في صعود انتظارا للخاتمة الرائعة بتدمير الموصل دمارا لا يبقي ولا يذر.. أكاد أقسم على الغيب أن لا أحد كان ينتظر سقوط حلب وما يزال ينتظر سقوط إدلب والموصل قدر هؤلاء المجرمين.. لا! ليس الأمريكان ولا الروس! هؤلاء الأسافل أكثر شغفا وترقبا.. ينتظرون أن يقولوا للناس قد قلنا وقلنا وقلنا.. عودوا وارجعوا وإياكم إياكم ثم إياكم!

الجزر هذه المرة لن يكون بسيطا.. وقد لامني غير أخ قبل عام أو يزيد عندما ذكرت في طيات منشور أن السنوات القادمة فيها انهيار قادم ومتوقع وطبيعي جدا.. سينفض الحفل وسيرجع كل ضعيف النفس إلى ما كان يصنعه وسيلحد الجمع الكثيف أو يتعلمن أو يتمقرط أو يتدروش.. والمنتصر الوحيد هو الثابت عن عقيدة.. الذي يعلم أن الانتصار تتلوه هزيمة والهزيمة يعقبها انتصار وأن الخير المحض معدوم في زماننا والنصر المحض أبدي الأثر معدوم في كل الأزمان!

لست آسف على أحد وإنما كنت ولم أزل منذ سنوات منشغلا بنفسي، وما كتبت حرفا إلا وأنا أوجهه لنفسي أولا.. ولم أتوقف عن الكتابة إلا رغبة لا تفتر عن تذكير نفسي! إن ذاك الأبعد الذي يزرع فيك أن صلاح ذاتك والانشغال بنفسك يعني عدم انشغالك بهموم المسلمين وآلامهم هو الكذاب الأشر! بل إن اهتمامك هذا هو سبيل صلاح نفسك ورفع همتك لطلب المعالي. فاللهم أصلح نيتي وأصلح نفسي وأصلح أمتي واقمع اللهم المعوقين والمجرمين والطغاة أعداء الشرعة والدين الغربيين منهم والمشرقيين.

الفصل الثاني: **إسلاموطوبيا الإنسانوية**

وضعت هذا العامل بعد إسلاموطوبيا التأريخ لأنه مكون رئيسي لفكرين كبيرين سأعرضهما لاحقا في الفصول التالية: وهما الفكر الليبرالي والفكر النقدي، حتى وإن كان الفكر النقدي يهاجمها تحت عنوان شن الحرب على الهيومانية/الإنسانوية؛ لكن وجودها في أطروحته أوضح من أن يتم التسليم لرموز هذا الفكر بأنهم يصنعون معارضة حقيقية لكل أركان تلك الفلسفة! إذن هي هنا مدخل لما هو قادم.

إن جذر القضية والخلاف يتمثل في أشهر شعار للإنسانويين (العالميين): ألا وهو رفض تسليمهم بأن (الأمر الإلهي) هو معيار تفريق الحق من الباطل.

وهذه قضية قد نوقشت بصورة ما داخل التراث العقدي الإسلامي تحت عنوان التحسين والتقبيح العقلي، وفيها جدال وصدام معروف وكبير بين الأشاعرة والمعتزلة. وهي محور فرع كبير من الفلسفة اسمه فلسفة الأخلاق.

والمشهور في هذه القضية أن مذهب الأشاعرة كون كل فعل ليس قبيحا أو حسنا بذاته إنما بسياقه، بينما المعتزلة يرون أن الفعل منه القبيح ذاتيا ومنه الحسن ذاتيا، والعقل هو القادر على تلك المعرفة دون وجوب نزول وحي.

لنوضح أولا أن رؤية المعتزلة للأمر قد تخدم الرؤية الإنسانوية للأخلاق: فما دامت (كل) الأفعال قبيحة أو حسنة بذاتها، وما دام العقل يستطيع الوصول وحده إلى الحسن والقبيح –فما فائدة الإله والشريعة إذن؟

إن الحجة القائمة على أن معيار صواب أو تخطئة الأفعال مُنزَّلٌ من الإله- ما يسمونه في الفلسفة الحديثة بنظرية (الأمر الإلهي)- تصبح غير ذات علاقة ها هنا؛ بل إنه -وبحسب وجهة نظر المعتزلة- قد يُنصر المذهب الإنسانوي الذي يقول بأن الأمر لا يحتاج إلى إله لمعرفة الحق من الباطل والحسن من القبيح. هكذا قد يقدم حل المعتزلة للمعضلة الأخلاقية بهذا الشكل إلى الإنسانويين دليلا يدعمهم على طبق من ذهب!

بينما ترد إشكالات من الجهة الأخرى على رأي الإمام الغزالي في إطلاقه عدم قبح أي فعل أو حسنه ذاتيا. فالشذوذ الجنسي لم يتم تحسينه مطلقا في أي شرعة من شرائع رب العالمين، وقد كانت إحدى حجج الإنكار عليهم: أنها (فاحشة) لم يأت بها أحد من العالمين قبلا؛ فهذا تقبيح للفعل ذاته لا تقبيح له في سياقه فقط.

الشذوذ الجنسي مستقبح مطلق في أي سياق. وليس كما احتج الإمام الغزالي أن قبح الفعل أو حسنه مرتبط بالسياق. ويرد عليه كذلك أن الظلم والطغيان مستقبحان في أي سياق. وقد سمى الله أفعال فرعون مع أهل مصر (طغيانا) قبل أن يبعث الرسل إليه.

لكن مهلا: هل يعني هذا أن العقل وحده هو القادر على معرفة الحسن والقبيح؟! وأن هناك حسنا بذاته وقبيحا بذاته؟!

هنا يبرز مفهوم الفطرة الإنسانية عند شطر كبير من أهل السنة بديلا لإسناد كافة المهام للعقل: فالفطرة قادرة على التعرف إلى الفعل القبيح بذاته والفعل الحسن بذاته بجوار العقل.

وتفرد العقل وحده بالتحسين والتقبيح خطير بما يكفي للتخوف منه، فقد أثبت التاريخ الفلسفي أنه لا يكاد يوجد شيء مستحيل تقبيحه أو تحسينه بالأدلة العقلية!

فقد عاينًا الشذوذ الجنسي وقد قبحه العقل يوما مستعرضا الأدلة على قبحه. ثم هو هو نفس العقل حسَّنه في اليوم التالي مستعرضا الأدلة على حسنه وقبح من يعاديه!

ولم يكن الوصول للنسبية وما بعد الحداثة سخفا أو مؤامرة أو عبثا: بل هو نتاج طبيعي جدا لمعارك (الاستدلال العقلي العلموي) التي انتشرت طوال ما قبل القرن العشرين. لقد حسَّن العقل كل شيءٍ ونقيضه بين الفرق المتناحرة، وبين نفس الفريق ذاته في زمنين متباعدين! إن الاعتماد على مجرد العقل للوصول إلى القبح والحسن في كافة الأشياء مغامرة ثبت خرقها.

والقول بأن لا شيء قبيح ولا حسن بذاته أمر فيه إشكال كذلك كما ذكرنا، هنا يتجلى دور الفطرة الإنسانية في تقديم تعزيز إضافي: فالإنسان مفطور على استقباح الشذوذ وحب النساء، مفطور على بغض الظلم والطغيان وحب العدالة، مفطور على الإيمان بوجود إلهي غيبي. ولا اعتبار لسخافات الملحدين وعبثهم بادعاء أن هناك (نوع) إنساني مفطور على حب الجنس مع مثيله، فهذا قول لا دليل عليه من الناحية العلمية إنما هو رائج زيفا، وما عبثهم المسعور بحثا في الجينات عما يؤيد زعمهم بلا جدوى إلا دليل سخافة ادعائهم المتهافت ذلك. نعم هناك فطرة موجِّهة، ولا تحتاج إلى رقي عقلي كبير: فحتى أكثر المجتمعات فقرا من الناحية العقلية والعلمية ستجد فيها إيمانا بالقوى الغيبية واستقباحا للمذكورات سابقا.

إن مفهوم الفطرة الإنسانية هام في المسألة الأخلاقية لأنه الحل الأمثل الذي يتلافى معايب نموذج رفض التقبيح والتحسين مطلقا ومعايب نموذج الإيمان بحسن وقبح يعرفه العقل منفردا دون تدخل إله خالق.

كما أنه يحصر الأفعال الحسنة والقبيحة في المجمع عليه إنسانيًا بالفطرة ويضع المعيار الكلي الشامل للصواب والخطأ الأخلاقي في أيدي من دل عليه: الإله.

هناك جزء كبير من الخطأ والصواب يتم تحديده وبالتالي تحديد كونه أخلاقيًا أم لا: بحسب الشريعة المنزَّلة. فالعقل بذاته، على سبيل المثال، قد يقبح زواج الأقارب مدعوما بعلوم الجينات وما كشفته من احتمالات التشوه الكبيرة. لكنه قد يوسع من دائرة هذا التقبيح إلى مدى أبعد مما حدده الله سبحانه وتعالى في شريعته. فالإسلام لا يمنع (كافة أشكال) زواج الأقارب إنما يضع حدودا للمرفوض وغير الأخلاقي. بالتأكيد العقل لن ينجح في ذلك، أي تحديد المدى المستقبح.

هذا وزواج الرجل ابنة زوجتة التي من رجل آخر ليس فعلا مستقبحا بذاته ولا تقبيح عقلي واضح فيه؛ فهي أجنبية عنه بأكثر من ابنة عمه التي يتاح له أن يتزوجها في أي وقت برغم مخاطرة حدوث تشوه جيني؛ وبرغم ذلك فقد دلت الشريعة على (تحريم) هذا الزواج الأول وبالتالي عدم أخلاقيته.

وقل مثل هذا على زواج الأختين الأجنبيتين عنك: فإن زواجك من كليهما ليس فعلا قبيحا بذاته ولا إشكال عقلي مطلق فيه وإلا لتم تحريم إحداهما للأبد وهذا لا يحدث. لكن غير الأخلاقي هو (الجمع) بينهما في زمان واحد. إن الجمع هنا أمر لا تقتضي الفطرة كراهته؛ فلماذا تكرهه؟ هل لتقليل المشاكل المعتادة بين الضرائر؟! إن المشاكل حادثة لا محالة بين النساء إلا النادر الذي لا حكم له! الفطرة لا تكره هذا والعقل لا يقبِّحه ومع ذلك فالشريعة دلت على حرمته وبالتالي انتقل إلى خانة المحرم = (غير الأخلاقي). لكنه ليس فعلا غير أخلاقي بذاته وإلا كان على التأبيد كالشذوذ إنما هو غير أخلاقي في سياقه المحرَّم فقط.

إذن هناك نوعان من الفعل الحسن أو القبيح أخلاقيًا: نوع إنساني مفطور عليه كل البشر. ونوع إلهي ليس موجودا في الفطرة إنما في الشريعة المنزَّلة. وفي الفطرة ذاتها الطريق إلى هذا النوع: وهو الإيمان بإله وجب إعمال العقل للبحث عنه. ومن إعمال العقل

تجيء الأدلة العقلية على وجود الله وأي الأديان حق، ثم يتوقف ها هنا دور العقل في المسألة الأخلاقية عند الحلال والحرام. ولابد من ملاحظة أن التفرقة بين النوعين (القبيح بذاته) و(القبيح بسياقه) يحل إشكالا أخلاقيًا شهيرا كذلك: فإن الفطرة الإنسانية تكره قتل الأطفال والنساء بكل تأكيد. ونفس الفطرة تدعم قتل الأعداء. فإذا اجتمع في جيش يهدد المسلمين تهديدا كبيرا الآلاف من الأطفال والنساء وانعدمت أي وسيلة لكبح شر هذا الجيش سوى بإبادته عن بكرة أبيه: هل فطرة استقباح قتل النساء والأطفال أم فطرة حب إنهاء شر الأعداء الوجوديين هي التي ستنتصر؟

هنا تتدخل الشريعة لتعطي تراتبية بحسب سياق الحادث الجاري: في هذه التراتبية سيصبح المسلمون هم أصحاب الأولوية في الوجود ويتم الانتصار للخيار الإبادي إن لم يوجد غيره وتأكّد شر الترك والتجاهل.

هذا الحسم سيثير أزمة عند الإنسانويين وغيرهم ممن لا يفصِّلون مثل هذه التفاصيل ويصدرون أحكاما قيمية مطلقة لا تتأثر بأي سياق مثل ضرورة عدم قتل (الأطفال والنساء). وهذا من الناحية النظرية فحسب وإلا ففي الواقع لا يقوم بقصف المدائن والبلدان العامرة قتلا لآلاف النساء والأطفال والشيوخ إلا أكثر الناس تفاخرا بقيم دولهم الإنسانوية ورعايتها لحقوق الإنسان!

إن الإنسانويين المتمرسين المتعمقين يعلمون خطورة هذه المعضلة الأخلاقية أكثر من الإنسانويين الإسلاميين المهللين: فالأمر ليس هيّنا ولا بسيطا. والتهمة الأشهر التي توجّه لهم بأن إنسانويتهم هذه بدون إله وعليه ينبني وجوب النسبية الأخلاقية وغياب المعيارية. وهي تهمة لا يتم الرد عليها إلا بالتأكيد على أهمية الاستقلال الأخلاقي الفردي[1] ورفض تسليم الحكم على أخلاقية الفعل إلى سلطة خارجية غير ذاتية -إلا التحريض على العنف وما شابهه![2]

ولا أدري والله كيف يستقيم الأمر بعد الاستثناء السابق! فمجرد وجود حالات مستثناة يهدم فكرة التحسين والتقبيح الذاتي الفردي لكل إنسان، وهو مؤدٍّ لا محالة إلى هدم النسبية الأخلاقية! و لا تزيد الردود على هذه الاعتراضات إلى أكثر من محض مغالطات وتحريفات لا ترقى إلى مستوى الأدلة العقلية التي يمكن مناقشتها بجدية!

ولنضرب مثلا بالاضطراب الهائل الذي تجده عند الإنسانوي الإنجليزي د. ستيفن لو Stephen Law في كتيبه الصغير الذي كتفه لعرض أسس الإنسانوية بأشد الكلام صراحة وجرأة؛ فتجده مثلا يرد على القول بأن (الإقرار بوجود معيار مطلق للصواب والخطأ هو بمنزلة الإقرار بوجود إله) في ثنايا دفاعه عن جعل المعيار الأخلاقي الإنسانوي لا يستند على أي دين أو إله، بالكلام الآتي: (**سيسلم كثير من الملحدين عن طيب خاطر بأنه إن كان هذا هو جل ما يقصده التأليهي بالإله؛ فإنهم إذن مؤمنون بالإله!**)[3] إذن الرجل يقر رغما عنه للخروج من مأزق النسبية بأن الإنسانويين سيؤمنون بإله؛ لكنه سريعا يلجأ لحيلة رخيصة برفع الشعار الأشهر: لكن أي إله؟! أنا لا أريد إلها خالقا عالما ولا منزلا للقرآن! الرجل مضطر رغما عنه للاعتراف بوجود إله مُنزّل لضبط (معيار للصواب والخطأ الأخلاقي) فقط لا غير! هو يريد الخروج من هذا المأزق الحالي لأنه لا حل آخر أمامه! لكنه يزداد غيّا بسبب عمق المأزق المعياري فيقول بعد قليل (**سيعتبر كثيرون الاقتراح القائل بأنه يجب علينا أن نقرر بأنفسنا الصحيح والخاطئ لا أن نعهد بهذا الأمر إلى سلطة دينية، اقتراحا صادما. وقد يقولون لك: ياللغرور! أتريد أن تؤدي دور الإله؟! عندما يتعلق الأمر بالتعامل**

---

1) ستيفن لو، الإنسانوية (مقدمة قصيرة جدا): 84.

2) السابق: 85.

3) السابق: 83.

مع المسائل الأخلاقية يجب أن نعتمد على الدين! لكن، شئت أم أبيت، لا مفر من أداء دور الإله!)[1] فسبحان رب العزة القائل في وصف أمثاله قبل قرون طويلة: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه!

وبرغم هذا المأزق، الذي يتعامل معه الملحدون كالعادة بأساليب التشغيب وسرد أدلة عقلية مضطربة والتشكيك في كل شيء، إلا أن النهاية ستكون دائمًا تجاوز هذه النقطة إلى الأمر الواقع: فالمعيار الأخلاقي عندهم هو (آخر) ما حسَّنه العقل الجمعي الغربي وما تم إقراره في وثائق حقوق الإنسان! سيصبح الإعدام وسيلة همجية للعقاب! قطع اليد وسيلة همجية للعقاب! الشذوذ حق إنساني أصيل! معاداة الشذوذ جريمة تستحق العقاب! السجن هو وسيلة العقاب القاسية الوحيدة المسموح بها!

كل هذا سيتم تدشينه في وثائق حقوق إنسان وسيعمل على نشره الإعلام العالمي باعتباره (دين الإنسانية) ومعيار الصواب والخطأ الأخلاقي!

إن الإنسانوية لا يمكن أن تمتزج مع الإسلام، ولا حتى مع أي دين حقيقة، لهذا يؤكد (لو) مرارا وتكرارا أن الإنسانوي ملحد أو على الأقل لا أدري[2]، وأن قضية الإنسانوية الكبرى هي هدم الدين وتبيين خرافة الإيمان[3]. فالإنسانوية تجعل المعيار هو التحسين الإنساني المحض، الإنسان إله نفسه تماما يحرم ما أحله ثم يحل ما حرمه، الصواب والخطأ ليسا في صيرورة للأفضل بل يتماهى كلا منهما في الآخر. ومع ذلك فإنهم يقرون أن الإنسانية تتطور لأن مفاهيم مثل (رهاب المثلية/عداوة الشذوذ الجنسي) في طريقها للاختفاء والشذوذ قد تم تقنينه[4]! إذن الشذوذ الجنسي صواب مطلق والعداء له خطأ مطلق؛ فكيف تؤمن بمطلق الصحة أو الخطأ من الناحية الأخلاقية ثم تقول بأنه لا يوجد معيار موضوعي موحَّد؟! إلى يوم الدين لن تكون هناك إجابة متماسكة على هذا الاعتراض الهدَّام!

***

قد تكون المناقشة المكثفة والموجزة السابقة غريبة على محتوى كتاب مختص بمناقشة الآثار المختلفة في الإسلاميين تحديدا؛ لكن أي مناقشة لهذا المفهوم لابد أن تذهب فورا لروادها عالميا: الملحدين. والمناقشة معهم أولى وأكثر صراحة وجدية من المناقشة مع الإسلاميين أو الليبراليين العرب. إن أثر الإنسانوية على الحركة الإسلامية المعاصرة لا يمكن أن يغفله أحد، وما ركَّزت على السؤال الأخلاقي للإنسانوية إلا لأنه هو مجال الجدال الأكبر الذي أثرت فيه بعد التسلل إلى قلب الحركة. ولا يمكن أن تكون قد عايشت الحركة وسؤالات ناشطيها إلا وقد قرأت عشرات المرات عن (الحقوق الإنسانية) و(دين الإنسانية) وأخلاقية الحركة الإسلامية ورفض لا أخلاقية منتسبيها. على أي حال فهناك مصدران كبيران وآلة رئيسية شاركوا في صب المفاهيم الإنسانوية بداخل الحركة: المصدر الليبرالي.. المصدر اليساري.. وآلة المجتمع المدني. وسيتم مناقشة كل مؤثِّر من هؤلاء على حدة في حينه.

---

1) السابق: 86.

2) السابق:9.

3) السابق:14.

4) السابق:87.

ملحق المقالات

(نوفمبر 2015)

في أعوام ما قبل ثورة يناير، كان يتم تجهيز الأرض للبرادعي كبديل مقبول لمبارك.. علمانية البرادعي معروفه وإن تذاكى جمع من الإسلاميين كثيرا في الاعتذار عنها والالتفاف حولها والسفسطة فيما يقصده حتى جاهرهم الرجل بالعداء بعدما وجد الصراحة واجبا! قبل أشهر من هذا العداء الصريح بين الإسلاميين من ينضم لحزبه بل ويصف حزبه بالإسلامي! وخرج من ينافح عن قائل هذا الكذب الفاجر ويصف هذا القول المجرم بأنه اجتهاد من مستحق للاجتهاد!

جاء صوت من خراسان قبل نهاية العقد الأول يحذر الناس ويحذر المسلمين والإسلاميين: أن يا حمقى أفيقوا! البرادعي ما هو إلا ورقة أمريكية غربية يلاعبون بها مبارك ويضغطون بها عليه! لكن الحمقى لا يستفيقون.. صوت خراسان متطرف طبعا غير مقبول على الإطلاق!

تمر الأيام، وتنتهي أسطورة البرادعي.. لتظهر أساطير أخرى أكثر جهرا بالزندقة.. وتؤدي نفس الدور بمهارة: الوقوف ضد (ظلم الدولة) للإسلاميين والدفاع عن حقوقهم.. في مقابل ضرب أسس الإسلام نفسه.. ضربا مباشرا: كأن يطعن في أفكار كفر الكافرين ونجاستهم المعنوية وتمايز الإسلام والكفر؛ أو بصورة غير مباشرة: كأن يدعو لحقوق الشواذ أو الزنا وأن الرافض لهذا مجرم غير سوي!

هؤلاء الزنادقة الجدد يتبنون قضايا الإسلاميين ضد الظلم، ويبدو أن عوام الإسلاميين حمقى بصورة كافية كي يكرروا حادث البرادعي بلا انقطاع! بل منهم مستهزئون بحماقة الإخوان في تكرار الأخطاء بلا توقف!

فلنقف ضد ظلم الدولة؟ يا رجل! عيني في عينك! هل تستطيع أن تقسم لي الآن أننا لو كنا في دولة إسلامية فيها هذا المتزندق الذي يعمل في مؤسسات تابعة للغرب صراحة فكرا أو سياسة ويطعن أسس دينك /لم يكن سيتم حز رقبته؟ لا تأتني رجاء بفتوى الغنوشي والددنوشي /ائتني بفتاوى السلف فيمن يطعن بأسس دين الإسلام ويتخذها مهنة!

أنت تدعو لقيام دولة كانت ستقتل هذا الزنديق يا عزيزي بلا رأفة! ثم تطلب مني ألا أصفك بما يجرحك عندما تقف بجواره لأن الدولة العسكرية (قد اعتقلته)؟

هؤلاء أوتاد يتم دقها في أرضكم كي تشققها وتهدم دينكم.. قصة البرادعي تتكرر مع الإسلاميين بلا انقطاع.. صراعهم مع الدولة هو في إطار صراع داخلي علماني بين عميلين (فكريا أو عمليا) للأمم المعادية للإسلام..

كيف بالله يقف المسلمون معهم، بصورة متكررة، وبلا تدبر أو تفكر؟!

كيف تواتيك الجرأة لسب وتكفير من يطالب جهرا بحقوق الشواذ ثم أجدك تتباكى على واحد هؤلاء إن تم اعتقاله؟!

هذا أحد أوجه (علمنة الصراع) مهما أنكرت أنه قد أصابك: لقد وقفت بجواره لأنه وقف بجوارك (سياسيا) ودعمك (سياسيا) حتى لو كنت تعلم يقينا أنه عدوك في العقيدة التي يعمل جاهدا على هدمها!

(يناير 2016)

تتميز شريعة الإسلام عن غيرها من الشرائع أنها عالمية الطابع مطلقة الصلاحية في كل زمان ومكان، وهذا ثابت نصا ولم يجادل فيه سلف، بل إنها من قطعيات الدين التي يحرم أن يظن أحدهم خلافها: كأن يعتقد أن الشريعة محدودة بزمان النبي لا تتجاوزه أو موضوعة لأرض العرب لا تتجاوزها.

وأغلب حجج الزنادقة المعاصرين في معاداة تحكيم الشريعة لا تكاد تتجاوز هاتين الفكرتين لضرب أصل الشريعة بحجة نفي إطلاقها الزماني والمكاني.

وقد يكون أشد أعداء هذا الإطلاق نوعان: من يؤمن بنظرية الأخلاق الكانطية، والتي في جوهرها شكل مطوَّر من نظرية المعتزلة الشهيرة عن التحسين والتقبيح العقلي المحض - وأتباع نظرية الأخلاق النسبية الذين يؤكدون أن هذه الأخلاق والشرائع التابعة القديمة كانت ملائمة لمجتمع زمانها ومكانها ولا يصح تعميمها. ولا يبتعد الأول كثيرا عن المذهب الطبيعي الأخلاقي رغما عنه: فسيُقبِّح عقله ما ترفضه الطبيعة المجتمعية والإنسانية ويُحسِّن ما تقبله، فالعاطفة والنفس ليس لهما دور هنا.. أما الثاني فلا سبيل أمامه سوى رفض أي مطلق ثابت عقلي أو شرعي!

وأغلب الأعراف والأخلاق الإنسانويّة الحالية، صيرها الغرب عالمية بهيمنته وهيمنة أفكاره ومؤسساته وجيوشه. وعلى نهجه وشرعته يسير المتغربون المسلمون، إسلاميون كانوا أو علمانيون!

ففي قضية التعامل مع الأحكام الشرعية يظهر جليا تأثير هذين المذهبين في كليهما.

أما العلمانيون المتغربون فغالبا ما ينطلقون من مركز مزيج الكانطية والطبيعية الصلب: فيهاجمون الشريعة مطلقا باعتبارها ليست صالحة أبدا وأنها لم ولن تنفع البشر مقارنة بالأخلاق والأعراف الإنسانية العالمية المعاصرة، وهؤلاء منتشرون بكثرة وآخرهم من صرحوا بجراءة يحسدون عليها: أن دينهم هو دين الإنسانية!

وأما الإسلاميون المتغربون فيلجأون إلى طريقة تثبت مذهب النسبية الأخلاقية وإن أنكرته: فتجدهم يمدحون في الشريعة وينفون إطلاقها بطريقة ملتوية جدا -فيدعون أن الشريعة لها مبادئ ومقاصد إنسانية مشتركة متوافقة مع المفاهيم والمبادئ والمقاصد الإنسانية المعاصرة، وأن الأحكام التي يتمسك بها المتجمدون هي مذاهب ورؤى فقهية اجتهادية صالحة أخلاقيا لزمانها ومكانها فقط، لكنها ليست مطلقة.

إذن المطلق عندهم من الدين الإسلامي: هو القدر الذي وافق المفاهيم (الإنسانية/الغربية) المعاصرة التي هي قمة الأخلاق الإنسانية! وهؤلاء ستفتضح ألاعيبهم إن لم تكن قد بدأت في السقوط فعلا: فقد نقل الغرب مفهوم الشاذ من الممارس للأفعال الجنسية الشاذة إلى الرافض لها! لقد صار الشاذ إنسانيا هو من يرفض هذه الممارسات، وصارت هذه هي المفاهيم الإنسانية العالمية الأخلاقية الحالية؛ فكيف سيتعامل هؤلاء مع هذه (النازلة) التي لم يحسبوا لها حسابا؟! بعض غلاة المقاصدية هؤلاء مدوا الخط على استقامته ولزموا لوازمه واعترفوا بالفعل بحقوق هؤلاء أو أعلنوا التزامهم بما ستسفر عنه النقاشات المجتمعية حول هذه القضايا، فليس من المستغرب صنيعة (سمير ديلو) أحد وزراء حزب النهضة التونسي (الإسلامي!) عندما أعلن التزامه بما ستسفر عنه تلك النقاشات!

أحد النوازل الأخرى على هؤلاء جميعا هي نازلة تجريم عقوبة الإعدام، وإن كان الأمر على العلماني المتغرب ميسور سهل فهو على المقاصدي لن يكون أكثر صعوبة! المفاهيم الإنسانية العالمية الآن تتجه نحو (منع) توقيع عقوبات الإعدام.. العلماني سيرحب مهللا والمقاصدي الغالي لن يمانع، فقاعدته العملية التي نراها هي أنه ما دام المقصد سنصل إليه هو العقوبة فما المشكلة في تبديل الوسيلة؟! وما المشكلة في إلغاء تبديل هيئة عقوبة واحدة وقد أقر وروّج لصحة أصل الإلغاء والتبديل؟!

هذه الأعراف والأخلاق العالمية كلها، ما مصدرها الفكري أولا؟

إن مصدرها معادٍ للشريعة الإسلامية من جملة ما يعادي من شرائع، مصدرها يعتبر أن هذه الشرئع (همجية) سادت في أعصار وأزمان مظلمة، ويجب أن تنتهي إلى الأبد؛ لأن الإنسانية قد تطورت ونضجت وأدركت بذاتها المركب الأخلاقي الذي عجز الإله عن تنبيهها له منذ آلاف السنين عبر الأنبياء! لقد أدركت الإنسانية أن تمجيد الشذوذ الجنسي فضيلة، أدركت أن الإعدام رذيلة، أدركت أن الاسترقاق جريمة!

هذه جرائم الشرائع (الإنسانية) القديمة التي يجب إلغائها والتكفير عنها في أقرب وقت.. الرق عندما ألغي لم يكن لمجرد أن وسائل الإنتاج قد تطورت بالتالي لم يعد منه فائدة -بل لأن الرق قد تم النظر إليه على أنه جريمة إنسانية شرعها أنبياء كذبة لمجتمعات بدائية في عصور مظلمة ويجب على الإنسانية المتطورة أن تصحح هذه الجريمة! هذا هو أصل ذاك العرف الإنساني الذي نُطالَب نحن بألا نخرقه الآن! فلو سلمنا للغرب مبدأ أنه هو من يقر باسم الإنسانية ما هو الحسن والقبيح عقلا وسلمنا له تقنين هذه التحسينات والتقبيحات في أعراف وقوانين -فقد أُبطِلت شرعة المسلمين! هذا وكل ما سبق يتم مناقشته على اعتبار صدق الغرب ومفاهيم الإنسانية العالمية، وبافتراض أنها حقيقية مُطبَّقة بعدل وليست خداعا من طواغيت عالميين مستكبرين يتذكرونها في موقف ويعاقبون تاركها ثم ينسونها في آخر ويعاقبون فاعلها!

إن اتباع الأعراف العالمية والإنسانية المعاصرة ليس مطلقا، بل هو محدود بشدة، محدود بألا يصادم هذا العرف شريعة المسلمين لا من جهة الأصل الفكري ولا من جهة التطبيق العملي / فالإعدام يعارض شرعة المسلمين من جهة الأصل الفكري والممارسة التطبيقية العملية.. وإلغاء الرق يعارض شرعة المسلمين من جهة الأصل الفكري أشد التعارض وإن تم التساهل في التطبيق العملي -فليست المسألة فقط مجرد ممارسة عملية انتهى زمانها!

وإنها لجرأة عجيبة قبيحة أن تنتشر رؤية -في العصر التغريبي الأخير- مفادها أن الرق بذاته هو مجرد ممارسة عملية قبيحة إنسانيا بذاتها إنما أقرها الله سبحانه وتعالى لأنها كانت العرف في زمانها ووضع موقّت إيقافها في القرآن بالتشجيع على عتق الرقاب! فمعنى هذا أن الله قد وضع في القرآن موقّتا لإيقاف تلك الممارسة بعد انتهاء عصر النبي والخلفاء الراشدين والخلفاء غير الراشدين والمماليك والعثمانيين وملوك المغاربة وملوك المشارقة وملوك الجنوب وسلاطين الشمال وعلماء السلف وسلف السلف وخلف السلف وخلف أخلاف السلف ويأتي وقت التوقف وانتهاء هذه الممارسة بعدما يجيء أعدى أعداء الله إلى بلاد المسلمين ويوقفونها!

إن المسلمين لم يكونوا يستعملون الرقيق عبر الزمان كله في مجرد الممارسة الإنتاجية، بل كانوا جزءا مجتمعيا يخفف الكثير من الأعباء الجنسية التي هي أحد أهم مشاكل مجتمعات المسلمين المعاصرة مهما حاول الحمقى التهوين من شأنها.. وإن أشد حروب الغرب والمتغربين على الرق في الإسلام تدور محلقة حول هذه النقطة ومنها وإليها.. فكانت حرب الغرب على الدولة الإسلامية في العراق والشام -التي فعَّلت نظام الرقيق مرة أخرى بعد قرن ونصف من إلغائها في بلاد المسلمين- تؤكد دوما أن جند الدولة يقومون بأخذ النساء باعتبارهن (عبيد جنس sex slaves)!

أما الذي يقبل توصيفهم هذا -وهو التوصيف الصريح الدال على رؤيتهم للرق- فهو يطعن في الإسلام صراحة؛ فلازم هذا أن المسلمين منذ النبي حتى آخر الخلفاء كانوا يمارسون طقس اغتصاب منتظم مستقبح عقلا وإنسانيا! الكثير ممن رفض إعادة مفهوم الرق من قبل الدولة لم يفعل لمجرد أن الوضع شديد الحرج والمصلحة الشرعية تقتضي ترك هذا الأمر حاليا لحين التمكن -بل رفضها احتراما للأعراف الإنسانية المشتركة التي صارت ترفض هذا الأمر!

إن العرف المجتمعي العادي -لا العالمي- هو أكثر الحقول التي يجب المطالبة بتفعيل رؤية المصالح والمفاسد فيها، وكم من عرف عالمي كرفض التعدد سرى إلى بلاد المسلمين وتمكن ثم أعلن الفقهاء بكل أريحية -وغفلة- أن للمرأة حق المطالبة بعدم الزواج عليها هكذا بإطلاق ودون استبصار وتوضيح للمشهد كاملا؛ فزادوا التنكيل بسنة التعدد حتى بلغنا أن قد صارت الكثيرات -من المنتقبات وأهل الديانة قبل غيرهن!- يشترطن عدم التعدد قبل الزواج وإلا طُلِّقت! لاحظ مسار سريان هذا العرف: (واجب كاثوليكي - عرف عالمي إنساني مُعقلن! - واجب عالمي إنساني - عرف محلي - شيوخ أعطوا مؤيدي هذا العرف سلاحا لتوطينه وتمكينه - واجب محلي بين الجميع!).
فهل المصلحة المجتمعية والإسلامية كانت في قبول عرف رفض التعدد (بل تحريمه!) وقبول عرف منع الاسترقاق (بل تجريمه!)؟ أم أن المفسدة المتحققة أكبر ؟! إن كانت مجتمعات غير المسلمين قد انحلت أخلاقيا وتفشت فيها العلاقات غير الشرعية والخيانات والشذوذ لمعالجة آثار هذه الأعراف والواجبات (الإنسانية المجتمعية زعموا!)
فكيف سيعالجها المسلمون بغير تلك الوسائل المراوغة التي عالجها بها المجتمع الغربي ؟! لا كانت المصلحة مع قبول عرف تسلط النساء في مسائل التعدد ولا كانت المصلحة مع قبول عرف منع الرق مطلقا.. فعلام نقبل بهذه الأعراف الغربية؛ حتى بفرض تسامحنا معها وعدم مصادمتها لشرعتنا ؟! إن الرق القبيح حقا هو رق المتغرِّبين، لا رق تشريع رب العالمين!
أما من الجهة الشرعية -فالاسترقاق وأحكامه من أهم مجالات العمل الفقهي وأبواب الجهاد، وليس لأحد أن يرفض عمل الآخرين بكلام الفقهاء والسلف في هذه الأبواب استنادا على فهم فلسفي خاص به واحتجاجا بالأعراف العالمية؛ فالجانب الآخر (المُستَرِق) أكثر عملا بالنص والظاهر والفقه والسنة من هذا الذي يحتكم للأعراف العالمية ويؤول النصوص والظواهر كي توافق هذه الأعرف أو أصل احتكامه لتلك الأعراف مسقطا بالطبع كلام فقهاء وعلماء السلف في مسائل أطنبوا فيها ولم يوجزوا!
ألا إن أكبر عرف غربي جعله الأباطرة عقليا وإنسانيا ثم عالميا -وافق الشرع أم لم يوافقه- ليقع تحت أذل حذاء لأصغر عالم حقيقي من علماء الشريعة!

(مايو 2016)

مشايخ السلاطين متخصصون في التحامق!
دكتور سلمان العودة كان في لقاء إعلامي بالغرب وذكر فيه أن الشاذ غير كافر.. ثم رجع إلى بلده ليواجه حملة ثائرة فانتفض بلهجة غاضبة في فيديو نشره على حسابه يهاجم من يكفر الشواذ ويصفهم بأنهم خوارج ويعتبرهم أسوأ وفعلهم أكبر من الشذوذ إثما.
لماذا التحامق ؟
لأن السياق العالمي يا دكتور، وخاصة في الدولة الأوروبية التي أجريت فيها لقاءك: هو (استحلال الشذوذ) وتجريم معارضيه.. فعندما تتحامق في إجابتك وتتكلم عن (حكم من وقع منه هذا الفعل) برغم أن كل كلام العالم مؤيد ومعارض هو عن (المستبيح لهذا الفعل والمجرِّم لمعارضيه)؛ فأنت تمارس الهواية (السعودية:السلطانية) المجوجة المبتذلة!
ثم من لوازم هذا الابتذال: الإرهاب برفع راية الخوارج! من الذي كفر الذي وقع منه هذا الفعل؟ إنما كلام المكفرين كان في الاستباحة والدعوة.. شواذ العالم كله الآن؛ إلا شرذمة شرقية لا صوت لها: يستبيحون هذا الفعل بذاته.. وينشرون دعوته بشكل منهجي مجتمعيا.
فأن تتحامق يا دكتور وتقول في السويد ما يوهم أن المرء يمكن أن يجمع بين الإسلام و(استباحة) الشذوذ /ظنا أن سامعيك حمقى في كل الدنيا؛ فهذا لن يكون! أنت تعلم أن معنى كلامك هذا عند السويد هو أن المرء يمكن أن يكون مسلما شاذا بلا مشكلة كبيرة!
كفاك أنت وأمثالك تحامقا وتغابيا، ليس اليوم كالأمس: الآن المتحامق سيفتضح أمره بيسر وسهولة، وقد جمع تحامقكم وإرهابكم المخالف بالخورجة من الابتذال ما يثير الاشمئزاز!

(يونيو 2016)

ماذا كان يريد هذا (الأخ)؟
ماذا بعدما رد أصح الأحاديث؟ بعدما سفه من أفهام عقول الأئمة كابرا عن كابر، مسقطا بالتالي لأي إجماع -فأي إجماع هذا إن كان إجماع جهَّال؟- إنما القول قول العلم ؟!
لقد كان يريد إثبات أن الداروينية لا تخالف مقطوعا به: فما خالف علمه وعقله من السنة مردود وأصل الإجماع مخروق!
حين كتبت في 2013 أن الشواذ يعتمدون على نفس ما يعتمد عليه ذاك في استباحة الشذوذ، وأن رد السنة والاستخفاف بها والاستهزاء بالأئمة وأفهامهم وحصر المقطوع به في ندرة من آيات القرآن -لم تنج هي أيضا من تأويل، لو يفهم!- وهذا هو ديدنهم.. استهزأ بعضهم، ووصلني الاستهزاء ورددت عليه في رسالة نشرتها عن نقض نقد الداروينية..
الآن في 2016، أخونا هذا يجابهم! فيه الخير فهو ليس من (الأوساخ) مطلقا! يريد إثبات أن الشذوذ غير مباح وأنه فاحشة وأن عقابه كعقاب الزنا الرجم..

فيقولون له: لا نسلم بالرجم.. من أين أتيتم به؟ لا سنة نقبلها ولا إجماع ولا تفسير أئمة ولا غير أئمة!
ثم لا نسلم بعد ذاك بأن اللواط يقاس عليه.. بل الأول في حكم المعدوم.. فاللواط لا عقاب له.. فلا سنة نقبلها ولا إجماع ولا تفسير أئمة ولا غير أئمة!
إنما الحاكم العلم ثم العقل: وهناك رأي علمي رائج أن الشاذ قد خلقه الله هكذا في جيناته، والله لا يظلم عباده ولا يكلفهم ما لا يطيقون.. الله عادل يحب العدل.. ومن العدل ألا يعاقب من خلقه هكذا..
هكذا يقف الأخ المنافح عاريا أمامهم كما ولدته أمه، لو يفقه! أطلق العنان للتأويلات الشاذة البعيدة مكتفيا بالقرآن ساخرا من السنة والإجماع محكما للعلم والمفاهيم الإنسانوية الرائجة: كل هذا من أجل مناصرة هواه في جعل الداروينية من الإسلام.
فلم يدر الأحمق ماذا صنع بنفسه!
أنت -يا أحمق- عارٍ تماما! إن استندت لإجماعات وأقوال فقهاء وأئمة وأحاديث نبوية، فستحتكم لما سخرت منه بالمطلق قبل ساعة! وستكون مهزلة حقيقية عندما تحتكم لأحاديث أقل في الصحة من اللواتي سخرت منها كي تحكم بتحريم فعل - فلا تلومن إلا نفسك إن هزئ منك خصمك!

(يونيو 2016)

لماذا يرفضون الرجم؟ هل لأنهم (بحثوا) مثلا وفق أصول الفقه والمذاهب فخرجوا من بحثهم بأن الحد غير ثابت في الإسلام؟!
أبدا!
لم أجد أمامي حالة واحدة كذلك!
بل الرفض دائما هو: لأنها عقوبة (وحشية)!
إذن ابتعد عن الإسلام وثبوت الآيات وتعال لمنطقة أخرى:
هل أنت مؤمن بالإسلام؟
إذا كنت كذلك، وسلمنا لك أن الإسلام لا عقوبة فيه بهذه الصورة؛ فلابد أن تسلم أنت أيضا أن هذه العقوبة كانت موجودة في الشريعة التي أنزلت على بني إسرائيل بلا خلاف، في سفر التثنية الرجم موجود لأسباب أوسع من الزنا.
إذن فلتسلم أن هذه شريعة (إلهية) أمر بها الله في زمن ما.
فوصفها أنها (وحشية) هو ذم لذات الله أن أمر بهذه العقوبة.. هنا نتحدث عن سوء أدبك مع الله وهي حقيقة القضية.. لا تمكر وتتحاذق علي وتقول لي الرجم غير موجود أو موجود.. بل تعال إلى أصل القضية وحقيقتها: أنك غير (مسلم) حقا بمعنى التسليم لأوامر الله ونواهيه.. تعال نتحدث عن ذات الله وحقيقة وجوده ووجوب التسليم ووجوب التزام الأدب، وبعدها نتحدث عن (وجود الرجم من عدمه في الشريعة الإسلامية) يا أفقه وأعلم من الصحابة وأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وآلاف الآلاف من علماء الأمة الذين ضلوا جيلا وراء جيل وقتلوا نساء ورجالا بحد (وحشي) ليس من دين الله!

(يونيو 2016)

منذ أنزل الله دينه وشرائعه على أنبيائه، وعقوبة الشواذ فيه واحدة: القتل.. محصن غير محصن، عقوبته القتل للطرفين..
أول من صنعوها حدثت لمدينتهم إبادة بشعة، شريعة موسى تقول القتل، ولا شريعة نبوية بعدها إلا الإسلام.
أنتم أمام أكبر حملة ضد الفطرة الإنسانية في التاريخ!
أنتم تعيشون بوادر كارثة لم تحدث من قبل!
أنتم أمام عصر (شرعنة) الشذوذ وتطبيعه إنسانيا على مستوى العالم كله!
لا! ليست تطرفات ماجنة كالعصور الوسطى، ليست ممارسات قبيحة مستنكرة مجتمعيا لا دينيا كما هو الأمر في تاريخ الصين واليابان، ليست قباحات وسفالات النخبة المجتمعية كما كان الأمر في اليونان والرومان: بل تطبيع كامل في النفوس وإنشاء أجيال تعتبر الشاذ هو من يجرح هؤلاء السفلة الملاعين بكلمة!
أنتم أمام أكبر عملية تنظير وترسيخ إعلامي وفلسفي في التاريخ لاستباحة هذا الفعل..
التردد في مجابهة هؤلاء بكل شدة وعنف (رجالا ونساء) يعني أن المتردد جاهل لا يعلم إلا القشور عن الخطط والحركات الإعلامية والسياسية والفلسفية العالمية المتسارعة في آخر عقدين لتأييد استباحة هذا الفعل ونشره في أكبر عدد ممكن من الناس..

ومثل هذا الجاهل يجب عليه ألا يصدر فتوى ولا رأي في شيء يخص تلك القضية، كالفقيه المعاصر الذي تتندر على حماقته الشاذات عندما يخرج فتوى بناء على تصور الفقهاء القدامى المغلوط والقاصر وغير الواقعي ولا العلمي: عن شذوذ النساء.. عندما كانوا يتصورون أن النساء لا لذة لهن إلا بالإيلاج ويجعلونه العلة لنفي مساواته بالزنا، فتسخر منه شاذات الوقت الحاضر ممن يصنعن الأفاعيل في بعضهن البعض بألف شيء وشيء.. ويسخر منه العلم الحديث الذي أثبت أن لذة النساء الكبرى ليست في الإيلاج كما تصور القدماء -مثل هذا الفقيه المسكين رأيت ذات مرة على الشبكة فتوى له والأوساخ من الشاذات يسخرن منه أشد سخرية لأنه -ببساطة- لا يتصور الأمر بصورته الواقعية أصلا، مسكين الرجل لم يكن من الماجنين أو من يعرفونهم حق المعرفة وبالتالي لا بأس إن تخبط في فتاويه عنهن!

الجاهل بهذه القضايا الوسخة -رجاء لا يُجَهِّلن أحدا ولا يفتي لأحد!

الفصل الثالث: **إسلاموطوبيا اللبرلة**

سأتحدث هنا عن نوعين تحديدا من اللبرلة رأيناهما يبرزان بشدة في التيار الإسلامي بعد الثورات: اللبرلة الغنوشية – واللبرلة الأردوغانية. أما اللبرلة النقدية فلها موضع آخر أناقشها فيه.

والمؤثر الليبرالي هذا -من شدة انطباعه في النفوس- لا يكاد يكون ملحوظا، على الرغم من خطورته! وهو متمثل بصورة واضحة جدا في جماعات (الإخوان) و(مابعد الإخوان) مثل أحزاب الوسط والتيار المصري وما شابهها. وقد كان قد صدر تقرير -منسي الآن- لمؤسسة راند في ختام 2012 بسيناريو يمكن تنفيذه لعلمنة الجماعة ولبرلتها على مستوى بنيوي جذري في حال بقى الإخوان في السلطة، وعلقت حينها بمقال طويل محذرا مما يتم تجهيزه إن بقي الإخوان في السلطة.

إن النظر للإخوان باعتبارهم تربة خصبة للبرلة سياسيا وفكريا أمر ليس بالمستغرب أن تلتفت إليه راند إن تابعنا تطورات الجماعة بمختلف مدارسها طوال العقود الثلاثة الماضية. فقد جاءت انقسامات الأحزاب التي خرجت من تحت عباءتها مؤكدة أن الجماعة الأم قد تحولت إلى مفرخة لليبرالية العلمانية بعدما كانت قبل السبعينيات مفرخة للحركات الجهادية!

ولقد شهد الإخوان خاصة والتيار الإسلامي عامة موجة من التنظير لأسلمة الليبرالية بصورة مكثفة منذ نهاية الثمانينيات وطوال التسعينيات، خاصة من جانب الشيخ القرضاوي والغنوشي والكثيرين الأقل منهما شهرة إقليميا مثل المستشارين طارق البشري والعوا وغيرهما، هكذا وجدنا عناوين مختلفة وتنظيرات متعددة طويلة لكن يجمعها خط سياسي فكري واحد؛ هو الليبرالية والدولة النموذجية الأوروبية. لاحظ معي مثلا هذه العناوين: **(الحريات العامة في الدولة الإسلامية – الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام – حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي – الديمقراطية نحو تأصيل لمفاهيم معاصرة – الوطن والمواطنة في ضوء الأصول العقدية والمقاصد الشرعية – خطابنا الإسلامي في عصر العولمة).**

كان التنظير قد توافر بكثرة وتبقت التجربة العملية فقط، هنا دخل على الخط في الألفية الجديد النموذج الأردوغاني لينبهر الإسلاميون الإخوان به انبهارا كبيرا ويترسخ بداخلهم إيمان بنجاح التنظير الليبرالي- الإسلامي على أرض الواقع.

ثم جاءت الثورة المصرية في 2011 لتدفع بشباب كثر من الجماعة نحو المجتمع المدني السياسي بدلا من المجتمع المدني الخيري، الذي كاد يكون حكرا عليهم مقابل احتكار العلمانيين واليساريين للمدني السياسي والحقوقي؛ وزادهم الانقلاب اندفاعا بغرض (التوحد) مع العلمانيين بعد خصومة انتخابات الرئاسة الإخوانية في 2012، واحتياجهم بعد الانقلاب الدموي للدور الحقوقي للمجتمع المدني في كشف العمليات الإجرامية الدولتية في حق الإسلاميين، ذاك الاندفاع الذي لم يؤسلم المجتمع المدني بقدر ما علمنهم هم شخصيا!

هذه هي العوامل الثلاثة الكبرى في لبرلة الجماعة وعلمنتها. وسأناقش الواحد تلو الآخر الآن وسأبين ختاما كيف أن هذه الأدلجة الكاملة قد أودت بهم لمهاوي الإسلاموطوبيا.

أولا- الغنوشية:

لا يمكن فهم الظاهرة الغنوشية حق الفهم إلا في السياق الزمني الذي ظهرت فيه.

كانت نهاية الثمانينات وبداية التسعينات هي عهد انتصار الليبرالية الأكبر وختام حقبة الحرب الباردة بسقوط شيوعي سوفيتي مدوٍّ، وانتشرت حينها رؤية عالمية مفادها أن الليبرالية الرأسمالية أثبتت كونها النموذج الأسمى والنهائي في التاريخ، وتجلى ذلك، مثلا، في كتابات فوكوياما عن (انتصار الدولة المثالية)[1] وكيف أن النموذج الليبرالي هو نهاية التطور السياسي المثالي والنهائي[2].

كان من الطبيعي انتقال هذا الخضوع العالمي والاستسلام الثقافي إلى الشرق المسلم – بل الذي لم يكن طبيعيا أن تكون هناك مقاومة إسلامية لليبرالية الديمقراطية الرأسمالية ولأمريكا!

انتقلت بالتالي صفات المنتصر -بوعي أو بدونه- إلى الداخل الإسلامي، وفي خلال عقد واحد كان التيار الإسلامي قد صار لديه ركام كبير من التنظير يؤكد أنه دين الحرية والمواطنة والانفتاح والتطور والديمقراطية وإلخ إلخ.

كانت الحمَّى لتنظير اللبرلة قد اشتدت في التسعينيات، ولم تنته إلا وقد صنعت (تراثا) نظريا كافيا لهدم التراث القطبي الثوري الاستعلائي والذي عاش بينه الإخوان طويلا. هذه اللبرلة فعلت الأفاعيل في العقول والنفوس، وبدأت تظهر علامات الليبرالية العالمية واضحة، ثم جاءت السنوات الأخيرة لتزداد وضوحا؛ فمثلا:

- بدأت تظهر ملامح مدرسة منافسة معادية للمؤرخ الإسلامي المذكور قبلا ومستهزئة ليس به فقط؛ بل بالتاريخ الإسلامي عموما.

إن الليبرالية العالمية تؤمن بالإنسان وبأنه يتطور نحو الأفضل لأن التاريخ ذو مسار تصاعدي.

التاريخ الإنساني هو مسار التطور السياسي والاجتماعي؛ وعليه فإن أي حديث عن مثالية سياسية واجتماعية جاءت قبل الليبرالية سيكون سخيفا للغاية وينم عن عقلية متخلفة.

التقدم الإنساني حتمي، والدولة الليبرالية هي النموذج المثالي ونهاية التاريخ الذي اكتشفنا أنه **تاريخ عالمي للجنس البشري يتجه صوب الديمقراطية الليبرالية**[3]، وبالتالي فالتنظير المحموم للبرلة الإسلام شيء طبيعي جدا: فلو ثبت أن الإسلام ضد الليبرالية الديمقراطية سيكون ضد النموذج المثالي النهائي في التاريخ، وبالتالي سيكون العلمانيون على حق في رفضهم التشريع الإسلامي والمنظومة الإسلامية واعتبارها تشريعات وأحكام قروسطية يجب تجاوزها؛ فلابد، إذن، من إثبات أن الإسلام كان محتواه ليبراليا ديمقراطيا في الأصل والحكام الجبابرة على مدار التاريخ الإسلامي القذر هم من قاموا بوأد هذه النزعات التحريرية. بذا يتم تطويع النص القرآني والحديثي بصورة دائمة لخدمة المحتوى الليبرالي الذي هو أسمى ما صنعه البشر! ويتم استخدام تأويل الحوادث النبوية مثل غزوة بني قريظة أو حتى ردها (لتنقية) السيرة النبوية من المخالفات الليبرالية!

لاحظ أن الليبرالية العالمية تعادي المدرسة الواقعية عداء شديدا بسبب استخدامها المكثف للتاريخ باعتباره دائريا بصورة ما وهو صراع حتمي محتدم لم ولن ينتهي بين القوي والضعيف. الليبرالية تعادي تلك المدرسة وذاك التوسل بالتاريخ الذي تعتبره سلسلة من

---

1) نظريات العلاقات الدولية: 92.

2) لم يكن من المستغرب على الغنوشي الذي كان قبل ذلك منبهرا بالتجربة الإيرانية الخومينية، أن تتماهى توجهاته مع الانتصار الليبرالي؛ فمن الواضح أن الانتصارات المفاجئة تبهره! لكن الظاهرة الغنوشية على أي حال لا أقصد بها تنظيرات الغنوشي فقط إنما تنظيرات كافة من كتبوا في ذات التوجه بتلك الحقبة.

3) نظريات العلاقات الدولية: 92.

الحروب والقذارة تسببت فيها النخب الحاكمة دائما من أجل المصالح الاقتصادية[1] وعليه فقد أخذت التوجهات الليبرالية في الإسلاميين تهدم النظرة الممجدة للتاريخ الإسلامي وللدولة الراشدية المثالية وتركز على تجاوز الدوران في فلك هذه المفاهيم الساقطة بإعادة تشكيل المحتوى الديني والبدء من جديد لمواكبة التطور الإنساني.

كان هذا أيضا أحد عوامل شيوع نظرية (الغضب النرجسي) النفسية بداخل التيار الإسلامي تفسيرا للحركات الجهادية والتوجهات التاريخية الإسلامية المقابل لبرالية بجوار نظرية أخرى أعرضها لاحقا: فبحسب نظرية الغضب الإرهابي النرجسي يكون الشخص المتطرف (الإسلامي القديم/الجهادي) على اقتناع مبالغ فيه بأهميته ومركزيته في العالم، وبسبب عدم مشاركة العالم له هذه القناعة يميل إلى العدوان والتخريب كرد فعل نرجسي غاضب[2]. إن هذه الأطروحة النفسية السياسية خادمة للبرلة بصورة كبيرة، فأي اعتقاد جماعي أو فردي بأنك كمسلم صاحب تاريخ مميز وصاحب هوية أعلى من الآخرين أو قدمت (دولة مثالية نموذجية) قبل الليبرالية -هو وهم لابد من تبديده! والمؤمن بكل ذلك هو شخص متطرف معاد للإنسانية وللتطور وللتقدم السياسي والاجتماعي؛ يمكن تفهم أفعاله وتنظيراته بمقاربة (النرجسية الغاضبة) النفسية الشهيرة! هكذا ظهر ذلك الخطاب الداخلي تحديدا في جماعات الخروج من الإخوان (ما بعد الإخوان) وظن بعض الإخوان النظاميين أنهم (انتكسوا) في حين أنهم في الحقيقة كانوا الأبناء المخلصين حقا لخطاب اللبرلة والذين لزموا طريقه إلى النهاية!

- كذلك بدأت نغمة تبني الإنسانوية، والاستسلام ثم الترويج للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ونفي كل أنواع التفرقة بين البشر على أساس الدين، تتخذ موضعا متقدما في كافة التنظيرات: لا يوجد فارق سياسي ولا اجتماعي بين المسلم والكافر، الحقوق السياسية متماثلة للجميع، كافة أشكال التمييز الدينية ستندرج تحت بند العنصرية، مفهوم الجزية انتهى عصره، بدأ عصر مفهوم المواطنة، مفهوم العولمة الحقوقية وتوسعة الحقوق الطبيعية للإنسان.

هذه المفاهيم صارت مركزية في خطاب اللبرلة، ليس لأنها متوافقة مع الإسلام، بل العكس تماما! هي مركزية لأنها صدامية بصورة فجة مع حقائق شرعية إسلامية ووجودية ومعرفية في التراث الفقهي الإسلامي! وستبدأ سلسلة طويلة من المؤلفات تدور حول (تأصيل حقوق الإنسان) بتأويل المصطلحات والنصوص لتناسب المحتوى الإنسانوي والحقوقي العولمي الجديد. وسيتم الاحتفاء بهذا التحريف وتسميته تجديدا وعصرنة ونجاحا في الملاءمة بين الإسلام والعصر الحديث –بالطبع هم يتحدثون عن (عصر حديث) نهائي المفاهيم، عصر حديث ليبرالي رأسمالي ديمقراطي، عصر حديث انتهى فيه التاريخ بالنموذج الأسمى وصارت الإسلاموطوبيا هي أسلمة الليبرالية لا أكثر. ولا يمكن لمن هذا حالهم أن تعطيهم جرعة من كهرباء الإفاقة أن أفكارهم تكاد تكون هي ذات أفكار فوكوياما! كأنما أخطأ فوكوياما فقط في السطر الذي اعتبر فيه اعتبر أن الإسلام من العوائق المتخلفة المتبقية –وعليه فواجبنا تعديل ذاك السطر ليصبح الإسلام هو النموذج الأكمل لليبرالية!

طبعا وقع الجميع في مأزق منطقي عندما صار اللواط مفهوما رئيسيا في نقاشات حقوق الإنسان حتى أن الليبراليين الحاليين لا يعتبرون الإنسان حقوقيا يؤمن بالإنسانية إلا إذا سلم بحقوقهم المعولمة! هذا مفهوم حقوقي متناسق جدا مع الليبرالية والإنسانوية لكن

---

1) السابق: 103.

2) دايفد باتريك هوتون، علم النفس السياسي: 337.

أسلمته ما زالت مستعصية، ومع ذلك: فإن الإسلاميين المتلبرلين لا يراجعون المبادئ التي قاموا بها ويثيرون نقاشا كبيرا حول المفاهيم التي رباهم عليها القرضاوي والغنوشي وغيرهما عن حقوق الإنسان ومسايرة العولمة والشرعية الدولية وما إلى ذلك!

ولقد تابعنا محاولة خجولة للأسلمة أظنها ستستمر: وهي أسلمة (حق) اللوطي في عدم البحث عنه ومناقشة معاقبته أو معاقبة اللوطية/السحاقية[1]؛ عن طريق ذكر أمثلة تاريخية لانتشار اللواط في المجتمعات الإسلامية. إن الكتب الأدبية التراثية –كما نعرف جميعا!- هي المصدر الأول للتشريع عند هؤلاء، وكتاب مثل الأغاني هو كتاب الحداثيين المقدس شرعيا وتاريخيا: وما دام كان في الملوك المسلمين (الخلفاء!) من يلوط ويبيح الأمر مجتمعيا –فإن (حق اللوطي في الحياة) مكفول! ماذا عن الآيات والأحاديث والتشريعات العقابية؟! لا! يقول الليبراليون العالميون والمشارقة صراحة أن هذه همجية قروسطية يجب أن تنتهي للأبد وقد تطور الإنسان كثيرا بعدها! بينما لا يجرؤ الإسلاميون المتلبرلون على هذه الصراحة فيقولون: هذه تشريعات (فيها خلاف –وأبو حنيفة قال والإمام فلان المعاصر حكى)! لكن على أي حال تبقى هذه –حتى الآن- مجرد أحاديث من متطرفي الإسلاميين المتلبرلين، وليست بالأغلبية.

وخلاصة الأمر: أن معيار الصواب –عند الإسلاميين تحديدا- في حقوق الإنسان بعد اللبرلة سيكون الإجماعات العالمية في عصر ما بعد انتصار الليبرالية؛ وسيتم التراجع الاعتذاري أو الإنكاري عن مفاهيم مثل الاسترقاق والجزية والتراتبية المجتمعية والحقوقية والسياسية بحسب الدين. إن الإنسانوية العالمية تقول صراحة -كما رأينا من قبل- أن المعيار هو الإنسان نفسه. أن الإنسان هو الإله. اتخذوا إلههم هواهم فمرة يحرمون اللواط ومرة يبيحونه لأن (التطور حتم هذا) واليوم يمنعون الزواج المتعدد والزواج من المحارم ونعلم جيدا ماذا سيحدث غدا إن ظل هذا المسار الليبرالي الإنسانوي على حاله! لماذا نعلم؟! لأن الحقيقة الواضحة أن التناسق المنطقي يؤكد هذا: فلابد من إتاحة الحرية للإنسان وعدم فرض وصاية عليه ما دام لن يضر الآخرين! إن زواج الأخ من أخته أو أمه فيه مشاكل جينية أينعم لكن ماذا لو نجح العلم في التدخل الجيني لمنع هذه التشوهات المتوقعة؟! ماذا ستكون حجة المانعين حينئذ؟! ألن (ينتصر الحب)؟! كل هذه النقاشات مفتوحة عالميا وليست مغلقة وكل المواضيع تناقش من حق ممارسة الجنس مع الأطفال إلى حق ممارسة الجنس مع الحيوانات لما هو ألعن وأنكى[2]. لكن اللبرلة الإسلامية تتعامل مع اللبرلة الداخلية بمفاهيم التسعينات حتى الآن: الليبرالية الديمقراطية الإنسانوية العالمية المنتصرة التي كانت النموذج النهائي الأفضل. والإيمان بأن حقوق الإنسان في القرن العشرين هي الأسمى!

إنه من المثير للسخرية أن يكون هؤلاء أكثر الناس وصفا لأنفسهم بالتقدم والامتزاج مع العولمة والانفتاح في مواجهة التطرف الإسلامي –وهم أكثر الناس في الحقيقة بعدا عن المناقشات والتفاعلات العالمية في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين! إن تمسكهم بليبرالية نهاية القرن الماضي بكل منتوجاتها ورفض بعضهم أو اضطرابه أمام منتوجاتها الجديدة خاصة في المجال الحقوقي مثل حق اللواط –يثبت أنهم أبناء حقبة ماضية انتهت بأكثر مما يتصورون!

---

1) للغنوشي لقاء صحفي تهرب منه بعدم تقنين الشذوذ عن طريق التحجج بأن لهم الحق أن لا نقتحم خصوصيتهم الشخصية.

2) تواجه ألمانيا والدنمارك حاليا موجة كبيرة من الهوس بالجنس مع الحيوانات من خراف وماعز وقد كانت هناك قضية لرفع الحظر عنه باعتباره حقا مكفولا للإنسان كي يختار أسلوب الحياة الذي يناسبه.

- ومن العلامات كذلك انتشار مفهومين كانا لهما تأثير ضخم:
الأول هو الاهتمام بالانضمام للمجتمع الدولى الاقتصادي الرأسمالي – والثاني هو الإيمان بطبيعية السلام والتعاون واصطناعية الحرب! لقد كانت وما زالت اليوتوبيا التي يطرحها الليبراليون دائما عمادها الاقتصاد، التجارة الحرة. الليبراليون العالميون يؤمنون بأن الصراع الدولي كان دائما ابن النخب السياسية السلطوية والديكتاتوريات، حيث ارتدت المصلحة والاقتصاد خاصة لبوس القوميات أو الأديان أو غيرها من الهويات المختلفة. كيف يمكن حل هذا الصراع؟! الحل سيكون بتعميم التجارة الحرة بين البلدان، فهي القادرة على هدم الحواجز بين البشر[1] والقادرة على فرض الخضوع للمفاهيم الليبرالية العالمية من قبل الأنظمة السلطوية وبالتالي التغيير البنيوي الداخلي لموافقة البنية الليبرالية العالمية، لينتهي الأمر بسلام للمجتمع الليبرالي العالمي! طبعا لا داعي للقول بأن هذه الرؤية اليوتوبية لحل الصراعات العالمية تكاد تصيب المدرسة الواقعية تحديدا بالجلطات والأزمات القلبية! كما أنه من الواضح اتفاق هذه الرؤية مع الماركسية البدائية في اختزال عوامل الصراع الدولي لعنصر واحد يختفي دائما في قوالب أخرى: وهو العنصر الاقتصادي! الماركسية آمنت أنه لابد من هدم النخب الأرستقراطية والبورجوازية التي تستخدم هذا العامل للتلاعب بالبشر من أجل بناء الإمبراطورية، والليبرالية الرأسمالية آمنت أنه لابد من صناعة مجتمع ليبرالي عالمي تعاوني يفرض على المجتمعات غير الديمقراطية الليبرالية الانخراط في هذه المنظومة الدولية، إما طوعا (وهذا رأي الليبراليين السلميين) وإما كرها (وهذا رأي الليبراليين العدوانيين، الذي يرون وجوب فرض الرؤية الليبرالية والديمقراطية على الدول السلطوية بمنطق الواجب التحريري)!
هو اختلاف أولا وأخيرا في الرؤية الفلسفية للمجتمع الإنساني: هل هو قائم على الصراع كما يؤمن الماركسيون والواقعيون – أم قائم على التعاون البشري؟! لكنه على أي حال لا يختلف كثيرا في تحديد (العامل الحقيقي المستبطن) للصراع الإنساني والدولي!
فماذا يصنع الإيمان بالتقدم الإنساني؟ إن ذلك الإيمان يغمر الليبراليين بالثقة أن نهاية التاريخ ستكون بانتصار الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية ووجود عالم موحد بلا تمايزات.
هذه نهاية الحروب، وهذا هو أصل المقولة الشهيرة جدا لتوماس فريدمان بأن لم تنشب أبدا حرب بين بلدين فيهما مكدونالدز! يطلقون عليها (قاعدة الأقواس الذهبية) وهي تختصر الفكرة الليبرالية الرأسمالية عن السلام العولمي: عندما نتشارك جميعا نفس المبادئ والأموال ستنتهي الحروب!
طبعا سيكون من السخف التذكير بأن كتاب فريدمان قد صدر عام 1999! لقد فرغنا من الكلام عن أهمية تسعينيات الانتصار الليبرالي في التأثير على عقلية الجميع: لقد انتصرنا انتصرنا انتصرنا.. ولا يوجد بعد النازيين ثم السوفيت عدو حقيقي يمكن أن يفرض تهديدا وجوديا على أمريكا /أو الليبرالية الرأسمالية الديمقراطية بتعبير آخر! حتى كنيث والتز قطب الواقعية البنيوية والمخاصم لليبرالية كأسس نظرية، كان يعترف ويؤمن بهذا! إنها نشوة الانتصار النهائي في التاريخ.
كيف أثرت هذه المفاهيم الليبرالية على الإخوان؟! لقد انتشر نمط التبشير (بالإصلاح الاقتصادي المذهل) في الخطاب السياسي الإخواني طوال العقد الأول من هذا القرن، وكان من الواضح تأثير نجاح التجربة الإردوغانية في تركيا على الخطاب السياسي التسويقي: حيث تم ربط (انتخاب) الإسلاميين و(سيادة) الإسلام بالارتباط الاقتصادي مع (المنظومة العالمية) لصنع ازدهار

---

1) نظريات العلاقات الدولية: 96.

داخلي كبير.

كانت هذه مخاطرة سياسية دفعوا ثمنها كثيرا في عام حكم د.مرسي بالذات! لقد تحول محتوى شعار (الإسلام هو الحل) في الخطاب الإخواني، وبتأثير اللبرلة التي جرت لتنظيرهم السياسي والشرعي، إلى محتوى آخر يصح تحويره إلى (الإسلام **الليبرالي الديمقراطي الرأسمالي المعولم** هو الحل)! وارتبط مدى نجاح المشروع الإسلامي بمدى قدرته على تطبيق هذا المحتوى متى وصل إلى السلطة. وجاءت تجربة إردوغان داعمة ومعززة لموقفهم. وهنا كان المقتل!

فعندما استلم الإخوان السلطة في مصر لعب الإعلام المصري طوال الوقت على إثارة الناس وتهييجهم بعد أيام من توليهم الحكم: أين الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية؟ أين الأموال والثروات؟! وبدأ الشارع المصري يغلي لأن الإصلاح السريع مستحيل في بلد مستقر مؤيَّد من الجميع، فما بالك في بلد مهدمة مخربة يحكمها الإخوان الذين ظلوا يقعون في العثرات الإقليمية والعالمية: حيث لا أحد يحبهم حقيقة!

كيف يكون هناك إصلاح اقتصادي يدر الثروات عالميا على دولة في وزن مصر دون ضوء أخضر بل مشاركة صريحة من إسرائيل في بناء الدولة الجديدة؟! كيف يمكن أن يتم تقديم الثقة لجماعة مثل هذه بينما قادتها يؤازرون الجانب العسكري الجهادي في حماس؟! لم ينتبه الإخوان على ما يبدو أن إردوغان نموذجهم كما كان يدين مواقف إسرائيل فإنه كان يدعو حماس لترك التسلح والتحول لحركة سياسية بحتة[1]! وربما تغير الحال لو كان قد تم (تعريب وأسلمة!) الرؤى النقدية الرأسمالية-رأسمالية التي تعلن أن بدء أي دولة إصلاحاتها الاقتصادية بمبادئ السوق الرأسمالية الليبرالية العالمية، هو خطأ فادح! فلابد من مرحلة (حمائية) تقوم فيها (الدولة) ببناء نفسها وقدراتها بصورة كافية للدخول إلى السوق العالمي ومنافسته للحصول على نصيب. وبغير ذلك لن يكون دخول الدولة للساحة العالمية إلا حماقة[2]!

على أي حال فقد خابت الآمال الطوباوية الإخوانية حين جاء موعد التجربة: كان أملهم هو (الاندماج) مع المجتمع العالمي باللبرلة والرسملة والتعولم، وقبول المجتمع العالمي لمن يمدون أكفهم إليه. إن اللبرلة هي المتهم الأول في شيوع هذا التصور المؤدلج كليا، لأنها شوهت صورة الصراع العالمي وشوهت التاريخ الإسلامي القائم على صراع طويل حاد مع المحيط غير الإسلامي والغربي خاصة. وانتشرت بالداخل الإسلامي نظرية تفسيرية نفسية أخرى بجوار نظرية (النرجسية الغاضبة) التي تحدثنا عنها قبلا، وهي نظرية (الإحباط والعدوان)[3]: لماذا يقوم المتطرفون بالاعتداء والإرهاب؟! السبب هو عدم وجود ديمقراطية ليبرالية وقبول دولي لليد الإسلامية الممدودة!

تم استخدام هذه النظرية النفسية بصورة مكثفة خارجيا للتسويق الدولي الغربي للمنتج الإسلامي المتلبرل: إننا رغبة الشعوب الإسلامية، إننا الضمان الأوحد لانتهاء التطرف بوأد (الإحباط) الإسلامي. أعطونا السلطة والفرصة للمشاركة وسننهي هذا الإحباط.

---

1) عقيل سعيد، السياسة الخارجية التركية: 164.

2) نظريات العلاقات الدولية: 116.

3) دايفد باتريك هوتون. علم النفس السياسي: 336.

ولقد سمعت خالد القزاز سكرتير الرئاسة في عهد د.مرسي أثناء وجودهم في السلطة يقول في جلسة خاصة ما معناه: إن القيادة الأمريكية تريدنا! إن القيادة الأمريكية أخبرتنا أنهم لا يتحملون أن تتحول مصر لبؤرة تطرف وإرهاب، فهي تحتاج إلينا، تحتاج إلى الإخوان في مصر!

إذن الإسلاموطوبيا صارت هي الاندماج والمشاركة في صناعة اليوتوبيا الليبرالية العالمية. ولقد غلبت هذه الأيدولوجيا على الإخوان للدرجة التي جعلتهم يتعامون صراحة عن بداية الانهيار الطوبوي الليبرالي منذ أحداث سبتمبر! لقد انتهى منظور (نهاية التاريخ بالسلام الليبرالي) عمليا منذ هذه اللحظة! عادت دولة الأمن القومي مرة أخرى للواجهة وبدأت دولة السوق تتراجع. صار التخوف من (الإرهاب الإسلامي) المحتمل والرافض لليوتوبيا الرأسمالية الليبرالية والذي كان يتحدث عنه الليبراليون بعد الانهيار السوفيتي، هو الواقع الآن!

المسلمون/الجهاديون قرروا إشعال حرب عالمية على اليوتوبيا الليبرالية النهائية! لم يكن المسلمون وحدهم الذين رفضوا، بل كانت هناك نظرة متشككة متخوفة دائما من الشرق الآسيوي: لكن الواقع الآن أن الإسلام هو العدو الذي يلعب منفردا ضد الليبرالية العالمية!

عادت دولة الأمن القومي لأنه **عندما يحتاج مواطنو دولة ما المساعدة الطبية العاجلة مثلما فعل العديد من ضحايا تفجيرات بالي في أكتوبر 2002؛ فليس هناك معنى لطلب العون من قوى السوق! وليس من الممكن أيضا مطاردة المسؤولين عن هجمات (إرهابية) ونزع سلاحهم ومهاجمتهم بواسطة الشركات العابرة للقوميات!** بتعبير سكوت بورتشيل[1].

عليه لم يكن موقف جماعات الإخوان المتلبرلة في القرن الجديد رفضا للحرب الجهادية على أمريكا بالغريب، وإن كانوا لم يواكبوا التغير العالمي من الناحية التنظيرية بعدما سادت الكتابات الليبرالية الغنوشية. كان من المستحيل القول بأن هذا تنظير ابن وقته لا أكثر! خاصة مع الأحكام المطلقة الدائمة! فقد تمت (البرهنة) على كون الإسلام هو أبو الليبرالية وأبو رأسمالية السوق الحرة وأبو العولمة وأنه (دين السلام والمحبة والإخاء والتعاون) وأنه لا يدعو أبدا لأي عدوان على الآخر بحق أو بغير حق وأنه يريد المشاركة في مجتمع الختام الإنساني الطوبوي السعيد وكل (حقوق الإنسان) التي أقرتها الليبرالية العالمية كان الإسلام سباقا بها وأن مفاهيم (الجهاد) تم تفسيرها بصورة خاطئة فالمقصود الأكبر جهاد النفس وجهاد دفع الأذى من الغير أما جهاد الطلب فقد كان اجتهادا خاطئا إلخ إلخ! وكما ذكرنا فالجهاد المعاصر بالذات تم تفسيره كثيرا بنظريتي (الإحباط – العدوان) و(النرجسية)! أما الجهاد التراثي فتم تفسيره في سياقه باعتباره دفاعا عن النفس أو، بكل بساطة، تم تجاهله باعتباره مرحلة تاريخية ملعونة كما ذكرنا!

كيف تم تبرير الجهاد الحمساوي مقابل شيطنة الجهاد القاعدي؟ بالتأكيد لأن حماس تخوض معركة جهاد دفاعي عن النفس من أجل حماية المكتسبات الانتخابات الديمقراطية الليبرالية التي رفض المجتمع الدولي الاعتراف بها / بينما القاعدة تخوض حربا متطرفة رافضة للمجتمع الدولي معتدية عليه!

وطبعا لا يمكن أن ننسى الدور (التاريخي) لاستخدام (مقاصد الشريعة) في تعطيل أحكام الشريعة الإسلامية نفسها وتقديم البديل

---

1) نظريات العلاقات الدولية: 129 – 130.

التوافقي المتلبرل: (مبادئ الشريعة) والتي تم صياغة ألفاظها بعناية لتصبح متوافقة مع المبادئ الإنسانوية الليبرالية![1]

فقل لي بربك، بعد كل هذا، كيف تكتشف فجأة أن كل هذه البرهنات التي قدمت كأوراق اعتماد عند (الإدارة الدولية) هي مجرد ترهات تجاوزها المجتمع الدولي الذي عادت المدرسة الواقعية لتسيده؟! بل هناك علامات ظاهرة لعودة (عصر الأيدولوجيات) و(القوميات) بل وعصر (الصراع الديني) مرة أخرى بداخل الغرب نفسه! سحقا سحقا! فأين اليوتوبيا العالمية التي تم (لبرلة) الإسلام من أجلها؟!

إذن كيف تواجه جماعة الإخوان بهذا التنظير المتلبرل ذاك العصر الجديد؟!

أقول لك كيف: بالسقوط.. أو البراجماتية التي تصل لدرجة الوضاعة!

هكذا سقط الإخوان في مصر لأن براجماتيتهم لم تصل لمستوى الغنوشية التي نظَّرت كثيرا لكن في وقت التجربة تعاملت ببراجماتية لا أثر لأي مبدأ فيها!

وواجه إردوغان ضربات انقلابية (قوّمت) براجماتيته لتصبح أميل للغنوشية بعدما كانت أكثر تصلبا باسم القيم والروابط التاريخية التي كان يؤكد عليها دائما!

وأثر اللبرلة الغنوشية (التغنش) ظاهر بلا ريب في ميل جزء معتبر من الإخوان والمستقلين المقربين منهم فكريا إلى الإعجاب بما يعتقدونه نجاحا يتيما لمدرسة إخوانية عربية في عصر ما بعد الثورات.فقد أبقى الغنوشي حزبه حيا، وتلافى أخطاء إخوان المدرسة المصرية المحافظة. لقد ضرب السلفيين واعتقلهم وتنازل عن الحكم بأسرع من البرق حين وجد الأجواء الإقليمية مشحونة ضد الإخوان.[2]

أثبتت الغنوشية أنها لا تأبه إطلاقا لآراء الإسلاميين الآخرين –فليذهبوا إلى الجحيم! لابد من مفاصلة مع الجماعات والتنظيمات الإسلامية المعادية للنفس الليبرالي. ولابد من سيادة مبدأ البراجماتية السياسية وعدم التمسك بأكليشيهات دينية وأيدولوجية بائدة أودت بالمدرسة المصرية إلى الهلاك.[3]

هكذا ينتهي الحديث عن الدور التنظيري للبرلة الإسلام أو ما أسميه (حقبه الغنوشية). ليبدأ الحديث عن الدور العملي للإردوغانية.

ثانيا- الأرغنة:

كيف ساهمت الدولة الإردوغانية في تنفيذ اليوتوبيا الإسلامية-الليبرالية على أرض الواقع؟ هذا هو ما سأناقشه ها هنا بعرض عدة ملامح في الحراك التركي الإسلامي، تحتاج لفهم وتوضيح ورأينا حجم الإشكالات الناتج عن عدم فهمها!

---

1) وهذا دور يحتاج لمجلدات كي تفضحه، لكن بدونه لا يمكنك فهم تصريح كولن الشهير الذي سيجيء بعد قليل عن موافقة المبادئ للدولة العلمانية إلا قليلا!

2) وفي ظني أن الغنوشي نفسه أول مدرك لأن الديمقراطية في الشرق أكذوبة، ربما أكثر بكثير من المدرسة المصرية؛ وإلا ما كان قد تنازل عن حكم حزبه طواعية وهو الحاصل على تأييد الناس وأصواتهم.

3) وأحسب أن لها فائدة كبرى ستظهر حينما تأتي الإشارة للكلام عن المصالحات السياسية في مصر، فحينها ستكون البراجماتية الغنوشية منعدمة المرجع الأخلاقي مرجعية عظيمة وذات خبرة هائلة في وأد التراث الإخواني التقليدي المحافظ بصورة نهائية وردم الهوة بين التنظير المثالي والعمل البراجماتي الذي وصم الإخوان دائما.

أولا: لم يكن أتاتورك في عهده ينتهج قمعا إباديا للمسلمين، ولم يكن بمقدوره أن يصنع ذلك في دولة كانت وما زالت هشة مجتمعيا، هكذا تجده قد أبقى المدارس الدينية العثمانية[1] ومارس سياسة مناورة مع الشيخ سعيد النورسي الذي مثل المعارضة الإسلامية ضده إلى درجة عرض منصب ديني كبير عليه واستخدام منهج الاحتجاز لفترات قصيرة عله يرجع عن معارضة العلمنة -قارن هذا بمناهج الحكام العلمانيين العرب ضد كبار معارضيهم الإسلاميين لتفهم النموذج الأتاتوركي الماكر. إن هذا المنهج لا يعني أنه كان مظلوما، بل كان شيطانا رجيما مجرما معاديا للإسلام قام بكل المجهودات (الممكنة) لخلع الإسلام من الدولة. لكن سياسته الماكرة لم تكن مفهومة بصورة صحيحة، كانت مفهومة بصورة حدية أنه (منع كل الإسلام من تركيا) في حين أنه لم يصنع ذلك بالفعل! هكذا وجدنا تيارا من المهاجرين الإسلاميين إلى تركيا يتحدث مؤخرا عن (إعادة النظر) في تقييم أتاتورك، الذي يبدو أنه كان مظلوما بسبب (السرديات الإسلامية المشيطنة)! هذا صوت خافت لكنه بدأ يعلو بالفعل في أوساط المتلبرلين الإسلاميين من أهل المهجر التركي. طبعا هذا مفهوم جدا في الإطار الليبرالي المعادي للمؤرخ الإسلامي كما ذكرنا. المؤرخ والتراث الإسلامي يلعنون أتاتورك؟! إذن أتاتورك على الأغلب جيد ويحتاج لنظرة جديدة!

ثانيا: تركيا منذ عهد تورغوت أوزال –العلماني النيوليبرالي ورئيس الوزراء التركي الأسبق- في بداية التسعينات وهي تتجه نحو الشرق، الظهير التاريخي الذي تركه الأتراك وأهملوه طويلا من أجل أوروبا التي احتقرتهم ولفظتهم. ليست سياسة الاتجاه للمشرق والحديقة الخلفية التاريخية-العثمانية سياسة جديدة تماما ابتدعها البروفيسور أوغلو ونفذها إردوغان. صحيح أن هناك تطور واضح في الانفتاح على الحركة الإسلامية تحديدا منذ وصول الحرية والعدالة للسلطة في مطلع الألفية؛ لكن الحديث الرومانسي عن مبادرتهم الفريدة في الاتجاه للمشرق الإسلامي التاريخي ليس أكثر من وهم! إن أثر البروفيسور أحمد نجيب فاضل وفكرته عن الشرق الأعظم موجودة في تركيا منذ الأربعينيات[2] وقد كان تورغوت أوزال من أوائل الذين اتجهوا للخلف العثماني التاريخي، صحيح أنه اتجه أكثر للقوقاز وحاولت السياسة التركية طوال التسعينيات الظهور بمظهر المدافع عن الشرق السوفيتي الأسبق -بعد جمود وتجاهل تركي دام طوال أغلب القرن العشرين- لكن على أي حال كان الاتجاه الشرقي الجديد واضح الأثر العملي في السياسة التركية. هذا يوضح أن هذا العامل ليس (توجها إسلاميا إردوغانيا) بالضرورة، بل إن الحكومات العلمانية ما قبل الأربكانية كانت قد أقرته وتحركت فيه بالفعل قبل وصول الحرية والعدالة للحكم بأكثر من عشر سنوات!

ثالثا: الحراك الإسلامي التركي كان قد حسم موقفه من (الجهاد) مبكرا جدا في عهد النورسي: الجهاد المسلح ممنوع، الجهاد بالكلمة هو فقط المسموح، (الفعل الإيجابي) في المجتمع هو طريق النضال[3]. هذه المبادئ المختلطة بآثار صوفية كبيرة كانت جيدة كاتفاق ضمني غير معلن من الطرفين على عدم الوصول بالصراع لنقطة الصفر. لذا كانت المقاومة الشيوعية ضد الأتاتوركية أكثر عنفا وكان القمع التركي طوال تاريخ الدولة للشيوعيين أكبر من قمع الإسلاميين[4]. هذا لا علاقة له بالحراك الإسلامي العربي الذي حسم الأمر منذ البداية بالتسلح ومواجهة الدولة في بعض الأحيان (التنظيم السري في عهد البنا) أو في كل الأحيان (الحركات الجهادية التي بدأت

---

1) سيار الجميل، العثمنة الجديدة: 213.

2) السابق: 191.

3) السابق: 183.

4) السابق: 179.

تظهر في السبعينيات)، والإعجاب الإسلامي العربي الذي كان شبه محصور بالنموذج الإيراني الثوري، فالإطار الفكري والعملي العام لروحانيون مبارز (رجال الدين المقاتلون) كان وما زال هو الأقرب للفكر العربي السياسي والجهادي خاصة من الإطار التركي الصوفي الاجتماعي السلمي.

هذا المنهج يمكن أن يفسر سبب التشكك أو حتى العداء التركي للحركات الإسلامية المسلحة التي تسعى لتقويض الدول الموجودة، خاصة مع ارتباط العنف الحركي في الذهنية القومية التركية بالتجارب الكردية المسلحة التي أثارت الذعر دائما والتي لم تكن تملك حتى أرضية مشتركة يمكن تفهمها مع الأتراك على عكس الإسلاميين!

إن هذا المنهج المسلح الثوري -ببساطة- منهج غريب على الحراك الإسلامي التركي طوال تاريخه. كما أنه حتى إن تم فهم استخدامه مع دولة متجبرة فلا يمكن فهم استمراره للأبد دون وضع حد له والبدء في عمل سياسي / وبالأولى لا يمكن فهم استمراره للأبد ضد دولة أو منظومة عالمية ترفع شعارات الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية بحجة رفض العولمة والعلمنة والهيمنة كما تصنع القاعدة!

إن الحراك الإسلامي التركي نفسه متلبرل –بصورة ما- منذ البداية! والأطروحة التي كان يعرضها أربكان نفسه -والذي يعد يمينيا أكثر من تلميذه إردوغان- هي أطروحة دولة رفاه ليبرالي بصياغة وطنية إسلامية / لا دولة إسلام جهادي ثوري عنيف معاد للمنظومة العالمية[1]. وحتى عدنان مندريس الذي يمجده الإسلاميون العرب والأتراك على حد سواء، كان حراكه متناغما بصورة واضحة مع ليبرالية أمريكا وكان من المؤسسين لحلف بغداد العميل[2] وفي عهده دخلت تركيا الناتو وخضعت بصورة غريبة لأمريكا وشاركتها حتى في حربها الكورية التي لا ناقة لها فيها ولا جمل[3] وكان وعده بالحريات الدينية داخلا في إطار تمديد المنهج الليبرالي على استقامته أكثر منه اتجاها إسلاميا ثوريا!

وقد كان هذا المنهج لائقا جدا بالمتلبرلين: فالتطلع للغرب، وصناعة الشراكة العالمية، والبراجماتية السياسية في التعامل مع المحيط الإقليمي والدولي، والعداء مع الحركات الإسلامية المسلحة ذات المحتوى التراثي والصراعي الأبدي، مقابل التمجيد في الحركات الإسلامية السياسية التوافقية: هي صفات لازمة في كل من المتلبرلين والحراك الإسلامي التركي. لذا وجدنا كثيرا منهم يعتبر (النموذج الإردوغاني التركي) هو الإسلاموطوبيا ونهاية التاريخ الإسلامي: أفضل نموذج سياسي يمكن تحقيقه، حيث ليبرالية إسلامية وحراك إسلامي مجتمعي سلمي وسياسة براجماتية منضبطة غير مطلقة في الممارسة العملية مع أكثر ما ميز الأرغنة عن الغنوشية: قوة المواقف الحاسمة الفاصلة واتخاذ الموقف العدواني دفاعا عن الديمقراطية ضد الجيش – والادعاء الدائم بوجود خلفية من القيم تشد تركيا إلى الشرق الإسلامي وتؤثر في قراراتها.

لكن على أي حال فإردوغان وغول ورموز الحزب كان يتم تقديم صورة منقوصة عنهم بصورة دائمة للمجتمع العربي عبر بوابة الإخوان: فإردوغان هو القائل (**تركيا دولة قانون، دولة علمانية اجتماعية، إلا أننا بصدد رفع هذه المعايير الديمقراطية نحن نريد تفعيل مشروع الوحدة والإخوّة الداخلي**)[4] وغول هو القائل بعد إعلان دخوله قصر الرئاسة: (**أولويتي السياسية هي حماية العلمانية.**

---

1) السابق: 218 – 219.

2) السابق: 216.

3) عقيل سعيد، السياسة الخارجية التركية: 228.

4) السابق: 165.

وإذا كان البعض قلقا أقول له من فضلك لا تقلق .. إن مبدأ العلمانية هو مبدأ دستوري. حماية العلمانية هي واجب ومسؤولية الرئيس. همي أن ترتفع تركيا إلى مستوى الحضارة الحديثة وأن يبقى أتاتورك فوق الجميع)[1]. وكل هذا كان قبل الثورات العربية، لكن كان يتم تجاهل مثل هذه التصريحات بصورة دائمة على أساس أنها (تقية سياسية) واجبة في منظومة سياسية مقدر عليها التسلط العسكري العلماني. لهذا مثلت تصريحات إردوغان مدحا للعلمانية بعد الثورات- وبعد الاحتفالات الإخوانية الكبيرة بحضوره كسلطان إسلامي- صدمة كبيرة للوسط الإخواني بالذات: لقد كانوا يسمعون (رئيس الوزراء إردوغان) مباشرة للمرة الأولى! كانوا دائما قبل هذا يسمعون عنه ويشاهدون المقاطع القديمة له هجوما على العلمانية وأن الخيار لابد أن يكون بينها وبين الإسلام؛ لكن (إردوغان رئيس الوزراء) كان يبدو مختلفا! على أي حال فموقف الساسة والإسلاميين الأتراك منذ كولن اتسم بالتغيرات في الرأي من العلمانية، فكولن الذي كان يهاجمها دائما ويسميها المادية الاختزالية هو نفسه الذي تراجع بعد ذلك في تصريحه الشهير قائلا: **(95% من مبادئ الشريعة الإسلامية جائزة وممكنة في الدول الديمقراطية العلمانية وليس هناك أي مشكلة /والنسبة الباقية 5% لا تستحق أن نقاتل من أجلها)**[2]. والأقرب للواقع في ظني أن هناك تفاعل إسلامي تركي داخلي أنتج رؤية (متصالحة) بينية تجمع العلمانية والإسلام جمعا للمتناقضات -كعادة السياسة التركية. هذا شبيه بتحوير الإخوان والإسلاميين لمصطلح الدولة المدنية التي ينادي بها العلمانيون ويقصدون بها الدولة العلمانية المعادية للدين ثم العسكرة، كي يصبح مقصودهم الدولة المدنية المعادية للعسكرة فقط استغلالا للثنائية المعروفة (مدني وعسكري)! لقد لعب الإخوان نفس لعبة العلمانيين بتفريغ المصطلح من معناه وتحميله معنى آخر ثم المناداة به مع المنادين! سيقف الإخواني ليطالب بدولة مدنية –ويقصد إسلامية ضد العسكرية- بينما يقصد العلماني الذي يهتف معه نفس الهتاف المطالبة بدولة علمانية ضد الدين قبل العسكرة! وقد وصل الاستخفاف والاستهزاء بالعقول إلى درجة لا تطاق عندما نادى الإخوان: كيف لا يتعاون معنا (العلمانيون الشرفاء) ونحن نطالب بدولة مدنية مثلهم!

في ظني أن ما حدث مع إردوغان هو شيء قريب من هذا: لقد تم تحوير المصطلح بصورة ما ليصبح ممكنا المطالبة به بل والادعاء دائما بأن من أولويات السياسة التركية الحفاظ على العلمانية!

أخيرا فإن اللبرلة الإردوغانية تخالف الغنوشية، في ثلاثة مواضع واضحة:

أولا- التصالح مع التاريخ الإسلامي (التركي تحديدا) واستخدام الدراما والسينما التركية في إعادة (الهيبة) التركية العثمانية. ويبرز مسلسل مثل قيامة إرطغرول المزدحم بالمواعظ والحكم والمبادئ والمدعوم من إردوغان، نموذجا على هذا؛ بغض النظر عن أن شخصية إرطغرول نفسه فضلا عمن دونه شخصية غامضة غير معلوم عنها الكثير عند المؤرخين وحتى المصادر التراثية التركية تعترف بتعدد (القصص) عن النشأة العثمانية مما ينتج عنه ضرورة (انتقاء) إحداها[3]! لكنك ستلاحظ بسهولة أن هذا تصالح مع (تاريخ قومي ضيق) لعب الإسلام محركا له أكثر منه تصالح مع (تاريخ إسلامي) كبير! هو تصالح محدود إذن مميز للبرلة الإردوغانية ويمكن تبريره في إطار الاستخدام الإردوغاني للماضي العثماني في سياساته الداخلية والخارجية بصورة تحتاج إلى صناعة شعبية لهذا الاستخدام بعد حوالي القرن من التشويه والتحقير الأتاتوركي.

---

1) العثمنة الجديدة: 239.

2) السابق: 195.

3) روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية: 17.

ثانيا- المواقف الإردوغانية الإيجابية الحاسمة والتي تسارع إلى إبراز المخالب سريعا حين يتهددها انقلاب. إنه لا يهتم كثيرا حينئذ بالآخرين ولا بالتوافق ولا بأي شيء سوى ما يجعله ينتصر: فلتذهب أنت وليبراليتك إلى الجحيم إن هددت الحكم! فلتذهب الحريات إلى الجحيم إن سمحت بانقلاب عسكري! فلتذهب بنية الدولة كلها إلى أقرب صندوق قمامة إن ظلت تسمح للعسكر بالتدخل! هو هنا أقرب للعقلية الثورية الإيرانية التي سيطرت على الساحة وأبادت ماركسيي توده والليبراليين من القرار السياسي في خلال سنوات قليلة بعد الثورة بعدما سحقت احتمال التسلط العسكري، وهذه نقطة مخالفته الكبرى لمن قبله من الساسة الإسلاميين الأتراك. الغنوشية في المقابل لا تعرف الحسم إلا في التراجع السلبي أمام القوى العلمانية المعارضة بحجة التوافق / وضرب الآخر الإسلامي أو التبرؤ منه سعيا لتنقية الذات المتلبرلة.

ثالثا- البراجماتية الإردوغانية لها نقاط ضبط إلى حد ما، يسميها المسؤولية القيمية والأخلاقية، وهي ما جعلته يأخذ مواقف ضارة إقليميا به في بعض الأحيان مثل مخاصمة النظام العسكري المصري بعد الانقلاب. البراجماتية الغنوشية في المقابل مطلقة لا مرجعية أخلاقية واضحة لها حتى أن من رجالها من ذم إخوان مصر على معارضتهم الانقلاب من الأساس[1].

لكن على أي حال يُلاحظ بعد محاولة الانقلاب التركية في نهاية 2016 أن إردوغان صار يميل إلى البراجماتية المطلقة مهما اصطدم بثوابت أخلاقية أو إسلامية. ويبقى المحرك الكبير للساسة الإسلاميين الأتراك هو: مصلحة تركيا أولا. يجب فهم هذا جيدا لإدراك أحد نقاط الخلاف الكبير بين الحركة السياسية الإسلامية التركية ونظيرتها العربية: أن التركية تمزج بين مصلحة الإسلام والمصلحة القومية في تركيا، فأي مؤامرة على تركيا هي مؤامرة على الإسلام –والنظرة السياسية التركية مزدحمة دائما بنظريات المؤامرات العالمية على تركيا/الإسلام!- بينما الحراك العربي في أغلبه يفصل بين المصلحة القومية والمصلحة الإسلامية وفي الغالب يقدم الإسلامية أو يعتبرها تعارض المصالح القومية الضيقة[2].

هذه أبرز المخالفات بين المنظومتين، وإن كانتا في النهاية خدمتا بعضهما البعض: الأولى تنظيرا والثانية عملا ناجحا، وتوافق الإسلام مع الليبرالية في الحكم الغنوشي والإردوغاني.

بالطبع لا يمكن في الختم تجاهل ذكر بعض الإسلاميين الجهاديين أو الإخوان ممن يؤمنون بأفكار الأجيال الأولى من الجماعة؛ فهؤلاء يدعمون إردوغان ويؤولون مواقفه كلها باعتبار أنه يلعب لعبة دولية ومؤامراتية باطنية كبرى ضد العالم العلماني المتآمر، وأنه يستخدم الكذب طوال الوقت من أجل (أسلمة) المجتمع التركي ببطء وهدوء تميز بهما الحراك الإسلامي التركي دائما. وبالرغم من أن المشاركة الإردوغانية في إسقاط حلب بسحبه القوات المدافعة عنها تفريغا لصالح روسيا، قد صارت مفضوحة للأعمى ومبينة على الأقل أنه لا يعمل بتلك الصورة الطوبوية لمصلحة الإسلام والمسلمين؛ إلا أنهم لا يكفون لحظة عن تسويغ وتبرير تصرفاته وإعذاره بمناهج باطنية دعتني لتوصيفهم هم وكل المتلبرلين الذين يرون في بلده اليوتوبيا بالمتأرغنين! وبالتأكيد لا مجال لفتح نقاش عن دورهم الذي يؤدونه بطواعية وإخلاص في الترويج له باعتبار احتضانه للإسلاميين ظاهرة فذة؛ بالرغم من أن السودان على سبيل المثال،

---

1) بل ونشرت السي إن إن تصريحات للدكتور الريسوني، أحد أقطاب ظاهرة التغنش، في 2016: أنه مرتاح للانقلاب على الإخوان في مصر لأنهم يعانون جمودا فكريا وعليهم التخلص من تراث البنا!

2) تذكر دائما جملة الأستاذ مهدي عاكف المرشد الأسبق للإخوان: طز في مصر! حينما سألوه عن تعارض مسألة قومية مع الولاء الإسلامي.

قد استضاف الشيخ عمر عبدالرحمن نفسه هو و150 من أتباعه عام 1991 باسم الإسلام من قبل[1]. وبالرغم من أن سياسة احتضان معارضة النظام المنافس أصل من أصول العمل السياسي الدولي! /فمثل هذه المناقشة تخلع عن السياسة التركية النزعة الإسلاموطوبية التي يصر هؤلاء على الترويج لها! طبعا مع مجاراة الوسط التركي السياسي المهووس –بكافة أطيافه- بنظريات التآمر الإقليمي والعالمي! هل أصل هذا الهوس بالتآمر خاطئ؟!

من الطبيعي أن تكون الإجابة نعم؛ لكن في الواقع أن الأتراك إن تعاملوا بنظرة قومية لابد أن يشعروا بالذعر والتوحد والبارانويا طوال الوقت، إن تاريخ الهجرة السلجوقية للأناضول تاريخ عجيب من الزحف السريع ثم الاستقرار المفاجئ في موطن غريب جدا عليهم بين العرب والكرج والأرمن والفرس والكرد من جهة، وأوروبا الشرقية بكل تعقيداتها الدينية والعنصرية والقومية من جهة أخرى! وأي ابتعاد أو انفصال عن عمق قضايا المحيط الإسلامي العام والاكتفاء بالمعرفة السطحية المفروضة عليهم بسبب حاجز اللغة لابد أن يضاعف عندهم هذه المشاعر –المثل التركي يقول: ليس للأتراك أصدقاء إلا الأتراك![2] - إن الأتراك قد ابتعدوا زمانا ومكانا عن البلاد التي خرجوا منها وانقطعوا منذ قرون طويلة عن محيطهم الذي نشأوا فيه وهم يعيشون في محيط معادٍ من الجهتين: فمنذ معركة نيقوبوليس ضد بايزيد يلدريم وأوروبا الشرقية والغربية تتآمر ضدهم بكل قوة وبصورة منتظمة أكبر بكثير مما كان يجري مع السلاجقة، ومنذ معركة أنقرة وأوروبا كلها تتآمر مع المشرق التيموري أو الصفوي أو حتى المملوكي من أجل القضاء عليهم –مع التنبيه لرفض تيمورلنك والمماليك التآمر مع الكفار ضدهم. هذه البدايات المشحونة بالمؤامرات الخارجية منذ النشأة تضاعفت ألف مرة بعد المجهودات التآمرية الهائلة في القرنين الماضيين لإنهاء العثمانيين للأبد؛ وعليه فنحن نفهم جدا البارانويا التركية الدائمة، أما ما لا نفهمه أن تنتقل عدوى هذه البارانويا المهووسة للمتأرغنين حتى يصل بهم السخف لدرجة أن يصبحوا بوقا يردد الدعاية الإردوغانية السوداء ضد كولن والمنظمات الجهادية طوال الوقت! تخرج الطائرات على مدار الساعة من إنجيرليك لقصف المجاهدين في نفس الوقت الذي يتبجح فيه إردوغان على التلفاز الرسمي أنه يحارب التنظيمات الإرهابية العميلة لأمريكا مثل داعش!

والنقاش قد يطول والهموم في الصدر كثيرة والاسترسال قد لا يتوقف إلا بعد ألفي صفحة من الضيق والغضب؛ لكن على أي حال ففي المقالات الملحقة نقاشات لأفكارهم تغنيني عن المضي في سرد تضاربهم وسوء مواقفهم واستهتارهم بمذابح المسلمين التي تورطوا في دعمها باسم دعم الجيش التركي (الإسلامي)!

***

ثالثا- المجتمع المدني:

في النقطة السابقة ناقشنا اللبرلة على مستوى الدولة الحاكمة بعدما ناقشنا اللبرلة على مستوى التنظير، الآن تتبقى مناقشة سريعة للبرلة على مستوى المعارضة الإسلامية المسحوقة وهي التي تكاد، حتى الآن، تبقى ظاهرة في الإسلاميين المصريين أكثر من غيرهم، بعد تجاهل أمثال توكل كرمان، الفتاة الشاذة عن الحالة اليمنية.

من المعروف أن الثورة المصرية حين قامت كان النظام يبقي على حالة المجتمع المدني المصري على ذات التقسيم التقليدي

---

1) أماني الطويل، العلاقات المصرية السودانية: 303.

2) عقيل سعيد، السياسة الخارجية التركية: 168.

(الإسلاميون لهم العمل الخيري/غير السياسي – والعلمانيون واليسار منهم تحديدا لهم العمل الحقوقي والبحثي السياسي)[1]. كانت الساحة المدنية العلمانية مفتوحة بعدما أزيلت أنياب اليسار والقوميين وفشلت نضالاتهم ضد الدولة فكان الاتفاق الضمني مع الدولة يشابه الاتفاق الضمني بين النورسية والأتاتوركية كما ذكرنا قبلا: سنكتفي بنضال الكلمة والدفاع عن المظلومين /وسنقف مع الدولة والكنيسة ضد (الفاشية الإسلامية والإرهاب الإسلامي). كانت لحظة الثورة بداية لتحرك داخلي من شباب الإخوان وقلة من السلفيين في الاتجاه نحو الإقطاع العلماني المصطلح عليه مجتمعا مدنيا، وكان التقارب الإنساني في المواقف والخبرات المشتركة ضد الدولة سببا في ظهور اتجاه مثله خير تمثيل حزبي التيار المصري إخوانيا وشخص مثل محمد يسري سلامة سلفيا، أما التيار فقد تم تعيينه بالاسم في تقرير راند كنموذج ما بعد-إسلاموي مثالي يمكن تعميمه على شباب الإخوان من أجل لبرلتهم تماما، وهؤلاء نموذج لشباب الجماعة المتلبرل الذي جذبه المجتمع المدني/العلماني إليه. وأما يسري سلامة فقد ظهرت سريعا مواقفه المعادية للإسلاميين المتبرأة منهم والمؤيدة للبرادعي في مقال نظر فيه لولاء جديد قائم على أساس موالاة الثوار لا الإسلاميين وأن الثورة قد أظهرت الجانب الإنساني في الجميع وبددت الأوهام التي فرقت بينهم.[2]

أوقف خصام التيار المدني/العلماني مع الإسلاميين -الذين لفظوا حينها كل من هرول إليهم- سيرورة اللبرلة العملية مؤقتا، لكن بعد الانقلاب عاد الإخوان فجأة إلى المؤسسات الحقوقية المدنية/العلمانية جزعين مطالبين بالتحالف معهم مرة أخرى –والساحة الحقوقية المدنية هي الملاذ الدائم للفاشلين سياسيا.

هكذا رأينا تحالفات حقوقية نشرت أفكارا ليبرالية جديدة عن الدفاع الإنساني لصالح كل البشر ورفض اعتقال العسكر لأي معارض حتى لو كان أكفر أهل الأرض، وقد سمعنا التجاوزات المتلبرة والتماهي الإسلامي الحقوقي يصل لدرجة شيوع أصوات خافتة تلتجئ للإعلانات العالمية الرافضة لعقوبة الإعدام بسبب همجيتها، منادية بتطبيقها في مصر حينما تكاثر صدور أحكام الإعدام على الإخوان! طبعا علمتهم التجربة أن النظام يقوم بالتنفيذ في الجهاديين فقط فخفت هذا الصوت مرة أخرى وتراجع للخلف!

إن الظروف التي ظهر فيها أو تغيب ذاك الصوت لا تهمنا قدر ما يهمنا فهم لماذا ظهر هذا الصوت أساسا من الناحية النظرية في تيار يطالب بالشريعة وفيه الإعدام عقوبة مجمع عليها ويكفر منكرها؟! لقد ظهر فيه بسبب اللبرلة لا بسبب مجرد حالة ظرفية براجماتية مؤقتة -كما برر الإخوان موافقة سمير ديلو المتحدث باسم حزب الغنوشي في عام 2011 على فتح نقاش خاص بتقنين اللواط والسحاق-. إن الأمر أكبر من مجرد تبرير ظرفي.

---

1) عزمي بشارة، المجتمع المدني: 301.

2) هذا الكلام بالحرف سيقوله كذلك أحمد خليل خير الله رجل حزب النور وذراع برهامي الناعمة لكن بعد الانقلاب وبعد استبدال التزلف للجانب الثوري العلماني بالتزلف إلى الجانب الدولتي العلماني! ولا يمكن نسيان تطرفات يسري سلامة القذرة التي وصلت حتى التهليل تأييدا للاعتداء على مسجد القائد إبراهيم وحصار الشيخ المحلاوي مع المصلين من جانب العلمانيين والشيوعيين، وهو يوم لن أنساه في حياتي حين كبلني العجز والمرارة التي أصابتني وأنا أشاهد سب دين الله جهرة على أبواب المسجد ومحاولة حرقه بمن فيه من نساء وأطفال دون أن أستطيع الوصول إليه من الحشود المنحطة حوله مع تراخ وضحكات من جانب الشرطة التي أبدت شراسة فقط في الشوارع الجانبية البعيدة تصديا لشباب إسلاميين حاولوا الوصول في جماعات للمسجد لفك الحصار الإجرامي، يومها عدت إلى المنزل بعدما انتهى الحصار بأعجوبة في آخر الليل لأجد يسري سلامة يهلل على شبكات التواصل معتبرا أن هذا تأديب لازم كي يكف الإسلاميون عن استخدام لمنبر لدعم أحزابهم، فالله الموعد إن لم يكن قد تاب عن هذه الجريمة قبل موته.

في الختام، فإن الإسلاموطوبيا الليبرالية تواجه الصفعات المتتالية من الجميع دوليا وإقليميا، وقد حاصرت نفسها بتنظيرات كثيرة ابنة التسعينيات جعلتها تنظر للعالم نظرة أخرى مؤدلجة كليا ومنحرفة عن الإسلام بدرجات متفاوتة، ولن يكون هناك حل لعلاج هؤلاء إلا بالصدمات الواقعية التي جعلت بعضهم ينظر للتنظيمات الجهادية العاملة بصورة أكثر احتراما بعدما اكتشف الوهم الذي سجن نفسه بداخله، أو بالتخلي عن الجزء الإسلامي التنظيري الذي يكبل (اندماجهم) الكامل في المنظومات العالمية المتتالية.

ملحق المقالات

(يناير 2014)

هل نجح النهضة التونسي ؟

بساطة، قد رأى راشد الغنوشي ما حل بالإخوان المصريين لصمودهم في استراتيجية التحالف والتكتل الإسلامي الإسلامي؛ فقرر لعب دور حزب النور (سنخلع حتى الملابس التحتية .. المهم رضاكم عنا)! وقد نجح في عرض الاستربتيز الذي صنعه!

إلى حين!

حزب النور ومجرموه يتفوقون عليه فقط بأنهم لم تتلوث أيديهم مباشرة بدماء الموحدين، ولا تفاخروا علنا أمام الغرب بقتلهم، بينما أوغاد النهضة صنعوها على يد رجلهم بلعريض وتفاخر بالمقتلة الغنوشي نفسه!

يتفوقون بأنهم لم يقولوا أنهم سيتركون حرية الشذوذ الجنسي للحوار المجتمعي بينما سمير ديلو قالها!

يتفوقون بأنهم لم يدعموا ضرب فرنسا لمالي و الجهاديين بينما النهضة فعلها!

النهضة التونسي أحقر من حزب النور ألف مرة.. والغنوشي أدنى من برهامي في المكانة بكثير..

لذا فقط تركوه لجولة أخرى.. وتبقى النهاية حتمية كذلك لا محالة..

أما بالنسبة لمن يهللون له:

أنتم إما جهلاء بماهية النهضة و الغنوشي و تصرفاتهم من قتل للموحدين وسجود للملحدين وتبنٍ لجل أفكار العلمانيين - وإما تعلمون ووقتها تثبتون المقولة المنتشرة بأن الإخوان لو كانوا مكان حزب النور لصنعوا نفس الدناءة والتحامق مع داعمي الرئيس السلفي؛ كي (تستمر دعوة الخالدين) ومصلحة (بقاء التنظيم)!

هؤلاء المتباكون على فوات كونهم حكماء كرجال (النهضة التونسي) هم نوريون لكن هويتهم الحزبية (إخوان) لا أكثر ولا أقل!

إخوان مصر لم يكونوا بدناءة نهضة تونس مع باقي الإسلاميين.. و بعيدا عن التكهنات ووجود قيادات كانت تود بالفعل أن يكون مرسي هو غنوشي آخر، لكن مرسي لم يكن كذلك، ولم يكن الشاطر ولا يديع كذلك، على شدة مشاكلهم في الحكم، كانوا يتصرفون بحماية للتيار الإسلامي المصري. الآخرة خير وأبقى يا مرسي ويا شاطر ويا إخوان مصر. وغدا تعلمون أن النهضة لن يدرك حتى أطراف البقاء والكرامة..

ولاعزاء للنوريين الحزبيين الحمقى من الإخوان الحزانى عل فوات فرصة أن يكونوا مطية الغرب والعلمانيين ومحظيتهم الأثيرة!

(ديسمبر 2014)

كنت أتناول الغداء ذات مرة بمطعم في إسطنبول مع زميل مصري، تعرفنا -لسبب لا أذكره- على شخصين بجوارنا أحدهما له حظ ضئيل من إدراك الإنجليزية لكنه مع ذلك يعتبر مُعجِزا أن تراه وسط الأتراك! المهم أن الحوار كان عاديا جدا ولم نكن نفهم سبب تلك الرغبة المحمية للتعرف علينا كعرب -أولا لأننا في كل مكان والشعب التركي روحه في حلقومه من أي (سحنة) عربية! وثانيا لأنه شعب (غير ودود بطبعه)!

بعد دقائق أعطانا مطبوعة ملونة أنيقة عليها صورته وهو يرتدي ملابس عثمانية و(طرطور) عثماني طويل جدا في مشهد مثير للسخرية.. فهمنا أخيرا ما يريده: كان ممثلا ثانويا ربما أراد منا أن نحضر إلى مسرحيته مجاملة، وعنده سيارة رحلات يؤجرها للأجانب أمثالنا مع أسرهم.. فهو يريد منا إحدى الحسنيين! واضح أنه لن يستطيع أن يقنع تركيا من إسطنبول بذلك فلجأ إلينا!

الأمر لم يبدُ لي منطقيا برغم كل شيء؛ برغم أن عقلي حين رأيت صورته لم يكن قادرا على التوقف عن تذكر مشهد في أحد الأفلام لـ(زينات صدقي) وهي تهتف مخاطبة (عبدالمنعم إبراهيم) عندما اكتشفت أنه مجنون بعدما ظنته طبيب المجانين: (يخرب بيتك هو انت منهم)!

هذا غير منطقي! أنت تريد منا أن نأتمنك على القيادة بنا وبأهلينا وسط الجبال في رحلة، فتقدم لنا صورتك وأنت ترتدي (طرطور) طويل!!

تذكرت هذا الموقف أثناء متابعتي للتجربة الغنوشية التونسية التي انتهت إكلينيكيا بالأمس.. وأحب أن أسلط الضوء على الغنوشية بالذات منفصلة عن باقي التجارب الإخوانية الطابع.. لأن أصولها كانت منحرفة جدا منذ زمن.. الغنوشية فكر أخذ من الكثير نعم؛ لكنه هو بذاته صاحب طابع مثير للغثيان!

من اطلع على هذا الفكر قبل وصول الغنوشية للسلطة التونسية قبل عامين كان لابد أن يشعر نحو مطالبة النهضة بالحكم لإقامة الإسلام نفس ما شعرت به نحو هذا الممثل/السائق! لقد كانوا يرتدون طرطورا طويلا ويريدون أن يقودوا الأمة في نفس الوقت!

المثير أنهم أتيحت لهم الفرصة للقيادة، وفهم كل من لم يصدق أخيرا الحقيقة: أن هذا (الطرطور) ارتداه الغنوشي عن اقتناع بوجوبه -لا لأنه ممثل مجبر على الظهور به!

(ديسمبر 2014)

ما أخبار الإخوة من ممجدي (نهضة الغنوشي) التونسية الحكيمة التي حافظت على نفسها والثورة ونجحت بفكرها المنتمي لبن نبي بينما فشل القطبيون من إخوان مصر؟!

ما أخبار من جعلوا الحل أمام الحركة الإسلامية: أن تكون في حكمة (نهضة الغنوشي) التي نزعت أغلال الأصولية والمنطلقة في مجتمع حديث وعالم واسع بفكر وتصرفات براجماتية سياسية؟!

ما أخبارهم وهم يقرأون للغنوشي (البراجماتي الأنتي-أصولي البن-نبوي!) وهو يعتبر الآن أنه قد أنجز: لأن الحركة خارج السجون حاليا؟! هذا هو إنجازه العظيم بعد ثورة وحكم!

لا أحد في هؤلاء يعيد التفكير في تلك التجربة الكارثية ليس للإخوان فقط؛ إنما للأسس الفكرية التي أدت لسلسلة شبه متطابقة من التصرفات في دول مختلفة أدت لنفس النتيجة بالنسبة لمن وثقوا فيهم ولنتائج متشابهة بالنسبة للتنظيم!

لا أحد من هؤلاء يتكلم عن شعور الفأر المحاصر المستشري في كتابات كثير من الإسلاميين التونسيين بعد العودة القوية والعبقرية لنظام بن علي!

نصيحة حقيقية من مخلص لا مستهزئ: أعيدوا البحث فيما تعتنقونه من أفكار.. إن كانت الأيدولوجيا هي الوهم المسيطر على العقل والذي يمنعه من رؤية الواقع على حقيقته بتزييفه -فأولى الناس بوصم التأدلُج هو المُصرّ على هذه الأسس الفكرية رغم سقوطها الشنيع وبيان عوارها العملي غير المُحتمل! هذا هو المُتأدلِج حقا وليس من كون نظريته بناء على أصول قرآن وأثر واستقراء لحركة التاريخ وسننه!

(يناير 2015)

الفارق العميق بين نظامك كمسلم وبين أصل من أصول الفلسفة الديمقراطية يظهر في حال الثورة الشعبية:

فلو خرج شعبك بالكامل عليك مطالبا بتغييرك وترك الشريعة، في استفتاء أو هياج.. فستضرب بأم رؤوس هذه الجمهرة بلا هوادة! لا استجابة!

لو اختار شعبك كله الردة فستحارب المارقين كلهم بما وسعك من قدرة.. وقد ارتدت أغلب العرب بعد موت النبي فحاربهم خليفة المسلمين أبو بكر رضي الله عنه حتى أعادهم للإسلام..

في الديمقراطية الأمر بسيط، وضَّحه الغنوشي صراحة قبلا: **إن اختار الشعب الكفر، فسنرحل!**

ويقول لك الساذج مدافعا: فليتحمل وقتها الشعب خياراته!

حسنا: هل أبو بكر رضي الله عنه صنع مثلكم وقال "فلأترك العرب يتحملون تبعات خيارهم بالردة وصعود نجم مسيلمة الكذاب؟"؟!

وماذا كان ليحدث إن جرى هذا؟!

عن هذا المعنى كانت قصة (خلافة ديمقراط) التي كُتبت في 2012 -في عز النجاح الخادع لتجربة انتخابات مرسي الديمقراطية وليس بعد سقوطها!- وصدرت ورقيا في مطلع العام الماضي.. حيث تم استبدال تاريخ الخلفاء الراشدين بخليفة واحد ديمقراطي.. حيث المنافسة المجتمعية والسياسية فرضت على الأصوليين (حزب المستمسكين) أن يكونوا جزءا من لوحة الحكم الديمقراطي.. حيث التخريب المجتمعي والديني كان كامنا يقمعه خلفاء أهل السنة متى طل برأسه، لكن الديمقراطية -بافتراض تعريفها الليبرالي الحالم غير الواقعي- ترسم سردا مختلفا!

إن الخلاف بين فلسفة الحكم الإسلامية وبين الفلسفة الديمقراطية الليبرالية -بالتعريف الحالم غير الواقع- كبير حقا، وليست المسألة مجرد استعارة للآليات!

وإن الفصل بين كامل الآليات والفلسفة الكامنة أمر خرافي غير واقعي.

لنأخذ مثالا على ذلك: فآلية انتخاب الحاكم بواسطة المسلمين محل اجتهاد.. وهي (مشابهة) للآلية الغربية الديمقراطية -لكنها ليست هي!

ففي الفلسفة الديمقراطية يستحيل أن تجعل هوية الناخب الدينية هي التي تسمح له بكونه ناخبا.. لكن في الإسلام المفتاح الذي يتحكم في كون المرء ناخبا: الهوية الدينية.. أن يكون مسلما..

ما الذي جرى في الدول العربية ورضيت به الأحزاب الإسلامية؟ الآلية الانتخابية الديمقراطية فقط أم فلسفتها الملازمة معها؟

لقد طبقوا الآلية بفلسفتها -فتم تمييع الدين لكسب ود الناخبين من مرتدين وكفار أصليين وزنادقة!

بل وصار إعمال الدعوة فيهم مستحيلا لأنها ستؤثر في قدرتهم الانتخابية بسبب هبوط شعبيتهم إن فقدوا ثقة الناخبين غير المسلمين الذين يريدون البقاء على دينهم!

هكذا كانت آلية الديمقراطية المشبعة بفلسفتها سببا لانهيار الدعوة وتمييع الدين! الأمر لم يكن -أبدا- مجرد استخدام للآليات فقط!

(يوليو 2015)

صدقا: الذين يحاولون عزو كل ما تقوم به التنظيمات الجهادية المعاصرة إلى مجرد رد الفعل على الظلم العالمي -أي أن القضية خارجة عن الإسلام ذاته بل هي مجرد هوس غاضب ردا على منظومة عالمية لا أكثر- لا يقلون في تزييف الوعي الخطير عن أي علماني! وأنت تقابل من هؤلاء وسط الإسلاميين الآلاف حتى من أقرب أنصار التنظيمات الحالية /لكنهم لا يؤمنون على ما يبدو أن الإسلام يمكن أن ينتج (جهادا ذاتيا) ضد الآخرين حتى لو كان كل أهله يعيشون في بحبوحة من العيش والهناء -إنما المسألة فقط أن العالم ظالم لا يتيح الحرية /فإن أتاح الحرية والسيادة للشعوب المسلمة: توقف كل شيء!

-لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، حين حضرت تبوك، سيدا للعرب بالإجمال والمدينة قلب سيادته.. وكانوا في حال لا اضطهاد فيه من الروم لهم وإنما الذي ورد قبلها للمدينة -إن صح- لم يكن أكثر من شائعات عن عزمهم المجيء /فعلام ذهب النبي ليجاهد الروم؟ ومثل هذا الأمر سيكون مطردا في عصر خلفائه وخلفاء خلفائه: حتى حينما كانت الدولة الإسلامية الأقوى والأكبر والأكثر رخاء: لم يتوقف الجهاد ضد الكافرين وفتح الأمم وإدخال شعوبها للإسلام!

نعم: القضية قضية دينك ذاته -وقد تشترك من حيث لا تدري مع العلمانين المنصفين (زعموا) إيمانا بأصل هذه الفكرة، أي أن القضية هي اضطهاد الإسلام فقط والجهاد هذا قضية سياسية لا أساس ديني/إسلامي لها!

وكم أتعجب عندما أجد أمريكيين -وغربيين عموما- يتحدثون عن هذا الأمر بصراحة (أي عزو الجهاد للإسلام ذاته لا لمجرد رد فعل غاضب ناتج عن القهر) بينما أجد إسلاميين يؤمنون تماما بالعكس ويتحكون بهم شر تمحك لإثبات أن ديننا (دين سلام)، ليس فيه (اعتداء على أحد)! هذا ونفس الشخص يتفاخر بالأندلس والقسطنطينية بل ويتفاخر بعصر (الفتوحات الإسلامية) مطلقا: ولو جعل قاعدته مطردة -كما صنع عدنان إبراهيم: لهاجم كافة الفتوحات في كل زمان ومكان؛ ولوصل إلى منبع (التطرف) كما يزعم -وهو ما لم يجرؤ على فعله عدنان- وهو عصر الخلفاء الراشدين بل ما قبله وربما إلى آيات الجهاد نفسها!

لهذا كان الأمريكيون -بل والغربيون منذ نابليون- أكثر وعيا وإدراكا عندما عمدوا إلى إظهار ودعم فرقٍ من الإسلام تقلل من شأن الجهاد ولا تعمل به كجزء ذاتي من الإسلام لا ينفصل عنه أبدا: ككثير من الصوفية العربية وجماعاتها -لا الكل ولا الصوفية غير العربية- على حساب فرق أخرى تعتبره جزءا ذاتيا لا ينفصل وغير مقيد بزمان ومكان أو بتاريخ سلفي ماضٍ منتهٍ!

(سبتمبر 2015)

كل مبرر برر ما حدث للأخت إيمان كنجو بحجج مثل التي رأيناها هو ديوث منافق معتوه:

حجج مثل أن القانون الدولي يقول بتسليمها لإسرائيل (ويقول كذلك بتسليم إخوانكم الإرهابيين لمصر يا عباد القانون الدولي أذلكم الله فوق ذلكم) أو بأن إردوغان لا يسيطر على الجيش (والذي يرحل هي الحكومة لا الجيش! ثم أن الجيش مسلم مرحب بتدخله في سوريا وقتله للمسلمين أليس كذلك؟ ما الذي جعله علمانيا ضد إردوغان مرة أخرى؟) أو بأن القصة مصدرها يهودي (إسرائيل يا حمقى ستكذب على تركيا في كل تلك القصة علنا؟ أم أنها ستقبض بنفسها على المرأة وهي على حدود تركية سورية؟) أو بأنها ستنضم لتنظيم داعش (داعش كفار عندكم طائفة وأعيانا؟ أم أنكم كلاب تلهثون وراء من يهيجكم فقط فلا تعلمون حتى حكم تسليم المسلم وإن كان خارجيا لكافر محارب يهودي مغتصب للأرض وللعرض؟) وبأنها امرأة (أهذا مما تلومونها عليه وترون أنه لا مشكلة بسببه إن تم تسليمها لليهود كي تضيع حياتها عندهم: أنها سافرت دون محرم؟!) كل ديوث أولا -والله هذه دياثة ولا اسم آخر لها- ومنافق ثانيا -لأنه ذو وجهين ومنطقين ويستحيل أن يقول هذا الشخص نفس الكلام الحقير لو كانت إيمان تهرب لحماس من أنفاق مصرية وقبض عليها الجيش المصري- ومعتوه ثالثا لأنه لا يتناطح أحد في كفر هذا الفعل كما لا يتناطح أحد في كفر قولة إردوغان قبلا **بأن الشواذ لابد أن يكون لهم حقوق**، في مرئي مسجل يتجاهله المنافقون الذين ظهرت دياثتهم بأقذر صورة بالأمس!

والله أمس كان يوما فاصلا في رؤيتي وعلاقتي بأناس كثر ظهر نفاقهم ودياثتهم علنا بعدما كانوا يصرخون متباكين على كل أخت وقعت في سجون السيسي ويقولون أن هذا دياثة من السيسي ومن والاه وأيده وحرب لله ورسوله.. لقد تباكوا حتى على أكفر المرتدين الشيوعيين والعلمانيين من سجينات النساء بل وحتى الرجال وقالوا بأنهم لا يرضون بهذا! أما إن كان الفاعل هو إردوغان والمفعول به من خصومهم الإسلاميين ولو كان امرأة: فلا بأس ببعض الدياثة! لا بأس بكثير منها!

حسبنا الله ونعم الوكيل.. ولا حول ولا قوة إلا بالله!

(أبريل 2016)

أثناء قراءتي لفقه السيرة (للشيخ الغزالي) جاء وقت عرضه لوثيقة المدينة المزعومة، كنت أنتظر هذه اللحظة تحديدا، وانتظرت منه كلاما عنها لا عرضها كاملة.. لماذا؟! لسبب آت حالا!

قام الشيخ طبعا بتقديمها بالديباجة التي صارت محفوظة الآن من كثرة التكرار: عن الوطن الواحد والأمة الواحدة والإنسانية التي جمعت الأديان بلا اضطهاد.. هذا بالمناسبة ستضربه وثيقة المدينة تلك نفسها! وهذه الملحوظة ذكرتها منذ كتابتي لوطن الراشدين /أن الوثيقة بتمامها تنقض هذا الكلام -وهذا كله إن صحت ولا صحة!
لكن الشيخ كان ذكيا! وبالرغم من أنه فاجأني بنقلها لا الحديث حولها /إلا أنه قد قام بعرض الوثيقة بطريقة توحي أن كلمة (أمة) التي ذكرها النبي في الوثيقة عن اجتماعهم مع اليهود هي نفس الكلمة الحالية كأنها تحمل نفس المفاهيم المعاصرة لكلمة أمة كأن النبي كان يعرف الفلسفة الألمانية والفرنسية حين قالها! ثم قام بحذف جزء من قلب الوثيقة وفيه تصريح بعدم مساواة المسلم بالكافر ولو في القتل!
هكذا قام الشيخ بحل المشكلة من جذورها! وصارت الوثيقة مناسبة لاستدلاله على سماحة الإسلام والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات بغض النظر عن الأديان واجتماع الكل في وطن واحد (أمة واحدة)!

(أغسطس 2016)

عندما أتوا بحيي بن أخطب اليهودي، عدو الإسلام الأكبر في وقته، إلى مكان إعدامه، ظهر ثابتا لا يطرف، ثم وقف قائلا قبل قطع رأسه بثوانٍ:
"كتاب وقدر، ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل"!
كان -الوغد- موضوعيا لأبعد الحدود!
هذا اللعين كان أكثر علما بدور الأمة المصطفاة من الله للقيام بالدعوة وحجم البلاء الذي ستلقاه ووجوب الصبر على رزايا هذا الدور الإنساني الجليل، أكثر من آلاف المشايخ زاعمي اتباع سنة النبي أبدا ولو في هيئة اللباس ثم حين تذكرهم بأنهم جند في ملحمة يهرولون وأذيالهم بين أرجلهم!
فقط كان -التعيس- مع الأمة الخطأ!

(أغسطس 2016)

أليس بعض يساريي الغرب ومفكريه أكثر اتساقا مع النفس من وائل غنيم -وأكثر علما وثقافة بما لا يقاس طبعا- عندما يتحدثون عن أزمة الديمقراطية (أمثال رانسيير وكتاباته) ومفهوم الدولة الديمقراطية ظاهرا الإمبراطوري التوسعي حقيقة (أمثال شومسكي وعديد كتبه) وغيرهم الكثير؟!
لقد تحدثوا هم أيضا عن حقيقة الديمقراطية وإشكالاتها النظرية والعملية.
مفكرة ديمقراطية -رومانسية ظريفة خرقاء قليلا- مثل (هنَّه آرينت) ألقت بمسؤولية صعود الأيدولوجيات الشمولية النازية والماركسية على الإجراءات الأمنية المتخاذلة للدول الديمقراطية (ذاك الثغر الديمقراطي الذي يكون سده فتحا لأزمة كيل بمكيالين ولا معيارية واضحة) فطالبت -القارورة الديمقراطية الرقيقة!- بالتعامل بقسوة بالغة مع مفهوم الأيدولوجيات الشمولية الذي وسعته حتى ليقع تحته كل أيدولوجيا أو رؤية دينية سياسية تقريبا!
هم أيضا في الغرب يعرفون إشكالاتها النظرية العميقة وتحدثوا ويتحدثون عنها، وعن كونها (تجربة سياسية) تاريخية قد لازمها النجاح عمليا مع الدول الغازية المستعمرة المدمرة وما إن تلازم الدول الضعيفة حتى تفرض عليها السير في فلك المنظومات العالمية القوية المهيمنة والخضوع لها، وأي (شذوذ) يتم وأده في مهده بأقذر وألعن الطرق!
الآن: لماذا لا يتكلم وائل غنيم عن حجم الإبادات الأنجلوساكسونية واللاتينية والفرانكفونية التي صبغت أفريقيا وآسيا والأمريكتين بالأحمر، والتي تمت بحجة نشر (مبادئ الحرية) التي من أهمها الديمقراطية؟
لماذا لا يلقي بالمسؤولية على هذا النظام ويطالب بتجاوز العالم التفكير فيه لأن آثاره أبادت عشرات الملايين من البشر كما صنع مع الخلافة الإسلامية حين طالب بتجاوز التفكير فيها لآثارها السيئة على البشرية؟!
هل يعلم السيد وائل أن منزله الأمريكي الظريف نشأ على عظام وأشلاء عشرات الملايين من الشيروكي والسيوكس وغيرهم من (ضحايا الغرب الديمقراطي المبهج)؟!
لماذا خلافة الإسلام فقط هي النموذج السياسي الإنساني الوحيد الذي يجب تجاوزه لتحمله مسؤولية سفك الدماء والصراعات بين البشر؟
لماذا لا نتجاوز ديمقراطيتك أيضا التي أبيد باسمها ملايين البشر في سعار عالمي لم يظهر على مسرح التاريخ إلا منذ علو الغرب الذي جعل المغول أطفالا مشاكسين؟!
لكن أين أنت والاتساق مع الذات؟
أين أنت وثقافة وسلامة منهج المفكرين المعارضين الحقيقيين في الغرب، أولئك الذين مدوا الخط على استقامته ولم يكيلوا بمكيالين فعاينوا شناعات (حريتهم وديمقراطيتهم ومبادئهم وتنويرهم) وقد فاقت في سفالتها وانحطاطها ودناءتها وقسوتها في قرون قليلة متأخرة كل ما جاء به البشر والشياطين منذ خلق آدم حتى القرن السادس عشر فتكلموا ونقدوا وصرخوا!
أيا مسلم المثاليات والطوباويات: الخلافة تسببت في دماء وصراعات وليست مثالية فلا تطالب بها لأنه لو لم تكن معيوبة ما صنعت ذلك!

جميل يا أستاذ وائل يا وغد، فبم تطالبنا؟
أطالبكم بالديمقراطية غير المسؤولة عن إبادة ملايين البشر وترسيخ مبدأ الصراع الإبادي على مستوى العالم وتكوين شمولية ساحقة لكل متمرد على مبادئها!
وائل غنيم يحدثنا بلسان هيجل ومونتسكيو عن الشرق، بتشويههم له وسطحيتهم الفارغة وأحكامهم التعميمية عنصرية الأصل على أنظمة الشرق السياسية، يحدثنا بذاك اللسان الذي صار يسخر من جمله بالمشرق وبحقيقة الوضع فيه وبتاريخه أساتذة الغرب المعاصرين أنفسهم! وإن كانوا قد سخروا من مونتسكيو قبلا، أبو القوانين الواضعية، في أحكامه عن الشرق، قائلين -أساتذة فرنسا والغرب أنفسهم- أن الرجل أحمق إذ يطلق كل تلك الأحكام عن الشرق وتاريخه ولم يجاوز إيطاليا في أسفاره؛ فإن المدهش والمؤسي أن يقول بمثل كلامه وأحكامه التعميمية الخرقاء السفيهة رجل نشأ في الشرق!

(أغسطس 2016)

منذ وقت فشل الانقلاب التركي وأنا مشغول بمشاهدة كل الفيديوهات المتاحة قدر الإمكان، وشاهدت الكثير.. وأصابني من الذهول والضيق الكثير!
هذا انقلاب كان من المستحيل فشله!
انقلاب مفاجئ صادم اشترك فيه الجيش التركي بقوة وأظهر الصرامة منذ البداية بإطلاق قذائف الدبابات (نعم رأيت دبابة تطلق قذيفة مباشرة في المتظاهرين ورأيت الكثير منها يطلق رشاشاته الثقيلة بلا رحمة) وإطلاق مدفعية الأباتشي المسعورة على المتظاهرين في الشوارع (عشرات الفيديوهات) وإطلاق النار بكثافة من الجنود على المدنيين ومحاولات مدنية للرد بأسلحة في بعض المناطق لكنها كانت عاجزة أمام القوة المسلحة التركية الغاشمة والإمداد الجوي الرهيب، دبابات تمر فوق مدنيين ومدنيون يحدثون الجنود في الدبابات بعجز ويبكون على أحبائهم المقتولين بجوارهم!
هذا انقلاب انكسر بفضل الله وحده..
لا حكمة إردوغان في لحظتها ولا شيء!
انقلاب غاشم رهيب مخطط جيدا (ساهم) في إفشاله العامل النفسي الذي صنعه إردوغان بمفاجأته المنقلبين بالظهور! أقول (ساهم) لا أكثر!
تصوير الأمر أن (الشعب التركي) أوقف الانقلاب أو أن طبيعته النفسية كانت عاملا أو أن الحكمة الهائلة لإردوغان كانت هي العامل الأكبر -خداع حقيقي! نفس خداع تزوير التاريخ العلني الذي مارسه ويمارسه من يصور مقاومة المصريين للانقلاب أنها كانت بيضاء تماما!
تركيا كان ينتظرها مصير أسود لا يقل عن مصر في شيء، بل في ظني أنه إما كان سيتخذ المسار الجزائري (مذابح عسكرية واسعة للشعب) أو المسار المصري (مذابح محدودة وشيطنة إعلامية واستكانة شعبية) لكن في كل الأحوال لم يكن الجيش سينقسم على نفسه بصورة كبيرة، ولم يكن أغلب الشعب سيصنع أكثر من تلقي الطلقات بصدور عارية مع مقاومة ضعيفة!
سأقول شيئا يخنقني، قد يبدو لا علاقة له بالأمر ظاهرا لكن علاقته وثيقة جدا:
الحقيقة أن تماثل الانقلابات الأمريكية ونجاح أغلبها بكفاءة مع لاتين أو أتراك أو عرب، يوضح بجلاء نتاج الفارق بين علم الاجتماع الغربي العملاق وبين علم الاجتماع العربي القديم العاجز الذي ما زالت آثاره متبدية في التفكير العربي، ذاك الذي كان مهتما جدا بأكل الترك للخيول ثم يستنبط خرافات فوق خرافات، والذي يظهر في تعميمات المؤرخين الخرقاء التي يتناقلها من لا يتدبرون عن المصريين أو الشاميين أو المغاربة أو العراقيين؛ بينما علم الاجتماع الغربي يتعامل مع (الإنسان) وكيفية التحكم فيه ودراسته وتفهم الظواهر التي تؤثر فيه وتسيطر عليه!
لم يتلجلج الجنرال المدبر في السي أي إي قائلا: كيف سينجح الانقلاب اللاتيني مع الشعب المصري العظيم ذي حضارة السبع آلاف سنة؟! كيف سينجح مع الترك المرعبين آكلي الخيول!
هذا سيناريو اجتماعي سياسي عسكري إعلامي مدروس بدقة إنسانيا ويمكن تعميمه مع تعديلات طفيفة متعلقة بعادات وتقاليد كل شعب لا أكثر -حتى عندما فشل كان بضربة قدر لا لخرافات عن خصائص شعب معين!
مرة أخيرة: هذا الانقلاب المخيف سقط برحمة رب العالمين فقط! وهذه رسالة للجميع، رسالة أن (نفس الفعل) قد يقوده رب البرية للفلاح.. وقد يقوده للفشل! كن عبقريا منظما كما تشاء، فإن لم توافق المكتوب فشلت لا محالة! وكن غبيا كيفما تريد فإن وافقت المكتوب سقطت في يدك ثمار لا تستحقها! ولا يعني هذا -ولو للحظة- أن لا تسلك طريق العبقرية بكل السبل وأن تتواكل أو ترجئ!

(سبتمبر 2016)

الغالبية الساحقة من علمانيي العرب وملاحدته كلامهم عن الإسلام وتاريخه وشرائعه أقرب لمفكري أوروبا وقساوسته قبل القرن التاسع عشر بل ربما حتى قبل ذلك!

أي قبل أن تبدأ حركة استشراقية قوية (تتعلم) التاريخ الحقيقي وتنظر لشرائعه وأنظمته برؤية فيها علم ازداد كثيرا في القرن الماضي.. لذا كانت حجج أعداء الإسلام من هؤلاء المستشرقين في ذاك القرن المذكور (التاسع عشر) قوية لأنها قامت عن علم هذه المرة لا عن جهل وأحكام سطحية وتعميمات ملفقة خرقاء، ومعركة الشعر الجاهلي مثال على ذلك الولوج التفكيكي العلمي، وهو ما حفز -بقانون التدافع- المسلمين لإنتاج أفضل الردود ودعم الإسلام وتعزيزه -وهذا عمل لا يفهمه كثير من الحمقى الجاهلين أو المنتفخين الذين يسخرون من فكر مكافحة الشبهات ومن عمل الإسلاميين في هذا المجال باعتباره فرعا معرفيا رئيسيا في مجهوداتهم بينما مجده الشيخ فريد الأنصاري وطالب بالمزيد منه باعتباره وريث علم الكلام!

لذا تجد هؤلاء كلامهم يرتكز على رؤية عامة للتاريخ الإسلامي أنه همجية واقتتال وفشل ذريع، وأحكامهم تعميمة لا تفرق بين أندلس وخراسان ولا بين مغول هند ومغول قرم ولا بين سلاجقة روم وعثمانيين ومماليك ولا بين نظرية سياسية للخوارج ونظرية سياسية شيعية ونظرية سياسية سنية: كل هذا يتم دكه ليصبح سطحا ترابيا منتن الرائحة اسمه (تاريخ الإسلام) الذي يستحق حينها التأفف والقرف!

وعالم هؤلاء، التنين المجنح، الأمير العظيم، الأغا المعظَّم، هو من يسير على خطى طه حسين حين أراد الطعن في الإسلام: يكون كتابه المقدس هو الأغاني ثم أشنع ما في الطبري! هذا هو غالب المتعمِّق في هؤلاء!

خلاصة الكلام: هؤلاء القوم متوقفون عند منتصف القرن الثامن عشر أوروبيا، حين كانت الأفكار القومية على أشدها وحين كانت فكرة التفوق الغربي (الطبيعي) ووجوب تقليد العالم للسيد الأبيض على أشدها وحين كانت الرؤية للمشرق مستحقرة تعميمة سطحية جدا أغلبها يعتمد على معرفة قليلة من مصادر غير محايدة كُتبت للطعن في الإسلام بالطعن في تاريخ المسلمين وحين كانت فكرة الإيمان المطلق بالعلم بديلا عن الإله والدين تنمو وتترعرع.

لذا فمن الطبيعي جدا أن تجد إنصافا عند كثير من باحثي الغرب ومفكريه المعاصرين أبناء القرن الواحد والعشرين بينما من شبه المستحيل أن تجده عند علمانيي العرب وملاحدته.. هناك فرق مئتي عام تقريبا من الفكر والعلم!

(سبتمبر 2016)

ليس فتح الله كولن ملاكا، الرجل ضال مضل مجرم يستحل الإفتاء بالمحرمات منذ زمن وتحركاته على الأرض ألعن من كلامه بكثير.

لكن من المدهش أن ينساق البعض لحملة الدعاية المضادة التي تنطوي على مغالطات وأكاذيب عجيبة في إطار حملة التشويه التي يقودها المُظفَّر إردوغان وإعلامه!

ينشرون تسجيلا قديما للرجل بزعم أنه متآمر ضد الدولة من قديم، والتسجيل له بالفعل ويتحدث فيه عن وجوب الانصياع للدولة في الظاهر وانتظار الوقت المناسب للانقلاب عليها.. لكن متى كانت هذه التسجيلات؟ كانت في نفس عصر سيادة الملاحدة العلمانيين في تركيا.. أي أنه يقول هذا متزامنا مع نفس الفترة التي يجابهنا محبو إردوغان أن زعيمهم كان (يدبر فيها سرا غير مستعلن) للوصول إلى السلطة و(أسلمة) تركيا !

لقد وصل التماهي مع الدولة والنظام أن صار هؤلاء يؤججون مشاعر الناس ضد رجل (يخطط منذ زمن بعيد سرا مريدا التمكين للإسلام)!

تدبر معي تلك المهزلة رجاء: هذا الإسلامي الإخواني ينشر ما يعتبره دليل إدانة دامغ لكولن باعتباره يعمل من قديم (ضد الدولة العلمانية) لتمكين مشروع يعتبره كولن إسلاميا! يا للمهزلة! يا رجل إذا كنت كلما حادثتك عن إردوغان قلت أنه كان -وما زال، إي والله ما زال!- يعمل في إطار خطة (سرية) لتمكين الإسلام في دولة تركيا العلمانية!

هذه الحملة تلقي المزيد من الأكاذيب والمغالطات كل يوم؛ وهذا عادي جدا وليس بالغريب على الحملات الدعائية المضادة بشكل عام طوال التاريخ وفي كل زمان ومكان.. هذه لعبة قاسية جدا منذ الأزل وليس فيها رحمة ولا التزام فيها بأخلاقيات، ولو كان كولن قد نجح -إن كان هو المدبر أصلا!- لكان قد جعل إردوغان أعدى أعداء الإسلام في التاريخ -عبر الإعلام والحملات الدعائية! لكن هذه الحملة كشفت كذلك عمق البئر العميق الذي سقط فيه المهللون (لدولة تركيا الإردوغانية) والذي لا أحسبهم سيخرجون منه!

(ديسمبر 2016)

مزيج من الاشمئزاز أشعر به عندما أقرأ لملاحدة العرب انتسابهم للفلاسفة الغربيين باعتبارهم -أي ملاحدة العرب- أبناء هذه الفلسفات، ومنها فلسفات دينية - وياللعجب!- لكنها دينية صليبية!

ومن الشماتة فيهم أنهم -كذلك- أبناء أكبر تراث فلسفي عقلن المتناقضات الفكرية والثقافية والدينية ووقع في قرن كامل من سيادة النسبية والحيرة بسبب قوة الحجج المقدمة من الجميع!

إنهم ينتسبون له ولا فخر بهذا الانتساب في تراث هو نفسه وصل إلى حيرة وسخرية من المركزية الأوروبية في التصحيح والتخطئة، ومع ذلك هم -ملاحدة العرب- أكثر تمسكا بهذه المركزية الغربية وأقل إدراكا لحجم الحجج المقدمة من كافة الرؤى ومتانتها التي جعلت الأمر يصل للنسبية والحيرة.. إنهم أكثر صلابة من الذين ينتسبون إليهم وأقل احتراما للمخالفة وأحقر فهما من إدراك آليات الوصول للآراء التي استخدمتها هذه الثقافة والحضارة التي ينتسبون إليها!

قلت قبلا ما يترسخ إيمانا لدي يوما وراء الآخر: هؤلاء أبناء عصر الاستشراق الاستعماري.. لم يتعدوا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نفسيا وفكريا.. هم أبناء المستعمرات وأبناء المركزية الغربية البيضاء ولم يصلوا بعد -إلا بالقراءة والاطلاع لا الفكر والنفسية- إلى القرن العشرين فضلا عن القرن الواحد والعشرين!

الفصل الرابع: **إسلاموطوبيا النسونة**

هذا أثر ليس من السهل تجاهله بعد تمدده وانتشاره بصورة واضحة، وهو -بشكل ما- تابع للنموذج السابق (المتلبرل) الغربي، ويخالفه في أولوية التركيز على التوجه الاجتماعي بدلا من السياسي. لهذا أضفته ها هنا لدراسة الإسلاموطوبيا الاجتماعية الغربية التي يقدمها، والتي لعبت دورا رئيسيا في تفكيك ما كان التيار الإسلامي يظنه حصنا لا يمس: الأسرة الإسلامية الحركية.

للنسونة نموذجان واضحان في التيار الإسلامي الحالي: النموذج الراديكالي والنموذج الليبرالي.

الراديكالي أطروحته تتمركز حول (هدم) أسس المجتمع الذكوري/الأبوي والثورة عليه، والليبرالي أطروحته تتمركز حول (إصلاح) معايب التحيز الجنسي الذكوري في المجتمع الإسلامي![1]

هناك نموذج ثالث للنسونة[2] الإسلامية مقابل للنسونة السوداء الغربية: وهو النموذج الذي يشكو من التحيز الفقهي الإسلامي - السياسي فقط. إنه هنا لا يتحدث عن أزمة نسونة عالمية أو محلية ولا يمتد نقاشه كثيرا إلى البنية المنتشرة مجتمعيا، بل تركيزه منصب على اتهام (الفقه الإسلامي) بأنه متحيز ضد المرأة المسلمة سياسيا وغير صالح للعصر، وهذا الأخير برغم أنه يظهر أكثر المتنسونات ابتعادا عن العالمية؛ إلا أنه في الحقيقة الأكثر انشغالا بالقضايا النسونة المشهورة عالميا، أي المسائل السياسية.

أما **النسونة الليبرالية**: فهي النمط الأكثر قبولا لدى التيار الإسلامي من ذكور ومخالفي النسونة من الإناث، وتجد كثيرا من السلفيات يقمن بتبنيه دون إشكال. وهو يدعو إلى إقامة علاقة (شراكة) زوجية ليس فيها تحيز ذكوري، وقائمة على (التفاوض) بين الطرفين للوصول إلى حياة زوجية مستقرة لا يتوجب فيها على المرأة تحمل العبء الثلاثي–بتعبير جيدنز-: العمل بالأجر + تحمل مسؤوليات المنزل + ممارسة عمل عاطفي تربوي للأولاد وعاطفي جنسي للرجل. إن هذه الواجبات، حتى إذا نزعت منها العمل خارج المنزل، تظل ثقيلة وعلى الرجل أن يقوم بإلغاء الأعراف التي تحيزت له برفع هذه الأعباء عنه ونقلها من خانة (الفضائل) إلى خانة (الواجبات) على المرأة المتزوجة. هذه كلها –كما ترى- أمور مقبولة ظاهرا، خاصة مع النمط الهادئ البراجماتي في الطرح.

واتهام (الإعلام) بصناعة هذا التحيز الذكوري عند النسونة الليبرالية العالمية يقابله عند الإسلاميات اتهام الخطاب الإسلامي الوعظي والتراثي بأنه هو السبب في تكريس هذه (الأعراف) ونقلها إلى خانة الواجبات الإسلامية؛ لذا يغلب عليهن اللجوء لثلاثة أساليب: التأويل – التعطيل – الانتقاء التراثي.

هذه الأساليب هي سبيلهن لبناء الإسلاموطوبيا التي يأملنها حيث يتنعمن بمجتمع مساواتي لا تحيز فيه من أي نوع. وتوفر هذه الأساليب أدلجتهن الجزئية بعدم انقطاعهن عن المركز المعرفي الإسلامي: فالمتنسونات والمتنسونون من النوع الإسلاموليبرالي لا يقومون بطعن الأحاديث وردها؛ فهذا الأمر محظور اللجوء إليه لأن فيه مصادمة واضحة مع المركز الأصولي الذي ينتمي إليه أهل

---

1) للمزيد راجع علم الاجتماع النظرية والمنهج، ميل تشيرتون وآن براون: 83.

2) لم أرتح أبدا لتعريب مصطلح Feminism بالنسوية؛ لهذا استخدمت لفظ النسونة بديلا بالرغم مما يحمله من دلالات شعبية سيئة، ربما تكون هي السبب في انتقائي له!

السنة؛ بل أسلوبهن الشائع يستهدف تأويل (أحاديث القوامة وشيوع نقص العقل في النساء) مع تعطيل كل تفسير تراثي فيه تأكيد لظاهر الحديث؛ هنا الأحاديث الواردة يتم التسليم بصحتها لكن مع تقديم تفسير جديد منزوع التحيز باعتبار أنه يستحيل أن يقصد الله ونبيه ترسيخ مفاهيم التحيز بجعل أي أفضلية من أي نوع للذكور على النساء.

وقد لجأت النسونة الليبرالية العالمية للهجوم على المفاهيم الخاطئة والتأويل السيء للمستخلصات العلمية البيولوجية عن الفوارق؛ باعتبار هذه المفاهيم أحد أكبر أسباب معاناتهن لأنها تعاملت مع أعراف متحيزة ذكوريا على أنها ثوابت حقيقية مطلقة. والمتنسونات الإسلامو ليبراليات يستبدلن بالهجوم على (النص) البيولوجي المؤول خطأ من الناحية الاجتماعية، تحت ضغط التحيز ومحاولة إصلاح وتعديل فهمه دون إنكار الفوارق البيولوجية -الهجوم على (النص) التراثي المتحيز ومحاولة إصلاح فهم (النص المقدس) عن طريق تعديله بالتأويل أو برده إلى ظروف تاريخية مصاحبة له (أرخنة النص) وهو أسلوب مستخدم بكثرة مع الحديث النبوي وغير مستخدم -بطبيعة الحال- مع النص القرآني الذي لا مزاح فيه.

وأخيرا: عن طريق انتقاء نصوص تراثية مناسب إظهارها والاستدلال بها على كون الفقهاء القدامي مختلفون وقد كان فيهم (متنورون) يدعمون أطروحة النسونة الليبرالية الحديثة!

لذلك يشيع بين المتنسونات والمتنسونين إظهار نصوص -يتم التعامل معها بصورة قطعية- عن حقوق المرأة المطلوب من الرجل تنفيذها –وجوبا- وأنها لا يتوجب عليها خدمته ولا خدمة أولاده، متخلين عن (أرخنة) هذه النصوص التراثية ومناقشتها في سياقها المجتمعي القديم!

هذه النصوص الداعمة لموقف (إزالة التحيز) و(المساواة) و(رفع الأعباء الثلاثة) تكون قطعية الثبوت والدلالة تاريخيا وأكثر قداسة من أن يتجرأ أحد (جهال العصر المتعصبين) على مناقشاتها، أما النصوص الأخرى التي لا تكون في مصلحة النساء فمصيرها إما الإخفاء وإما إنكار الدلالة المتبادرة إلى الذهن.

بذا تكون النسونة الإسلامو ليبرالية قد جمعت بين الإيمان والتسليم بأصول أهل السنة في الاستدلال والقبول -ولا يضر حينئذ بعض تأويل واختلاف في التفسير- وبين احترام (التراث) عن طريق صناعة جذور سلفية بالأقوال المنتقاة!

إن نسونة التيار الإسلامي بهذه الأيدولوجيا النسونة الليبرالية الناعمة التي تسلم ظاهرا بصحة الأحاديث وتتعامل ببراجماتية تفاوضية إصلاحية، أقدر تغلغلا من الراديكالية الثورية العنيفة التي يندر أن يوافقها الذكور.

بل إن الرجال كثيرا ما يجدون التنسون بهذه الأيدولوجيا سلاحا لمكافحة التطرف النسوي الراديكالي: فتجد المقالات الرجالية المتنسونة دعما للنساء ضد هذه التفسيرات الخاطئة التي يقوم بها (الجهلة من الإسلاميين) اعتمادا على نصوص تراثية فيها سوء اجتهاد أو مرتبطة بزمانها. وعليه يبادر الأشياخ وطلبة العلم المتأدلجون بهذه النسونة إلى تقديم المحتوى الفقهي الذي يخدم هذا التوجه.

- أما **النسونة الراديكالية**، فبالرغم أنها ليست الأكثر انتشارا، لكنها الأشد تنكيلا في الجميع! إنها صرخات أنثوية غاضبة ضد الرجال ولا كابح لها! نسونة تخوض معارك الستينيات والسبعينيات التي خاضتها النسونة العالمية في القرن الماضي؛ لكن داخل التيار الإسلامي هذه المرة!

ذكرنا قبلا أن مركز القضية النسونة الراديكالية هو (السلطة الأبوية/الذكورية)، وفي المتنسونات الإسلاميات الراديكاليات تجد الملامح الشهيرة لطرحهن شبه متماثلة:

أولا: واحدية النساء وأخوية الكيان النسوي (كلنا -النساء- طبقة واحدة ضد الهيمنة المجتمعية الذكورية فلابد من كيان أخوي يجمعنا).

ثانيا: شراسة الطرح وثوريته (مقولات جريئة واعتداءات لفظية على الذكور والأزواج استهزاء وتحقيرا).

ثالثا: الهجوم على منبع هيمنة الرجال (رفض النص النبوي المهين للنساء -بنظرهن- استغلالا لإمكانات علم الحديث في رد المتن – برغم قصر علمائه ذلك على كبار المجتهدين وصعوبة تنفيذه عمليا إلا أنهن يتعاملن بتساهل واضح في الحكم بالنكارة الحديثية-، وكذلك رفض أي تفسير لا يعطل آيات القوامة الذكورية، ورفض التراث الفقهي السني الذي تشيع فيه الروح السلطوية الذكورية).

رابعا: محورية مفهوم العنف الذكوري ضد النساء (الرجال يضربوننا – الرجال يهينوننا) مع تعميم واضح وتوسيع مفهوم العنف إلى الصريح (ضرب وسب) والمستتر (أقوال وأفعال تسبب ألما نفسيا للنساء بينما الرجال لا يشعرون بمعاناتهن) حتى لا يكاد يخلو تصرف غير مادح ممجد للنساء من توصيف العنف!

وأخيرا: اتهام الرجال بأنهم مؤدلجون ضد النساء وأنهم ينظرون للنساء كطبقة إنسانية دنيا!

إن هذه الملامح الشهيرة تجدها بحذافيرها مشتركة بين الراديكاليات العالميات والراديكاليات الإسلاميات، والفارق لا يكاد يكون إلا في النص المقدس موضع التعطيل أو الهجوم: فالمتنسونات الراديكاليات عالميا يهاجمن علم الاجتماع بشراسة على أساس أنه أحد أكبر أسباب شيوع النظرية المجتمعية المضطهدة للمرأة، والمتنسونات الراديكاليات الإسلاميات في المقابل يهاجمن (التفسير) و(الحديث) و(الفقه) في شخوص الأئمة السلف والخلف وأفهامهم باعتبارهم السبب في هذا إشاعة هذا الجو الاضطهادي الذكوري. فليس من المستغرب أن تجد عندهن استهزاء بتفسيرات آية القوامة المعمول بها واعتداء على الأئمة الفقهاء السلف وردا مستهترا للأحاديث النبوية!

كما يشيع بينهن أدبيات (الثورة الجنسية) لكن بالتعديل الإسلامي الضروري: فأدبيات الراديكاليات المتنسونات العالمية ازدحمت بموضوع الثورة الجنسية بمعنى الحرية في الفعل الإيجابي، بداية من التهارج مع من تشاء من الرجال حتى الوصول لصناعة مجتمع نسوي لوطي/ شاذ جنسيا. ولما كان من المستحيل نقل هذه الأفكار المنحطة كما هي، وكذلك من المستحيل اكتمال البناء النسوي الراديكالي دون التنكيل النسوي المضاد في أكثر مواطن الذكور اشتعالا؛ فقد تم إجراء التعديلات المناسبة لتصبح الثورة الجنسية في إطار الزواج على هيئتين:

الهيئة السلبية، وتتمثل في (العصيان والتمرد على أي خطاب سلطوي ذكوري – إتاحة الامتناع عن الجماع عقابا أنثويا ورد الأحاديث النبوية التحذيرية - تعمد رفض التفاهمات العرفية والمجتمعية بأعمال المرأة أو حقوق الزوج الدينية باعتبارها امتدادا تراثيا فاسدا للبنية الفقهية والحديثية المتخلفة).

أو **الهيئة الإيجابية (إملاءات المنتصر)**: بقلب مفاهيم القوامة عمليا! فكأن المرأة تصبح صاحبة القوامة على الرجل لا العكس! ويبدأ التركيز على اختبار الرجال في مسألة التعدد حتى من قبل الزواج (هل تريد التعدد؟ هل ستفكر في التعدد؟) ويا للكارثة إن بادر الرجل بنفسه أن قال بمجرد تسامحه مع تلك الفكرة! طبعا مع صناعة صورة طوبوية عن الصحابة والنبي المحب لزوجاته والتركيز على

مرحلة زواجه من خديجة رضي الله عنها باعتبارها المثال الوحيد المتاح للرجل المسلم كي يقتدي فيه بنبيه، مع تقديم تفسير كاثوليكي رومانسي جديد لعدم زواج النبي بغير خديجة أثناء حياتها: وهو أنه كان يحبها حقا ولم يكن يرضى بغيرها في حياته! لن تكون أمنا عائشة رضي الله عنها ذات مكانة كبيرة عند هذا الطراز من المتنسونات –لأنها (فشلت) في أخذ موقف من زوجها الذي يعدد عليها رغم حبه لها، ونادرا ما تجد مناقشة منهن لهذا اللازم الذي يؤدي إليه تفسيرهم عدم التعدد مع خديجة بالتفسير الكثلكي-الرومانسي!

فقط تصبح عائشة رضي الله عنها ذات أهمية طارئة في هذا الخطاب حين يجيء الحديث عن أخذ نصف الدين منها وبالتالي أن النساء لهن الحق في الفقه والاجتهاد وأن المؤامرة الذكورية السلفية الممتدة منذ عهد التابعين قضت بأن يرجعن إلى بيوت الإماء! كما يتم ذكر علي بن أبي طالب باعتباره النموذج الأمثل للوفاء والتوحيد الكثلكي! ليتك مثل علي وفاطمة: ليتك مثل محمد وخديجة!

إن بؤس هذا الخطاب الإسلاموطوبوي الأيدولوجي بين الإسلاميين يتبدى في عجزه عن التمدد حرا في لوازم أقواله: فبينما ذهبت المتنسونات الراديكاليات عالميا للعن المؤامرة الذكورية التاريخية انطلاقا من عدم وجود إله وأن الحياة الطبيعية تسببت في هذا التقسيم البنيوي الجائر، نجد أن الخطاب الإسلامي لا يجرؤ على الذهاب إلى هذه الشطآن البعيدة! والحقيقة أن هذا الطرح بأكمله لا يستقيم أبدا دون ما ذهب إليه المتنسونات العالميات وإلا اتهمت الإله بصناعة ظلم دائم ممتد تاريخيا!

كما أنه يتضارب مع بعضه البعض أكثر من النسونة الإسلامويبرالية: فالنبي قدوة إذ يجب أن تكون مثله ولا تتزوج غير واحدة كخديجة! لكنه ليس قدوتك حين يحب عائشة ويتزوج عليها صفية وجويرية وزينب! هذا أمر غير مسموح به لك!

ويبلغ بهن الهوس أن يسعدن بأي تفسيرات سطحية من طراز (أن النبي لم يتزوج إلا من أجل مصلحة أمته فقط لا من أجل أسباب ذاتية مثل أنه أعجب بامرأة!) إن هذه التفسيرات الخرقاء لا توضح لماذا علمت عائشة أن النبي سيتزوج جويرية بنت الحارث بمجرد أن رأت وجهها، وقبل أن تقابل النبي! إن عائشة (الأنثى) قد علمت أن هذا الجمال سيعجب زوجها، وعلمت أن النبي ليس كاثوليكيا يحرم ما أحل الله، وأنه هو القائل بأنه حبب إليه من الدنيا (النساء)!

هذا العجز والتفسيرات السطحية يضيع كشفه وفضحه وسط الصرخات الخطابية العصبية وغير العقلانية لرائدات هذا الاتجاه، وقد وصلت السخافة أن قالت إحداهن يوما أنه لو كان التعدد هو الأصل في الطبيعة الذكورية ما كان الله قد ترك لآدم حواء فقط بل كان سيخلق له غيرها! طبعا هذا القياس بامتداده يعني أن زواج الأخ بالأخت هو الأصل لأن لو كان عدم زواج الأخ بالأخت مباحا لكان الله قد خلق للذكور إناثا من غير صلب آدم! وقد يقاس على هذا أن شرعة آدم هي شرعتنا! وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو وسلفه من الأنبياء وخلفه من الصحابة نقضوا جميعا شرعة الكون وطبيعته الواحدية الزوجية الكثلكية من أجل الشهوات! لكن كما قلت فإن عدم لزوم أبسط اللوازم لا يلتزم هذا الطراز من المتنسونات والمتنسونين به!

كما يجب ملاحظة الفكرة الليبرالية الداخلية المسلَّمة عند المتنسونات كافة لكن الراديكاليات أكثرهن: وهي فكرة (حتمية) التقدم الإنساني وقياسه بتطور وضع المرأة مجتمعيا؛ فكلما اقتربت لأوروبا وأمريكا كلما صارت أفضل. وهن مهووسات بنجاحات النساء في الغرب وتقديم صورة ملائكية عن المرأة الغربية وسلطتها وحريتها في أن ترفض أعمال المنزل وأن تعمل خارجه وتنجح بلا أي اشتراطات زوجية ولا التزامات كبيرة نحو أسرة زوجها. وبالرغم من أن علم الأنثروبولوجيا نفسه –العلم المبني كله على فكرة نظرية التطور الدارويني- قد دحض من قديم فكرة الربط بين مكانة المرأة في المجتمع والتطور الإنساني التقدمي، إلا أنهن يتجاهلن –أو

يجهلن- هذا الانفكاك ولا يناقشنه. إن انتشار النمط الأمومي في الانتساب أو في حجم الحقوق في قبائل بدائية مثل السنيكا Seneca التي عاشت في أمريكا قديما، أو في نساء الطوارق[1]، فضلا عن الإباحية والسفور المجتمعي اللواتي تمتعن بهما وأثارا هلع ابن بطوطة قديما فجعلته يتهم رجالهم بانعدام الغيرة ويحكم بأن نساءهم أعظم شأنا من الرجال –تخلخل بشدة فكرة ربط التطور الاجتماعي والإنساني بحجم مكانة المرأة أو سفورها المجتمعي. إلا لو اعتبرنا أن مجتمعات السنيكا والطوارق البدائيين أكثر تطورا من الإنسانية المعاصرة! وهنا أتحدث بمنطق المتنسونات التابع للنظرة الغربية العامة عن التقدم البشري وحتميته لا بمنطق الأنثروبولوجيا البنيوية الأقل تصلبا في الأحكام بالسكون والتطور والمعادية لفكرة الخط التقدمي الغربي والأوحد!

بالطبع من الواضح أن النسونة الإسلامية الراديكالية مؤدلجة كليا، برغم أنها تائهة عن اليوتوبيا الإسلامية المطلوبة! هل الطوبيا المطلوبة هي (النموذج الغربي الحقوقي) فيما يتعلق بالنساء؟ لا تبادر بالإيجاب لأن في كلام بعض رموزهن ثورة حارة وغضبا كبيرا من وضع المرأة الإباحي في الغرب كذلك!

وظني أن بعضهن يعتقدن أن الإسلام عنده القدرة على تعديل هذه المعايب الإباحية الغربية أو حذفها وبالتالي يحصلن حينئذ على النموذج الطوبوي الإسلامي: حقوق المرأة الغربية دون مخازيها. لكن أي إسلام هذا القادر على حذف هذه المعايب؟

إنه إسلام معدل/محرف كليا حيث يتم التنكر للفقه النسائي التراثي باعتباره نتاج عصور قهر ذكوري وتخلف وانحطاط وكذا التفسير وغيره[2]. إن المركز المعرفي ها هنا قد انتقل لمركز نسوي تماما حيث يتم توليد صورة طوبوية متنسونة عن النبي والصحابة وحياتهم العاطفية النموذجية. وكما ذكرت قبلا فإن عدائية هذا التوجه وثورته الدائمة وأفكاره السطحية التعميمية والتي لا تصمد كثيرا للتفكيك منطقي، هو موضع عداء وانتقاد عالمي بصورة دائمة؛ فما بالك بالوسط الإسلامي!

لكن تقييم النجاح والفشل عند النسوة الراديكاليات عالميا لم يكن يتم تحديده بنجاحهن في الوصول فعليا للنموذج الطوبوي، بل بنجاحهن في (إشاعة) أجواء من الوعي النسائي بحقوقهن الطبيعية، هذا هو المكسب الأكبر عند أغلبهن. قد تنظر للاستفزازات المنشورة دائما أنها حماقة وأنهن لن يصلن للإسلاموطوبيا التي يقدمنها، لكن يجب أن تعترف أنهن يصنعن ضغطا هائلا بتثوير النساء الإسلاميات لأنهن يمسسن بكلامهن العاطفي الحار أعرافا بعضها فيه جور فعلا ، لكنهن لا يقدمن الصورة العرفية كاملة والتي فيها جور كذلك على الرجال وحتى الأطفال! هن (وهم!) فقط يقدمن الجزء الأنثوي كي يخدمهن في إشاعة جو البارانويا التآمري الذكوري المجتمعي الذي يستهدف قمع النساء والذي عليهن قهره.

هذه النجاحات المتنسونة على مستوى (تغيير) الوعي العام وسط التيار والذي –على أقل الفروض- يضطر لتشجيع نسونة التيار بالتوجه الليبرالي المذكور آنفا كحل وسط. بالإضافة إلى إشاعة ما يسمى في علم الاجتماع بنموذج (الرجل الجديد) من بين الرجال المتنسونين أنفسهم: وهو نموذج الرجل العاطفي المحب الذي يهرول في قضاء حاجات زوجته ولا يغضبها ولا يحزنها والذي يحبها حب (محمد لخديجة) –لخديجة لا لعائشة فانتبه كيلا تقع في المحظور!- والذي يغرد لها دائما ويسهر على راحتها ويخاف عليها إلخ إلخ! هذا

---

1) انظر النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب لإبراهيم الحيدري: الفصل الثاني.

2) للشيخ محمد الغزالي عدة مقالات في دعم هذه الاتجاه والسخرية والاستهزاء ممن يقولون بعدم فلاح المرأة الحاكمة تبعا للحديث النبوي مستدلا بنجاح مارجريت تاتشر –في زمنه- /وأحسبه من أوائل الذين استخدموا أكثر حجج المتنسونين والمتنسونات في التيار الإسلامي مثل اتهام الأئمة الفقهاء الكبار المتقدمين بالتحيز ضد الأنثى لظروف عصرهم الذكوري وما إلى ذلك من حجج سخيفة.

النموذج المثالي الذي يبدأ الذكور المتنسونون في طرحه استكمالا لأطروحة النسونة الإسلامولیبرالية وردا على النسونة الراديكالية هو في النهاية مكسب بلا شك.

يجب هنا حساب النجاحات بقدر المكاسب التي تحققها الراديكاليات بضغطهن المستمر، في جهة الوعي واللا وعي بداخل الوسط الإسلامي. قد لا يصلن هن للنموذج الذي يطلبنه لكنهن على أي حال يحصلن على مبادرات وتنازلات لا بأس بها من الطرف المذكر لصالح نسونة أخرى زميلة: الليبرالية.

- النسونة الثالثة هي السياسية، وإني أحمد الله أنه حتى الآن لم ينتشر في الوسط الإسلامي النسونة التحليلية للعلاقات السياسية والدولية: فسيكون ضغطا لا يحتمل على أعصاب المرء أن يقرأ تحليلات للصراعات الدولية من منطق تنافس الذكور والعنصر الأنثوي في الصراع واليوتوبيا المنتظرة إن وصلت النساء للحكم دوليا إلى آخر هذا الهراء الذي تقدمه بعض أنواع النظرية المتنسونة السياسية الدولية، وربما تخفف أمثال تريزا ماي من شهوة المفكر الغربي الذي آمن أن وصول النساء للحكم سيقوم ببناء علاقات دولية أكثر ودية وأقل تنافسا! إن هذا الأحمق من أبعد الناس عن فهم طبيعة النساء البينية، وأنهن يفقن الرجال عدوانية بين بعضهن البعض لأسباب يصعب استخلاصها وفهمها! إن اليوم الذي سيصبح فيه العالم محكوما بسلسلة من النساء هو اليوم الذي ستنشب فيه حرب عالمية كبرى تبدأ وتنتهي دون فهم أي أسباب واضحة لها!

تركز النسونة السياسية الإسلامية على العمل السياسي وتطالب بأدوار أكبر للمرأة، قد تكون راديكالية أو ليبرالية من الناحية الاجتماعية، وقد لا تنظر إلى الجزء الاجتماعي من الأساس: لكنها بكل تأكيد تتطلع لأدوار سياسية أكبر في الأحزاب الإسلامية وحتى في الحركات الجهادية. ويشيع بينهن النموذج النسوي السياسي التركي المعاصر (الإردوغاني) تحديدا. ومناقشة انحرافهن الأيدولوجي حاشية على النسويتين السابقتين فليس هناك داعٍ للتكرار.

إن نسونة التيار الإسلامي (بمعنى شيوع الأفكار المتنسونة فيه) توجه لم يعد منكورا، شارك فيه آلاف من شباب الأدباء والمفكرين والمثقفين وطلبة العلوم الشرعية. والارتباك أمام الراديكاليات والخضوع لليبراليات أبرز ملامح شيوع هذا التوجه.

وقد رأينا النسونة تطال حتى بعض الأوساط الجهادية لكن بصورة محدودة، وفيها يتم تقديم صورة المجاهد على أنه رجل خارق مفتول العضلات يصل الليل بالنهار قتالا ودعاء وتهليلا وصلاة؛ لكن ربما تكون الحالة السورية قد كسرت هذا التوجه كثيرا، بعدما رأى الجميع المجاهدين بشرا يتقاتلون فيما بينهم وليسوا ملائكة منزهة مطهرة!

وهي وإن كانت أسهل انتشارا في الإخوان ومدارسهم الفكرية المتعددة، خاصة اللبرلة الغنوشية والإردوغانية؛ لكنها مؤخرا بدأت تنتشر في المدرسة المصرية المحافظة، خاصة بعد تفكك التنظيم وسيولته وانتشار حالة التشتت المجتمعي وبدء جيل نسائي إخواني جديد مرتبط بشبكات التواصل وأكثر تفلتا من الأعراف والتقاليد التنظيمية المحافظة القديمة. يمكنني أن أقول بأن السنوات القادمة قد تشهد مزيدا من الانتشار المتنسون في المدرسة الإخوانية المصرية بسبب غياب العنصر الذكوري في المعتقلات وتحمل العنصر النسائي العبء الأكبر في المنزل والمجتمع ولملمة شتات بقايا التنظيم.

إن مواجهة نسونة التيار أمر لا غنى عنه لتنقيته من تلك الإسلاموطوبيا المدمرة، فأثرها كبير على الحياة الاجتماعية الداخلية لتيار يواجه التفكيك بصورة مستمرة. وقد كان أحد أكبر العوامل التي توفر له الاستمرارية هو تماسك الرجال والنساء فيه وعدم شيوع

العلاقات التنافسية. النسونة تقر مبدأيا بهذا التنافس وتشجع عليه وتبدأ في العمل للحصول على أكبر مكاسب في تلك (المعركة)، وتوجيه وإعطاء النساء صلاحيات أكبر فيما تظن المتنسونات والمتنسونون أنه قهر مجتمعي حقيقي.

إن العلاقات بين الرجال والنساء ليست قائمة على الصراع[1] إنما قائمة على التكامل (السكن – اللباس) وأي نقاش ينطلق على أساس التنافس لابد أن يصل لنتيجة مؤدلجة منحرفة عن النموذج المعرفي الإسلامي. وشيوع تلك النسونة سيزيد من المعاناة الاجتماعية البينية.

وكم يشعر المرء بالحزن عندما يرى القائمين على إشاعة النسونة غالبهم بين مطلقة محبطة عاطفيا ونفسيا وبين شيخ مريض بالتصابي والإعجاب بالنفس وبين شباب مثقف وطلبة علم ومتأدبين يعيشون دور كُثيِّر وعزة أو سارتر وسيمون دي بوفوار طوال الوقت! ألا تقدم هذه التركيبة النفسية المفضوحة لغالب مشيعي النسونة هؤلاء، حجة على انحرافهم في هذا السعي؟!

حتمية المواجهة الداخلية في التيار بين النسونة لا تعني كذلك التمسك بالآراء الفقهية غير المجمع عليها، ولا تعني التشنيع على طلبة العلم ممن يفتون في وقائع معينة برأي فقهي معتبر. إن المواجهة لابد أن تكون على مستوى الصورة الكلية المقدمة والفلسفة الخبيثة الكامنة وراء توجه النسونة، ولكل حالة اعتبارات. كذلك يجب الانتباه دائما لتنقية الأعراف الاجتماعية عموما من الأمور المناقضة للإسلام والتي فيها أذى للنساء: إنني لن أسعد أبدا أن يقوم أحدهم بنشر فكرة رفض تعليم النساء مطلقا ورفض تعلمهن الألعاب القتالية والحجر عليهن بوجوب ارتداء زي واحد ولون واحد فقط بل وإيجاب النقاب بلا تحمل لنقاش –نقد مثل هذه التصرفات لا يمكن أن يدخل في نطاق النسونة التي أتحدث عنها /لأنه نقد إسلامي فقهي متين الأسس وليس نقدا على أساس الهوى ولا سعيا لبناء إسلاموطوبيا متنسونة وهمية، وإن فرض زي واحد ورفض كل نقاش في النقاب واعتبار غير المنتقبة منحرفة –هو الآخر إسلاموطوبيا ذكورية سوداء ذات آثار سيئة اجتماعيا. والتيارات الإسلامية أضعف من أن تتحمل هذا أو ذاك!

---

1) راجع مقال تمييز أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان في كتاب النثار.

ملحق المقالات

(أغسطس 2016)

لم يعرف التاريخ العربي والإسلامي حتى ما قبل قرنين مضيا موضوع الحجر على مصارف شهوات الرجل وقصرها على الزوجة فقط وجوبا!

هذا أمر يجب -يجب- وضعه في الحسبان عند نقل كلام الأئمة الفقهاء السلف عن التعدد والزواج وغيره!

الأئمة لم يكونوا يجمعون في الأغلال (الزواج) و(مصارف الشهوة) قيدا أبديا!

الفقهاء وأئمة المسلمين لم يعرفوا شيئا اسمه (ممنوع على الرجل جماع غير الزوجة وجوبا)!

لقد كانوا في مجتمع (مصارف الشهوة) فيه واسعة جدا بالإماء والجواري.. وكانت كلفة الجواري متاحة لعموم الناس.. بين الجميلة والمليحة والعادية والدميمة..كانت هذه تجارة رائجة، وكن مصرفا لشهوات الفتيان والرجال المالكين بلا أدنى اعتراض أو إنكار مجتمعي.

هذا كله له اعتبار هائل في فهم كلام بعض الفقهاء عن عدم استحباب التعدد أو حتى الكراهة؛ هم يتحدثون عن زوجات لهن حقوق ليست للإماء وعندهن نظرة للزوج ليست عند الإماء. نظرة امتلاك وحب إيثار مما قد يجعل التعدد مثيرا للمشاكل.

وهذا منفك تماما عن (مصرف الشهوة) الواسع المتاح دائما وأبدا بلا كلفة ضخمة في كل شيء كالزواج.. وكانت نساء المجتمعات قديما أول من يفهمن ويفرقن بين زوجة أخرى وبين جارية عند زوجها يتسرى بها -لا يتعشقها وإلا هنا كلام آخر!

أما نقل كلام الأئمة هكذا: لقد قالوا بالكراهة -ثم عدم النقل الكامل للحالة المجتمعية المختلفة تماما عن واقعنا الكاثوليكي الذي لم يعرف الإسلام -بل والشرق الآسيوي أبدا- له مثيلا قبل قرنين.. فينتج فهما مشوها للقضية كلها! وليت المتنسونات والمتنسونون يفقهن هذا!

الفصل الخامس: **الإسلاموطوبيا النقدوية**

في الفصلين السابقين استعرضت الجانب الإسلاموليبرالي الصريح، تبقى جانب آخر مخالف للإسلاموليبرالية المحضة من حيث المنطلقات والتصورات ويشابه المركسة الإسلامية كثيرا لكنه متميز عنها في الهدف النهائي الذي قد يلتقي مرة أخرى مع الإسلاموليبرالية أو يترك الأمر مفتوحا بحثا عن طوبيا غامضة -وفي الكل إسلاموطوبيا- ألا وهو الجانب النقدوي[1].

دخول النقدوية للتيار الإسلامي بصورة واضحة وفعالة من أغرب الأمور؛ فقد جاء بسيناريو عكسي لما جرى تاريخيا: ففي التاريخ ظهرت الماركسية أولا رفقة الأناركية -والأناركية أولا وأخيرا متضمنة فيها- ثم تطورت الماركسية بعد ذلك في القرن العشرين لصور أشهرها النضال اليساري ضد الدولتية الستالينية والشمولية والاستبداد الرأسمالي، وفي مسار آخر لصورة متطورة فكريا عن طريق مدرسة فرانكفورت التي وصلت حتى لخلق مدرسة نقدية على مستوى النظريات الدولية. هذا المسار التاريخي ينقلب في حال التيار الإسلامي!

كان للدكتور عبدالوهاب المسيري الفضل الأكبر في نقل غالب أفكار المدرسة النقدية من الناحيتين السياسية والفلسفية -وخاصة المرحلة الفكرية الأولى- إلى داخل النظريات المعرفية الفاعلة في الساحة الإسلامية، حتى وإن كان الدكتور لم ينتسب لها صراحة أو يعتبر نفسه امتدادا لها[2]. ولهذا النقل ظروفه، فقد كان الفكر الإسلامي لا يعرف جيدا قبل الدكتور ذاك النقد (الغربي-الغربي) للعلمانية والحداثة، والمنهج التفكيكي المميز للمدرسة النقدية، ومثل هذا النقد الجديد اعتبر هجوما على الحداثة والعلمانية بمناهج أكثر نضجا وعمقا وتأثيرا من المناهج الإسلامية التقليدية التي تنبع من تصورات وعقليات شرعية فقهية توقفت بالفعل عن التطور قبل مجيء الدكتور بسنوات عديدة.

ثم من هذا النقل لداخل التيار الفكري الإسلامي تطور البعض لميول يسارية ثورية صريحة تتمركز حول تفسير الصراعات بنموذج مادي صرف حيث لا يزيد عن كونه النزاع الأبدي المعتاد على مناطق القوة والنفوذ الجيوستراتيجي من أجل استغلال الثروات والذي يدار باستخدام أقنعة مختلفة، قومية كانت أو دينية، والحل الواجب لمواجهته هو بناء ثورات ضد الرأسمالية والإمبريالية.

أو ميول أناركية تتمركز حول العداء لكافة أشكال السلطة، أو ظل بعضهم وفيا للنقدية التقليدية في تفسيره.

ولست معنيا في هذا الفصل بمناقشة اليسار المتأسلم لأنه يكاد يطابق اليسار الأصلي في تفسيراته المادية البحتة وشديدة الاختزال للصراعات الاجتماعية والسياسية العالمية، وهذا قد أشبعه المفكرون الغربيون قبل الإسلاميين طوال القرن الماضي نقدا. فأي كتابة لنقد المنظور اليساري - الماركسي للصراع لن يزيد كثيرا عما مضى. وسطحية المفكر (الإسلامي) الذي يحلل الصراعات الداخلية في الدول الشرقية بعامل الهيمنة الاقتصادية فقط هي مجرد تابع لسطحية المفكر (الماركسي) العالمي الذي يصنع نفس الخبل.

---

1) الفكر النقدوي الإسلامي يصح أن يندرج تصنيفيا تحت مظلة المركسة الإسلامية واليسار المتأسلم ويُناقش في أثناء عرض الأثر المركسي، لكن لندرة أو حتى عدم وجود دراسات ومقالات تشريحية له حتى الآن ولتوافر مقالات عديدة عن العامل الماركسي الصريح فقد خصصت هذا الفصل له ووضعت المقالات التي واجهت فيه المتمركسين الصرحاء في الملحق.

2) يؤكد الدكتور دائما في كتاباته أن تحولاته الفكرية كانت ذاتية نابعة من تجربته الشخصية في الغرب، لكن تطابق أفكاره مع أفكار المدرسة النقدية بصورة شبه كاملة يؤكد حجم تأثيرها (الخارجي) فيه أو على الأقل تثبت أن تجربته الذاتية (وجهته) لهذه المدرسة!

كذلك سيكون من نافلة القول التأكيد على أن النظرية النقدية مفيدة من نواح عدة، وقد استفدت شخصيا منها الكثير على مستوى الرؤية والمنهج، وبشكل عام فإن الساحة السياسية العالمية المخالفة لا يمكنها التسفيه من كافة أطروحاتها لعدة أسباب منها قوة المفكرين الذين ينتمون لهذه المدرسة الفرانكفورتية وتماسك نقدهم الموجه للدولة الحديثة والمجتمع الرأسمالي في أغلب الأحوال. لكنني سأركز هنا على أبرز المثالب المركزية في النقدويين (النقديين الإسلاميين) تحديدا وأغلبها تابع للمعايب المأخوذة على نفس المدرسة عالميا:

أول هذه المثالب هو ممارستهم النقد الدائم (نقد من أجل النقد) لكافة التنظيمات العاملة على الساحة وعشقهم النظرة الفوقية اللامنتمية! هذه إحدى الصفات الشهيرة للمدرسة النقدية: لا نهائية النقد!

إن النموذج الإنسانوي المثالي لا يمكن أن يتواجد في صورة نهائية، ويلزم بالتالي نقد كافة الأنظمة القائمة وكشف الستار المفروض على الأسس الأنطولوجية والمعرفية الخاطئة التي بنيت عليها، بلا سقف زمني ولا نظري واضح. هذا الطبع يتشربه عقليا ونفسيا المشرقي المنتمي للمدرسة النقدية ليتمرس في النقد الدائم للأوضاع القائمة والتنظيمات والتصرفات وكل مكونات الساحة، باحثا عن التناقضات في الأفعال والمواقف والبنية. قد تجد هذا الطبع جيدا لكن بعض مآلاته العقدية والعملية خطيرة.

فالتناقضات تحديدا تلعب دورا هائلا عند المدرسة النقدية، وعليه فلا يفهم النقدوي الإسلامي كيف يمكن أن تشجع كمسلم تصرفات عدائية نحو غير المسلمين من علمانيين وملاحدة وغيرهم، بينما لا يجد منك نفس العدائية نحو شخص منتم لنفس التوجه الإسلامي! مثل هذا التصرف عند النقدوي تناقض فج يهلل له، لأنه لن يتمكن أبدا من إدراك مفاهيم مثل الولاء والبراء ومفهوم اختلاف تنزيل الأحكام المتحيز لصالح المسلم أكثر من صالح الكافر. هكذا وجدنا غضبا هائلا من أغلب المنتمين لهذه المدرسة حينما ظهرت موجة رفض لسحق تنظيم الدولة أو المشاركة في الحملة العالمية تمهيدا لسحقه، إن (داعش) عندهم ضد الإنسانية –وفلسفة الإنسانوية هي اللاعب الخفي شرقيا الواضح غربيا في هذا الفكر- فكيف يفكر مسلم مرتين قبل أن يساوي بينها وبين بشار في الإجرام؟! هل يكفي نطقهم لا إله إلا الله ورفعهم شعارات إسلامية جوفاء عن تحكيم الشريعة كي يرتبك المسلمون أو يتراجعوا عن مناصرة أي قوة تدمر هذا الشر؟! هذا مثال لتناقض فكري إسلامي عميق من وجهة نظر النقدويين، ولا يمكن معالجته إلا بتعطيل مفهوم الولاء والبراء الذي يضع معيارين للرد على الأفعال الإنسانية الإجرامية: معيار للمسلم المجرم ومعيار للكافر المجرم. المسلم المجرم هناك تخاذل عن مواجهته ورفض المحاربة في تحالفات كفرية ضده بينما الكافر المجرم لابد من سحقه وإبادته بكل الوسائل!! كيف يحدث هذا؟! هم يرون أن (داعش) وبشار كلاهما ضد الإنسانية، وما تقبل أن يجري على الثاني لابد أن تقبل جريانه على الأول! بل قد رأينا من تطرفات بعض النقدويين من وصل لجعل (داعش) أكثر عداء للإنسانية من الجيش السوري! ولا يمكن نسيان كيف طالب النقدوي السوري (أحمد أبو زيد) بأن يسارع (كل إنسان) بإبلاغ سلطات أي دولة عربية أو غربية يعيش فيها عن (الدواعش) فور التعرف عليهم لاعتقالهم لأنهم ضد الإنسانية جمعاء! ولا كيف استباح الاستهزاء والسخرية الجارحة من حزن الدكتورة إيمان البغا حين استشهد ابنها لأنها انضمت للدواعش! إنها ليست إنسانة أصلا فضلا عن أن توصف بأنها (امرأة مسلمة) وإن كانت ضالة!

والنقد ها هنا لا نهائي، لأن النظرية النقدية لا هم لها إلا (كشف مشاكل الواقع) وبالتالي فضح أسس كافة التنظيمات السياسية والاجتماعية الموجودة.

فلتنتبه ها هنا أن أحد أهم أسباب استمرار النقد بلا نهاية هو استخدام منهج التفسير الباطني[1] والتأويلي في فضح الظواهر التي تشكل الواقع، والإيمان بأن **التصور المجازي بشكل متواصل يمكن من خلاله استكشاف مشكلات وتناقضات المجتمع القائم**[2]!

حاول أن تدرك جيدا الأبعاد الخطيرة لذلك: فإن كل التنظيمات الإسلامية يمكن تقديم تفسير باطني لأفعالها يكفي لتشويهها وتفكيكها، وكل فعل جيد ظاهرا يمكن تأويله ليصبح فعلا قبيحا. فمثلا رغبة التنظيمات الجهادية في تطبيق الشريعة ورفع راية التوحيد تصبح هوسا حداثيا واستمرارا لدولة وستفاليا بهيئة إسلامية! وأكثر التصرفات قبولا وإخلاصا يتم تأويلها باستخدام المنهج الباطني لتصبح أفعالا مذمومة! هكذا توفر النظرية النقدية زادا لا ينتهي أبدا للنقد، فكلما أفلس أحدهم في نقد التنظيمات والحركات والواقع أخرج الآخر تفسيرا باطنيا تأويليا جديدا يهاجم فيه الحركات تحت مظلة (التفكيك المنهجي) ليبدأ التهليل والتبريك وتستمر العجلة في الدوران!

كذلك فالنظرية النقدية دائمة الاتهام للمعارف السائدة بأنها ابنة المصالح –وراء ماركس!- فلا يظنن أحد أن المعارف الإسلامية وتعريفاتها للولاء والبراء وخطر اليهودي والصليبي والكافر والمؤمن وصراعات الهوية الإسلامية ومركزية المسلمين والإسلام معيارا للحق وحتمية الصراع العالمي-الإسلامي وما إلى ذلك من نظريات ورؤى تأسس عليها التيار الإسلامي تبعا للسلف، لا يظنن أن كل ذاك المحتوى المعرفي سينجو من النقد الشديد والرفض ووصمه بالأدلجة والانحراف عن الرؤية الإسلامية الإنسانوية! فلا يغيبن عن فكرك أن النظرية النقدية أحد أكبر مهامها الرئيسية هي تحرير الإنسان مطلقا، لا تحرير الإنسان المسلم ولا الإنسان اليهودي، بل تحرير كل الإنسانية دون النظر للدين وعدوانية أي مشروع تحريري حصري للمسلم فقط، إلى آخر هذه الشعارات الفاشلة عمليا! إن هذا سبب آخر للانهائية النقد، فالتحرر الإنساني **عملية مفتوحة وليست ذات نهاية محددة، وهي اتجاه وليس منتهى**[3]!

وطبعا من الواضح لأي عين مبصرة أن هذا المنهج الساخر المستهزئ والعدواني ضد (الأنساق والرؤى السائدة) يناسب جدا نفسيات معينة مصابة بعقد التفوق والاستعلاء؛ فتتخذ منه أداة لتحقير الواقع الإسلامي المحيط كتبرير للهروب منه والهجوم الدائم عليه، لذا ينتشر عند هذا النمط النفسي استخدام المنهج حصريا ضد الإسلاميين وعدم استخدامه إلا نادرا ضد أي مكون آخر من مكونات الواقع المحيط. ولا أقول لحظة أن هذا النمط النفسي هو الأكثرية في النقدويين الإسلاميين وإنما أقول أن هناك طائفة لا بأس بها من هؤلاء ناسبها المنهج النقدي نفسيا أكثر من المناسبة العقلية!

تلاحظ كذلك ادعاءهم أن غياب نموذج واضح للدولة الإسلامية في تصورهم إنما هو ميزة وأن التصورات المقدمة من التيارات الإسلامية إما ابنة دولة الحداثة أو تصورات جهادية طوباوية. بالإضافة للهوس المذعور باتهام كل منظومة سياسية معاصرة أنها ابنة الدولة الحديثة المطلوب هدمها! إن هذا أحد عيوب نقل التصور النقدي الغربي بعجره وبجره إلى المنظومة الإسلامية! فالنظرية النقدية متهمة أصلا بالمثالية والطوبوية، وقد نقلت قبلا قول ماركوزه ردا على الاتهام بأنهم طوبويون: أنه يحتاج إلى أن يكون طوبويا بصورة أكبر! أي أن أكبر اتهام يوجهه أصحاب النظرية النقدية للرؤى النظرية الإسلامية والجهادية في قلبها –هو أكبر اتهام

---

1) نظريات العلاقات الدولية: 252.

2) أندرو هيوود، النظرية السياسية: 473.

3) نظريات العلاقات الدولية: 254.

متهم به النقديون دائما! فضلا عن التناقض الفج في منهج التحليل الذي يجعل النقدوي الإسلامي يرتدي في أحيان كثيرة حلة المدرسة الواقعية البراجماتية للهجوم على أي تصور لمثال الدولة الإسلامية المطلوب، ربما بوعي وفي الأغلب بلا وعي!

إن هوس النظرية النقدية العالمية في تفكيك الدولة الحديثة (ابنة وستفاليا!) وتحميلها كافة الشرور والخطايا انتقل إلى النقدوي الإسلامي؛ فصار مهووسا بنسبة غالب البنى الإسلامية المطروحة للدولة إلى الحداثة أو إلى الطوبيا، ولا يكاد، بل لا يوجد فعلا أي نموذج يمكنه إرضاؤه.

ومع ذلك فمن الصعب تجاهل ميل بعضهم إلى النموذج الأوروبي الليبرالي الديمقراطي، وهذا ليس عجيبا على المدرسة النقدية المتأخرة، فهابرماس في محاولته لتفعيل رؤيته عن (الفعل التواصلي) لمواجهة الفاعلية الاستراتيجية المؤدلجة الدولتية القامعة كان يهدف إلى (تعديل) النموذج الديمقراطي الليبرالي الأوروبي وتقديم إصلاحات بنيوية عميقة في المجتمع المدني وبالتالي الدولة ومؤسساتها السياسية كلها. إن هابرماس لا يهدف إلى (تدمير) الدولة الليبرالية الديمقراطية بلا بديل؛ بل يعمل على إصلاحها جذريا **بتشكيل الإرادة السياسية وتكوين الرأي العام وتقوية المجتمع المدني** وهي العناصر المطلوبة أملا في أن **تشكل فرصة لاقتراب السلطة من المواطنين بعد انفصالها عن العالم المعاش وانحسارها في أنساق مغلقة خرساء صماء، تمثل أجهزة فوقية متشيئة**[1]؛ بالتالي فهذا الإعجاب الخفي والميل لليبرالية الأوربية كقالب للبناء (الإسلامي) فوقه ليس بالمستغرب إطلاقا على النظرية النقدية كتيار داخلي فيها، وهو بديل مناسب للإفلاس النظري (ماذا بعد الهدم؟!) أو الاتهام بالطوبوية الخرقاء!

ومع ذلك فإن تقديم نموذج (مثال) للدولة الإسلامية المطلوبة لهؤلاء يعني أنك ستقع في فخ لا محالة؛ فأنت حين تقدم (مثالا) أو رؤية للدولة النموذجية ستقع تحت خناجر الوصم إما بالطوبيا وإما بالحداثة وتعديل الدولة السلطوية الحالية! لا يمكنك –أكرر- لا يمكنك أن تنجو من فخاخهم لأن المنهج التأويلي الباطني في التفسير سيصم كل ما تقدمه لا محالة![2] إن شهوة التأويل الباطني لتصرفات الجماعات والتنظيمات تجعل من المحال أن يوجد شيء خارج نطاق التأويل ومن ثم الاتهام بالشمولية أو الحداثة. بذا يدوم النقد وتستمر للأبد المدرسة النقدية! وهذا ليس عجيبا على الفكر المتمركس بشكل عام، وقد رأينا كيف أن المنظمات اليسارية الإيرانية مثل مجاهدين خلق وبيكار كانت تعادي نظام الخميني وتعتبره هو هو ذات نظام الشاه لكن بلون ديني وأنه ألعوبة في يد الرأسمالية العالمية[3]! لن ينجيك عداؤك للمنظومة العالمية من الاتهام حتى بموالاتها؛ بمنهج التأويلات المتمركسة تلك!

فوق كل ذلك يبقى التفاخر بالجانب الإنسانوي الواضح في تفكيرهم واعتباره مركز التسامح الإنساني المزعوم، وبالتالي العداء مع التيار الإسلامي الذي يرفض (الرؤية المتسامحة) المنفتحة مجتمعيا، أحد أبرز مواطن الخصام مع الفكر الإسلامي –إن الفكر الإسلامي عموما قائم على فكرة الصراع وسنن الاستبدال والدفع وما إلى ذلك من مفاهيم يرونها تحتاج إلى (مناقشة جادة) ولا يعنون بذلك سوى التفكيك التأويلي أو التجاوز بلا حتى محاولة تفكيك، المهم أن ينتهي المحتوى الذي يرسخ من مفاهيم حتمية الصراع السياسي والمجتمعي تحت مظلة الدين أو غير الدين!

---

1) علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية: 218.

2) لهذا لم أندهش لحظة حينما علمت بهجوم بعضهم الشديد على كتاب وطن الراشدين حتى من قبل ظهوره بل وسعي أحدهم لمنع طبعه أساسا دون حتى أن يقرؤه! أعترف أن الاسم وحده مستفز جدا لأي نقدوي!

3) التيارات السياسية في إيران، فاطمة الصمدي:25.

وقد أدخل هابرماس مفهوم ما بعد العلمانية الذي يسعى لصناعة مجتمع مدني سلمي صالح يتخلي عن العلمانية العدائية ويتخلي عن الدين العدائي ويستثمر الحوار بين العلمانيين والمتدينين من أجل الوصول لأرضية إنسانية مشتركة تحت المظلة الديمقراطية، فأي خطاب إسلامي يهدد المشترك الإنساني ويهدد الحوار والتنازل الديني مقابل التنازل العلماني سيكون غير مقبول بسبب تصويره العالم على أنه في صراع بين ثنائية الخير (الإسلام /الدين الحق) والشر (الكفر /الدين الباطل) وبالتالي يدمر الحوار ويدمر كل أسس التلاقي المطلوب.

إن هذه الجوانب أصل الأدلجة الكلية لهذه المدرسة، لقد انتقلوا عن المركز الإسلامي إلى مركز إنسانوي ربما بلا رجعة، وقد استمر البعض وفيا للنموذج النقدي القديم الذي يغيب فيه شكل واضح للدولة، بينما وصل البعض لنموذج هابرماس أو غيره من النماذج المثالية للدولة ووصل البعض الآخر للأناركية الصريحة!

النظرية النقدية على أي حال تحتمل هذه الأشكال كلها: تحتمل التنظير ليوتوبيا (إسلامية في حالتنا ها هنا) – وتحتمل التنظير لأناركية ضد الدولة السلطوية (**يصف أوغستين هامون الأناركي بأنه: ثائر على المجتمع وأشكال الوصاية، رافض للنخبة، متعاطف مع كل ما هو ضد الدولة / ويقول شتيرنر: نحن أعداء، أنا والدولة، فكل دولة هي تجسيد للاستبداد**[1]) –وتحتمل التنظير لدولة ليبرالية مثالية غير طوبوية كما ذكرنا! وبالطبع، تحتمل أن ترجع لأصولها التي بدأت منها النظرية كلها: الأصول الماركسية لرؤية الصراع! إن هذا هو السبب في خروج كافة هذه الأنماط الفكرية من تحت عباءة الفكر النقدي المعرَّب المؤسلم –لا لعيوب في عرضها! ولو تأملت في هذه النماذج جميعا ستجدها تقدم إرجاء سياسيا في النهاية، سواء كانت النهاية بإسلاموطوبيا دولة نموذجية أو دون الاكتراث بنهاية أصلا: فالمحصلة أن الوضع القائم لا يمكن أن يكون صحيحا! كل الرؤى الموجودة تحتاج لتفكيك ولا تكاد توجد رؤية أو تجربة إسلامية سياسية لا يتم نقدها بشدة وبالتالي يجب الاستعلاء عليها وإرجاء العمل مقابل البحث عما هو أفضل!

ختاما، أجد من الضروري التفرقة بين نوعين من النقدويين في الساحة: النقدوي الحقيقي، وهو المؤمن حقا بالنظرية النقدية ويمارسها بأريحية وانسجام وصدق كبيرين – والنقدوي المزيف ويمثله مجموعة تنتسب لمدرسة المسيري أو ما بعد المسيري لكنها في تصرفاتها وأفعالها ومواقفها ليست تمثلا حقيقيا للنظرية، وإنما هي مجرد مجموعة من (تجار ثقافة) أو رجال تسويق ما زالوا ينتسبون للنظرية لأنها غطاء ثقافي يعطيهم وجاهة ومكانة يحتاجونها. وقد حادثت يوما أحد هؤلاء النقدويين المزيفين الذين هاجوا وماجوا عند كتابتي مقالا عن استخدام الفن والتنظير في الأدب وقمت بتحليل المحتوى الأيدولوجي والفلسفي لعدة أفلام؛ فذكّرته أنه هو نفسه ومن قبله (أستاذه) المسيري لهم مقالات في تحليل المحتوى الفلسفي (الكبير) لأغانٍ هابطة قدمتها أمثال نانسي عجرم وروبي! ثم قلت له مندهشا: ذكرني حقا؛ عم كانت رسالة الدكتوراة للأستاذ المسيري؟! فولى خرسا وذيله بين أسنانه!

إن هؤلاء ليسوا نقدويين حقيقيين وإنما مجموعات يمكن اعتبارها امتداد لليساري الثوري المزيف والذي ما إن يدخل السوق حتى يصبح رأسماليا متوحشا ويستخدم ثقافته اليسارية كوسيلة لمضاعفة المبيعات لا أكثر! وهم يمارسون شهوة احتكار النقدية كبضاعة ويستعملون السخرية والاستهزاء والتفكيك ضد الآخر حتى إن استخدم ذات منهجهم! وهذه أيضا إحدى علامات (اليسار)

---

1) دانيال غيران، الأناركية: 60-63.

الواضحة فيهم: أنهم لا يكفون عن التفكك والتفكيك!

ويدخل تحت مظلة النقدوي المزيف أيضا جماعة ممن أبهرهم أسلوب المسيري وتعقيده المصطلحي المقصود –والدكتور نفسه اعترف في مذكراته بتعمده ذلك وذكر حادثة طريفة ذات دلالة كبيرة عن أنه صنع يوما هو وابنته على الشاطئ كومة من الرمال بلا معنى وفوقها غطاء زجاجة وأطلقا عليها اسما فلسفيا مرعبا، يعطيها إيحاء مزيفا بالمحتوى الثقافي الكبير!- واستخدموا هذه التعقيدات في كتابات عرجاء للواقع وصناعة هالة شخصية مزيفة وعمق زائف دون إدراك حقيقة المنهج الذي يعتمدونه فتخبطوا كثيرا ولم يخرجوا من تخبطهم، ثم تجدهم ينسبون أنفسهم إلى المسيري كأنما هذا يعطيهم مظلة (عمق ثقافي) كافية تسبب الرهبة من نقد كتاباتهم الخرقاء!

كما أنني أفرق بين نقدوي مدرسة المسيري ونقدوي مدرسة ما بعد المسيري – مدرسة المسيري تضم من لم يخرجوا بعد من عباءة الرجل، ومدرسة ما بعد المسيري تضم الذين اكتشفوا الحقيقة المجردة: أن الدكتور قام بتقديم محتوى منهجي ومعرفي (معرَّب) للمدرسة النقدية، بالإضافة لبعض الرؤى الشخصية التي لا تخرجه أبدا من تحت مظلة النظرية النقدية! إن تشابه محتوى الدكتور المسيري النظري ومنهجه التفكيكي والسياسي مع المفكرين النقديين الكبار والمعاصرين أكبر من أن يكون مجرد مصادفة، وطبعا لن أتحدث عن تعريب (الفعل التواصلي) في إصلاحياته الإنسانوية المطلوبة باعتماد الحوار – وفكرة العلمانية الجزئية التي تشابه جدا إن لم تماثل فكرة ما بعد العلمانية الهابرماسية والتي تعد بمجتمع علماني حر غير متعصب ويحترم الأديان ليس في خصام معها أبدا بل هو في خصام مع التطرف الديني والتطرف العلماني (العلمانية الشاملة) على حد سواء. الدكتور في أفضل الأحوال هو امتداد شرقي للنظرية موازٍ للامتداد الغربي، وغير منقطع عنه.

إن مدرسة ما بعد المسيري تدرك الآن ذلك وتنسب أصول أفكارها لهابرماس أو ماركوزه وامتداداتهم صراحة بدلا من نسبة أفكارها للدكتور، أو حتى تتجاوز ذلك وتذهب في اتجاهات تفكيكية أخرى لكنها في النهاية لا تخرج عن الإطار العام للنظرية النقدية.

كذلك لا يمكن تجاهل دور ترجمات شومسكي وستجلتز ونعومي كلاين وغيرهم في نشر المنهج الماركسي المادي المحض في تفسير الصراعات العالمية باعتبارها صراعات مصالح لا أكثر. قد يرى البعض أن هذا المحتوى (الثقافي) ساهم بصورة أكبر من تعريب النقدية، لكن يجب في النهاية تذكر أنه من المعلوم أن النقدية ابنة الماركسية في النهاية[1]، ورؤيتها للصراعات أعمق لكنها لا تتناقض مع كتابات الماركسيين وتفسيراتهم للصراعات العالمية، فبصورة ما هذا يكمل ذاك!

---

1) أندرو هيوود، النظرية السياسية: 273.

ملحق المقالات

(مارس 2015)

كان أحد أبرز أسباب الهجوم الماركسي على الفلسفة الألمانية في مقدمة القرن التاسع عشر والتي هيمنت عليها الهيجلية بكل أطيافها حتى المعارضة منها: أنها أيدولوجيا ألمانية تدعي العالمية زورا؛ لقد حللت الواقع الألماني وأنتجت منتوجا للواقع الألماني فآمنت بصحته المطلقة وجعلته عالميا! لن أتحدث هنا على كون هذا الكلام الذي قاله ماركس في عمله (الأيدولوجيا الألمانية) يمكن استخدامه أيضا ضد أحكامه وتصوراته في كتبه التالية المؤدلجة للقارئ! لكن المقصد أن التقوقع في المحلية وتقديم تصورات وصنع آمال دون النظر الجاد للمحيط العالمي والأشباه والنظائر: أمر يستحق الإنكار! خذ مثالا على ذلك الإيمان الإخواني بأن الضغط الاقتصادي سيؤدي لانهيار السيسي في نهاية المطاف، هو إيمان يساري متوهم يستعملونه الآن لأنهم في وضع المعارضة المقموعة بعنف؛ والمعارضة المقموعة إما تتجه نحو اليمين بكل ما يسببه هذا من تهديد عالمي لها؛ فتسخدم شعارات دينية صريحة وتخوض حربا مقدسة ضد النظام.. وإما تتجه نحو اليسار فتخوض حربا ضد المصالح التي يعاديها اليسار في كل زمان ومكان: الاقتصاديات المهيمنة والشبكات العالمية! بسبب اندثار اليسار المقاوم فقد انخفضت حدة الغضب العالمي ضد هذا النوع من المقاومة؛ لذا لجأ الإخوان إليه كحيلة براجماتية منهم لكسب الجبهتين: الجبهة الداخلية ضد النظام القائم والجبهة العالمية التي ستتسامح مع هذا الانسلاخ عن الشعارات الدينية في القضية حتى لو كان لمصلحة اليسار! طبعا باعتبار أن القوى العالمية حمقاء ولا تدرك أن هذا الانحراف ليس أصيلا وأن الأيدولوجيا الداخلية للجماعة لا زالت دينية! فالعالم يداعبهم كما يداعبونه!

المشكلة الحقيقية في تلك النظرة التي تنظر للقوى العالمية والواقع الداخلي فقط: أنها تصدر أحكاما وهمية مطلقة! فهي مؤمنة بصحة هذا المسار العملي وغارقة في تأويلات مختلفة عجيبة للأشباه والنظائر! وإلا فما تفسيرهم لصمود بشار الاقتصادي والعسكري حتى الآن -يدفع المرتبات بانتظام ويسيطر على كل المدن الكبرى والطرق الرئيسية تقريبا اللهم إلا ندرة- وهو الذي يخوض حربا مدمرة مهلكة دمرت الأخضر واليابس وكانت إحدى استراتيجياتها ترك الريف للمعارضة كي يخوض حربه معهم عليه؛ وبالتالي انقطاع مصدر هائل للدخل القومي السوري وإضافة بند عسكري ضخم في المقابل؟! ما تفسيرهم لصموده الاقتصادي هذا؟ ما الذي يتوقعون أن يصل إليه السيسي أكثر من بشار كي يسقط اقتصاديا؟!!

إن هذا التوهم بقدرتهم على إسقاطه اقتصاديا يشابه الوهم السابق بقدرتهم على ابتلاع النظام المصري العسكري وتغييره لصالحهم.. الوهم الذي جعلهم يؤمنون بتدين السيسي وتأويل أحداث عام حكمهم المؤسفة بصورة تبعد السيسي والجيش عنها لا لشيء سوى رفض المواجهة مع الواقع والتي ستعني الصدام لا محالة! وهم يخشونه بشدة!

وأوهام الجماعة تتأدلج بصورة سريعة وتأخذ أحكاما مطلقة! حتى وهي تتغير من ظرف لآخر ومن مكان لآخر! ففي سوريا الإخوان يلعنون إيران وفي غزة يعشقونها! والإخواني المصري قد يعادي من يمدح إيران لأنها قاتلة السوريين ويعادي من يلعن إيران لأنها سند الغزاويين! لا تناقض هنا وإنما هي: حكمة! والأزمة أنه يظن أحكامه هذه مطلقة دائما؛ ولا مطلق حقيقي سوى البراجماتية!

إن خوض معركة يسارية هو خداع للنفس لا خداع للنظام العالمي.. وتوجه بطواعية نحو مسار فاشل لم يفهمه العرب في عز نجاحه العالمي فكيف يفهمونه وهو في حالة خمول وخسوف؟! وسيظل الإخوان بالنسبة للنظام العالمي هم اليمين المغفل الذي يظن نفسه ذكيا فيظهر نفسه مرة في صورة اليسار ومرة في صورة الليبرال ومرة في صورة الأصولية ومرة في صورة الوظيفي المحتمل استخدامه ضد الأصولية الجهادية! لقد جاءتهم فرصة خوض حرب متصالحة مع أيدولوجيتهم الدينية فرفضوها وضاعت منهم.. وقد كانت هذه فرصتهم الوحيدة أصلا!

(أغسطس 2016)

هوس!

تنظيم هرمي له عقيدة.. (أيدولوجيا) حتى يفهمنا المطلوبون ولن أنازع ها هنا:

ما الغريب الفريد الذي يجعلك تتكلف وتصفه بأنه محاكاة للدولة الحديثة (Modern state) وتماهٍ معها وأنه يحارب الحداثة بمثلها وبالتالي فالتنظيمات الإسلامية الهرمية الصارمة ذات المنظومة المعرفية المايزة لما حولها،: ابنة الحداثة!

إن كذا، فالمسلمون رواد الحداثة!

المسلمون بالمجموع من أكثر الذين ظهرت فيهم التنظيمات الهرمية الصارمة التي لا تجعل في قلب الكون ربه بل تضع في قلب الكون إماما إنسانا هو ظل الرب.. وهذه التنظيمات كانت -بالمفاهيم المعاصرة- من كبار مروجي فكرة الإنسان السوبرمان والسوبر ذرية وباقي البشر السمان / عبر التاريخ القديم!

وليست الفكرة شيعية حصرا وإن كان جبابرتها هم الشيعة عامة والفاطميون خاصة؛ بل العباسيون السنيون وتنظيمهم السري الهائل هم الرواد /ومشاكلة النشأة العباسية للفاطمية لا تخفى على مطلع!

الإيراق الكئيب من فكرة التنظيمات ودعمها، سببه الأول رواج هذه الفكرة الفلسفية التي لا تثبت كثيرا عند التحقيق: أن التنظيمات الإسلامية الحالية (بدعة) حداثية، ابنة عصرها الفلسفي، وليس لها مشاكل ولا نظير ما قبل حداثي!

لا! بل لها نظائر كثيرة ولها مميزات سياسية واجتماعية ودينية قد خلت منها التنظيمات العتيقة.. ولها عيوب كذلك، وأي الرجال المهذب؟!

هذه الفكرة وهم ومتابعة لهوس من نقر على نقرات المكارثية الحداثية التي ظهرت بين الإسلاميين: حيث يتم وصم كل شيء (يشبه) الحداثة ودولتها من جانب أنه (حداثي) وجديد وابن الفلسفة الغربية والأوروبية فأول من قال هذا كان هيجل وأول من فعل ذاك كان روبسبير!

هذا هوس مكارثي حداثي من الناقد لا هوس بالحداثة من التنظيم العامل!

والهوس المكارثي لا يتوقف ها هنا، بل يمتد حتى يدبج المقالات الطوال في سب ولعن صفات وخصائص للدولة، باعتبارها موصومة بالحداثة وابنة عصرها، بينما أي عالم بالتاريخ يعلم أن أغلب هذه (الصفات) والخصائص المنسوبة للحداثة والدولة الملعونة الحديثة: لا تكاد توجد دولة في التاريخ دون امتلاكها لها!

رأيت يوما من يسب ويلعن فكرة هيمنة الدولة الحديثة وسيطرتها على الجانب المجتمعي والقيمي وكيف أن العباسيين كانوا يتركون أبا نواس وأمثاله بفحشهم ومجونهم ولا تتدخل الدولة بسلطانها! لقد تحدث بلسان مستشرق حديث عهد بالاستشراق حتى لا بلسان عالم!

فعمر بن الخطاب وخلفاء الثلاثينية الذهبية، لم يكونوا يتركون الجانب المجتمعي والقيمي دون تدخلات شديدة القسوة في بعض الأحيان كنفي نصر بن حجاج وضرب المخالفين بالدرة على مخالفات أدبية بسيطة ترفض العقاب عليها حتى أشد الدول حداثة! ماذا عن وجوب الحسبة وفريضة الأمر بالمعروف و(النهي) عن المنكر؟!

أم هل تصور ذاك القائل أن (النهي) كان ويكون وكائن باللسان فقط لا غير وأن الدولة لا تتدخل فيه؟!

ثم ماذا عن تدخل (الدولة) العباسية ذاتها في أحد أهم الأغوار الإنسانية خصوصية وهي إيمان البشر بصفات ربهم وامتحان الناس عليها والتنكيل بكل مخالف، مأمون فمعتصم فواثق؟! ثم انعكاس الأمر وتدخلات المتوكل فمن بعده؟

المكارثية الحداثية، حساسة مهووسة ضد أي صفة تنظيمية أو دولتية تشابه الحداثة وتنسبها إليها باعتبارها منبتة الصلة بتاريخ المسلمين والبشرية القديم، ولا اعتبار لأغلب ما قيل ويقال!

وإن لم يكن (كل) ما قيل ويقال خطأ بالضرورة!

(سبتمبر 2016)

مشروع توسيع مصطلح (العلمانية) الذي قام عليه د.المسيري رغم أنه في جوانب كثيرة محق تماما وفي جوانب أخرى مضطرب خاصة عند جمع متفرقات الدكتور وقراءة حواراته وتطبيقات رؤيته التقسيمية (شاملة وجزئية) المتخلخلة في بعضها -اضطرابه واعترافه بالاضطراب في تصنيف أركون- إلا أن هذا التوسيع والتقسيم يحتاج لتقسيم آخر أعلى حتى يتلافى إشكالا شرعيا غير هيِّن:

فبحسب مصطلح الدكتور عن العلمانية الشاملة (وهي الخفية التي يصعب كشفها للرؤى السطحية) فإن دولة مثل مملكة آل سعود علمانية.. بل أكثر علمانية من مجتمعات ودول أخرى قد تكون كافرة. هنا مصطلح العلمانية فاقد لمدلوله الشرعي (تنحية الشريعة) إنما هو دال على معنى واسع فلسفي ضخم ليس مجال عرضه هنا؛ لكن خلاصته العملية: أنك بهذا الفكر قد تحكم على دول تطبق أحكام الشريعة بأنها (علمانية)!

فلم يكن مستغربا أن نجد بعض تلامذة الدكتور يصفون الحركات الجهادية بالعلمانية والحداثية -وقد تكلمت قبلا عن الهوس المكارثي بالحداثة!- وإلى آخر تلك الصفات المدهشة في اعتدائها المستهتر على المسلمين، الحقيقة أن كل هذا ناتج من اضطراب المفهوم وخطورة فصل المدلول الشرعي للمصطلح وتنحيته ثم إعلاء الجانب الفلسفي منه فقط!

لذا فمن الأفضل أن يتم إبقاء لفظ (العلمانية) كما هو دال على ما كان يسميه الدكتور بالعلمانية الجزئية: وهو فصل الدين والشريعة عن الدولة؛ فهذا هو ما كان يتناوله الفقهاء والإسلاميون من جهة الشريعة وهو مقصودهم بأن الإيمان بهذا كفر ولم يخطئوا ولم يسطحوا الأمر كما وصفهم كثير ممن استهزأ بطرحهم البسيط منبهرا بتقسيم د.المسيري. إنهم لم يكونوا مخطئين إنما كانوا ينظرون من الجهة العملية الشرعية التي لا تقبل التأويلات والتفسيرات.

أما العلمانية (الشاملة) فالأفضل أن يتم وصفها بلفظ (الفلسفية) ويكون نقاشها في مجال الفلسفة لا مجال الشريعة. فبحسب رؤية د.المسيري تكون الشاملة ألعن وأخفى وأدق على النقيض من الرؤية الشرعية -وستجد أن كلام د.المسيري هو السبب في الاضطرابات الهائلة التي تتجلى في مقالات مدرسته التي تطورت وتخطته هو

نفسه لكن بقيت أصول كثيرة مزروعة بداخلها لا تموت: يقولون مثلاً أن آل سعود والقاعدة و(داعش) هي (علمانية شاملة) وتركيا إردوغان وبعض العلمانيات الأخرى التي تصرح بفصل الدين عن الدولة تماما هي (علمانية جزئية) أخف وألطف وأظرف وأكثر قبولا!
الأمر أشبه بالنكتة حقا وفيه صدام وتناقض بين الشريعة والفلسفة يحتم تجنب مثله.
هذه المهزلة الشرعية ربما -أقول ربما- يقوم هذا التقسيم (علمانية - علمانية فلسفية) بحلها!

(سبتمبر 2016)

التنظير لماهية النموذج السياسي والمجتمعي المثالي هو الأصل وهو الصواب، ومونتسكيو نفسه الذي طالما مدحه ألتوسير أنه لم يكن مثل هوبز وغيره ممن نظَّروا بكثافة لفكرة الماهية: قد قام -فقط- بتغيير سبيل الوصول لهيئة القانون الأمثل وبالتالي للمجتمع والنموذج السياسي الأمثل، أي أنه خالف في سبيل بناء النموذج لا في وجوب إيجاد النموذج!
ويكاد أكثر الفلاسفة المؤسسين لأوروبا الحديثة يجتمعون على ضرورة وجود لحظة (نموذجية) تاريخية مثلى أو قريبة من المثال الأسمى المطلوب. رآها مونتسكيو في (لحظة) ميلاد أصل الدولة الرومانية، ورآها ماركس في خياله على نقطة متقدمة جدا هي نهاية التاريخ وكان هيجل من قبله قد رآها في الدولة الأوروبية الأسمى!
المهم أنه لابد من لحظة (نموذجية) هي الأقرب للمثل الأعلى أو هي المثل الأعلى ذاته!
عندنا كمسلمين قد كان هناك عصر نموذجي، بنص قاطع، وهو ثلاثينية الخلافة الراشدة، وقد كان هذا النموذج السياسي أقرب للواقع من النماذج المثالية التي طالما شدا بها فلاسفة الغرب ومنظروه: إنه نموذج فيه صراع نفسي بين الخليفة ونفسه، وبين الخليفة وعماله، لا توجد مثاليات إنما يوجد نموذج يعترف بالنقصان البشري وفي النقصان هذا ذاته القرب إلى الكمال المنشود!
أقول هذا لأن انتشار أفكار النسبية الفلسفية والسياسية بداخل أوساط مجتمع الإسلاميين أنفسهم مع الهوس بفكرة (النقاء اللا أيدولوجي أو ما بعد الأيدولوجيات) باعتباره موضة ثقافية مميزة تسمو على نماذج الإسلاميين دائمة الانهيار قد استشرى أكثر من المعقول، واتجه هؤلاء لسبيلين:
الأول يطعن في أي نموذج سياسي يتم طرحه باعتباره مثاليا أو يقرب من المثالية مع الإصرار على علمنة التاريخ والتأريخ -والتأريخ معين التنظير السياسي- وما يطرحونه هو البراجماتية والاستسلام للنماذج السائدة باعتبار أن ليس عند المسلمين نموذجا سياسيا مثاليا ولو حتى في هيئة أطر عامة.
والثاني هو الضغط على الإسلاميين لتقديم نموذج كامل مفصَّل لا إجمال فيه لأدق تفاصيل شكل الدولة الإسلامية المنشودة، وإن المرء ليعجب كيف يريدون هذه التفاصيل الموازية للديمقراطية الغربية المعبودة والديمقراطية نفسها تطورت وتتطور كل يوم وفي كل مكان بهيئة تبعا لتقلبات المجتمع وظروفه السياسية! إن التفصيل قد جاء من الاستمرار والاستقرار لأزمان وعصور، فأين هذا للنماذج الإسلامية الحالية؟
إن الديمقراطية الغربية الحديثة أيضا تعاني من إشكالات ومعضلات حقيقية ولابد أن يفهم عابدوها أنها هي الأخرى (نموذج) يتم تجريبه إنسانيًا طال الزمن أم قصر، وككل نموذج توجد فيه عيوب يزداد وضوحها وجلاء مساوئها يوما تلو الآخر، حتى يأتي اليوم الذي يبرز فيه نموذج أسمى من التطبيقات الموجودة، سواء بعنوان جديد أو في هيئة طور أحدث منها.. ثم أن كل هذا -فوق ذاك- فخ أيضا! فحتى لو تم تقديم أنموذج كهذا سيتم وصمه بأنه (أيدولوجيا) وأصحاب المطالبة به أنهم (متأدلجين)!
إنما العيب كل العيب على من يقدِّم نموذجا مثاليا -وهو أمر مطلوب- ثم يتعصب له ويرفض كل نموذج غيره في إطار المباح ويعتبر غيره ضالا لابد من هدمه من أجل النموذج (الأوحد) لا (الأسمى)!
مثل هذا حتى لو طبق نموذجه فسيصطدم بإشكالات الطبيعة الإنسانية فيمن حوله من حاكمين ومحكومين وسيعتبر أي تطور أو انحراف هو انهيار لمثاليته المنشودة؛ كما حدث للشيوعية المثالية النماذجية التي عندما طبقت وانتظرت نهاية التاريخ كانت نهايتها هي نفسها الأقرب بينما استمر التاريخ!

(نوفمبر 2016)

صنع المغول ما صنعوا في بغداد وسائر مسلمي قلعة الشرق، العراق، ولم يجر لهم شيء.. بل ما زادوا إلا استعلاء ومجدا فتقدموا في مسيرة مظفرة طوال نصف قرن اللهم إلا انكسارات بأيدي المماليك لا تقارن بحجم اتساعهم وانتصاراتهم الهائلة.
ومع ذلك، كان العلماء وأهل الديانة إذا وقع للجيش المغولي كائنة فيها أثر فوق طبيعي، كعاصفة في غير وقتها مثلا تعرقلهم أو تصيبهم بسيئة: كانوا يعتبرونها تلقائيا من علامات غضب رب العالمين على هؤلاء.. ونقمة إلهية عليهم.. ولم يكونوا يتقاولون كثيرا في المسألة، لأنهم لم يكونوا ينتظرون إما أن ينزل غضب الله في هيئة صاعقة كبرى تحرق المغول وتنهي سلطانهم للأبد وإما ألا يكون ما يجري لهم من أذى غضب من الله! لقد كانوا يفهمون غضب الله ونقمته فهما مخالفا لما يجري حاليا عند أكثر

منكري جواز أن تكون كارثة طبيعية في هيئة إعصار أو بركان أو تسونامي علامة إلهية على الغضب والنقمة من القوم المصابين.. لقد كانوا يفهمون أن مثل هذه الأحداث: (علامات) لا (رد) إلهي..والفارق الأكبر بين الأولى والثانية هو الديمومة والإيجاب.. العلامات ليست دائمة ولا واجبة الحدوث على الله ولا يوجد عند المسلمين شيء واجب على الله.. (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون).. وأقل تدبر لهذا يجعلك تدرك الحكمة دون جهد: فلو وجب على الله ديمومة (الرد) بصورة منتظمة على كل علو واستفزاز وإيذاء للمسلمين، لأصبح التواكل عقيدة من عقائد المسلمين! ولما خرج يوما أي مجاهد من هذه الأمة اعتمادا منه وتواكلا على (الرد الواجب من الله)! وهذا كفيل بتدمير كل أمة في أيام معدودات، وهذه هي الحكمة الظاهرة دون الحكم الخفية التي لا يعلمها إلاه.

فلا! ليست مثل حرائق إسرائيل الحالية، إن كانت دون ترتيب منها، بعيدة عن أن تكون (علامة) على نقمة الله وغضبه من صنيع هؤلاء الكلاب المجرمين في حق الأذان بمنعهم المسلمين من إقامته.. علامة تطمئن بها قلوب المؤمنين أنهم على طريق دين الحق دون حاجة لأي رطانة أو تشويش أو انتظار لغضب (واجب على الله الرد به) على كل انتهاك واعتداء على المسلمين. هذه ليست عقيدة أهل السنة أصلا!

أما هؤلاء الذين ينكرون أي تدخل أو علامة إلهية، فمنهم محسنون تدخل مقاولاتنا معهم في إطار خلاف التأويل العادي.. وأكثرهم -وأنا أتحدث عن المثقفين الإسلاميين تحديدا- متأثرون باتجاه مادي صرف أثلته الثقافة الرائجة حاليا في هذه الطبقة.. من ترجمات ومقالات ورؤى غربية وإلحادية، تفسر وترد كل شيء لمحض العوامل المادية وحدها.. لقد تسرب إلى النفوس هذا الاشمئزاز المادي من أي حديث عن كل عامل أو تدخل إلهي.. وهذا واضح لا يعزب عن الفطن التقاطه في أحوالهم ومقالاتهم ومنشوراتهم وتشنيعهم الساخر المستهزئ من كل حديث عقدي عن النصر الإسلامي القادم لا محالة وما إلى ذلك.. وإن أنكر أكثر هؤلاء -كالمعتاد- أنهم كذلك!

إن الأمر بسيط لا يحتاج لجدل كبير.. إنما السبب الرئيسي لمثل هذا الذي جرى من أكثرية المنكرين أظنه أكبر من أن يكون مجرد خلاف تأويلي.. بل هو محض عقيدة داخلية بدأت تسطع تجلياتها من أفواههم في كل موقف ضد كل رؤية مستندة إلى تفاؤل أو تشاؤم غيبي..

كأن الله -تبعا للغرب- قد انعزل فعليا عن العالم ووقف يراقب صراعاته للأبد دون أدنى تدخل!

(نوفمبر 2016)

المصيبة، أن يأتينا بعد كل تلك السنوات من يقول: أرأيتم، ها قد صحت توقعات الرجل العبقري وتعليمات مدرسة شيكاغو نفذت!

يا رجل! فاجأتنا يا شهيد بولسين! أتقصد بالرجل بيركنز؟! أعتقد أن الإسلاميين كانوا من أوائل الناس حديثا في هذا الموضوع يا حبيبي! أنت فقط الجاهل بمجتمع الإسلاميين!

سأنقل لكم جزءا من حوار جرى في ملحق رئاسة الجمهورية بين الدكتور عصام الحداد فك الله أسره وبين مجموعة من الشباب كنت أحدهم في نهاية عام 2012، ود.عصام لا يجهله ويجهل قدره في مؤسسة الرئاسة أثناء عصر الإخوان أحد.

تحدث الدكتور وتحدثنا في عدة مواضيع، ثم تطرق إلى موضوع القرض والحديث حوله، في مواجهة كلامنا عن خطورته قال الدكتور مبتسما في هدوء: أدعوكم لقراءة كتاب جون بيركنز، قد قرأته وهو شديد الأهمية لإدراك ما يريدونه بالقرض.. ثم تابع عندما رأى الفهم في الأعين: أنتم قرأتم كتاب جون بيركنز بالطبع -هززنا رأسنا إيجابا فلا أحسب جالسا من الشباب لم يقرأه- ثم تابع: أدرك ما يريدونه بهذا القرض، ولن نمكنهم من هذا.

هذا كان في نهاية 2012! الكتاب وفكرة الإخضاع لمدرسة شيكاغو كانت حاضرة على أعلى مستويات الإسلاميين وسياسييهم قبل أن يفكر بعض هؤلاء المتبجحين تفاخرا في عمل حساب على مواقع التواصل حتى، ومع ذلك لم نتحدث يوما أن هذا هو لب الصراع، الاقتصاد، بل في نفس المجلس قلت لهم: **أنتم إخوان يا دكتور.. سينظرون إليكم هكذا ولن يغيروا نظرتهم ضدكم، من هم هؤلاء الغربيون السعداء بكم؟!** -وكان هذا غمزا لخالد القزاز سكرتير الرئاسة الإخواني الذي قال في أول المجلس أن أوباما والاتحاد الأوروبي سعداء بوجودهم!

أما عن ترشيحات أبي البخاري وغيره للكتاب ولقراءته لأهمية إدراك هذا (الجانب الخطير) من الصراع فلا تحتاج لتعريف وتنويه!

لكن الفارق يا إخواننا كبير، بين صراع نعتبر (الاقتصاد) أحد أهم جوانبه وهو نوع من الحرب الدينية (القارونية) بالنسبة لنا، وبين أناس يتحدثون كاليساريين ليلا ونهارا ويصنعون ما صنعه السخفاء في الستينيات من أسلمة الماركسية وتطبيق كل أفكار المادية التاريخية على عصر النبي وصحابته مستدلين بذلك على أن الصراع اقتصادي أصلا ثم ديني فرعا! لا ليس الأمر كذلك مهما نخروا، وهذه ماركسية مادية في تفسير العالم والتاريخ والواقع مهما نخروا!

(نوفمبر 2016)

"قلل الماركسيون من شأن الأهمية الحاسمة للقومية وللدولة وللحرب ولتوازن القوة والقانون الدولي والدبلوماسية بالنسبة لبنية السياسة العالمية... بالنسبة لآخرين تقدم عودة سياسة الأمن القومي منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ويرافقها أهمية الدين في القضايا الدولية تذكرة على أن الماركسية لم تلم سوى بالقليل من معظم الوقائع الأساسية للسياسة الدولية... ويسلم العديد من الماركسيين في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين أن الاقتراب الماركسي لم يدرك أهمية الدولة-الأمة والعنف في العالم الحديث إلا بدرجة محدودة"

قائل الكلام السابق هو المفكر وأستاذ العلوم السياسية الكبير أندرو لينكليتر في الفصل الخاص به عن الماركسية في كتاب نظريات العلاقات الدولية.. ولمن لا يعرف من هو لينكليتر: هو أحد كبار مفكري المدرسة الدولية النقدية في الربع قرن الأخير.. ولمن لا يعرف المدرسة الدولية النقدية: هي امتداد معاصر لمدرسة فرانكفورت التي كانت تطويرا لليسار نحو رؤية عالمية أكثر عمقا وصلت لحد الباطنية في التفسير، نعرفها نحن باسم (مدرسة المسيري) بالرغم أن الأستاذ كتب في نفس مواضيع هذه المدرسة تقريبا وبصورة متزامنة (التسعينيات وأوائل الألفية) دون إشارة صريحة لها -فيما قرأت له!

إن النظرية الماركسية القديمة فاشلة في التفسيرات العامة بلا جدال، إنما الجدال هو عن النظريات المطورة والمنبثقة عن اليسار البائس البائد، والتي عليها مراجعات ومؤاخذات كبيرة أخرى سواء من المدرسة الليبرالية أو الأيدولوجية أو الواقعية (بكل أنواعها) وبالطبع المدرسة الإسلامية التي نؤمن بها والتي تسلط الضوء بصورة كبيرة على النوازع الإنسانية الطبيعية مثل الواقعية وفي نفس الوقت تتلاشى أسلوب الواقعية في المعالجة البراجماتية المحضة!

أن يجيئنا شخص يجعل معركة الأمة الرئيسية -لا الفرعية- هي الشركات العالمية، ومكدونالدز مرة وربما الجيمس مرة أخرى، فهذه نظرية عتيقة أبدت الأيام سخافتها وعجزها عن تقديم تفسير كامل مقنع للأحداث العالمية.

"ليس هناك نظرية بمفردها تستطيع التعرف على جميع الأبنية والديناميات الرئيسية للعلاقات الدولية أو تفسيرها أو فهمها" -مقدمة بورتشيل ولينكلتر.

(نوفمبر 2016)

الخطاب المادي اليساري زاد بؤسا على بؤس تلك الأيام، خطاب غارق في اختزال كل شيء وخفض كل العناصر لصالح مركز ماركسي واحد: الاقتصاد! كل شيء في العالم يدور حوله ومنه وإليه!

ما زال هؤلاء يحدثونكم أن الانقلاب في مصر وسياسات أمريكا في الشرق وروسيا والصين وبشار وإيران وآل سعود: كلها صراعات اقتصاد أولا، ثم -إن كان ثم- صراعات أخرى هامشية تابعة لا متبوعة!

هذا الخطاب الاختزالي الذي يعيبه على اليساريين أغلب علماء السياسة المخالفون والذي حاول يساريو القرن الماضي إثرائه وتطويره وإزالة اختزاله وسطحية تعميماته: ما زال مسموعا!

ما زلنا نجد هذا الظريف يؤكد أن الانقلاب في مصر فقط حدث لتطبيق أفكار مدرسة شيكاغو وفريدمان والمنظومة العالمية الحالية (التي انهارت بالمناسبة وهي في طور تشكل جديد)!

أن الانقلاب في مصر لن يهدمه إلا هدم الكوربوقراطية! دعوكم ممن يصبغون الصراع بالدين إنما الصراع (إنسانوي) ابن المصالح!

خطاب بائس فقير اختزالي ومع ذلك يصبغ أصحابه باستعلاء مقيت مقزز وإيمان عقائدي واضح للأعمى!

ثم إن من هؤلاء، كثر كثر، إسلاميون!!

الفصل السادس: إسلاموطوبيا السلفية

لا شك أن من يعرفني ويتابع ما أكتبه من مقالات سيعلم أكثر أفكار هذا الفصل، فتلك البنية وآلياتها في التخذيل تحدثت عنها كثيرا منذ عام 2014 بصورة منتظمة، وفي مقالات متعددة أكثرها نشر قبلا في كتاب النثار عام 2015[1].

إنني مؤمن منذ تابعت تفاعلات هؤلاء مع بعضهم البعض ومع مخالفيهم ومحبيهم أن هذا تجسيد جديد للبنية السلفية التنظيمية المصرية والخليجية المعروفة: شيخ أب (بابا الشيخ) يحنو على تلاميذه أحيانا ويقسو عليهم أحيانا أخرى – تلاميذ متعلقون نفسيا بشيخهم لدرجة الجنون ولديهم كل الصفات المعروفة لجماهير التنظيمات الشمولية (سأتحدث عنها في الفصل القادم) – مخالفون للشيخ يتلقون طوال الوقت السب والتحقير والاتهام بقلة العلم وانعدام الفهم وسوء الأدب والحقد – موافقون للشيخ لكنهم لا يندرجون تحت قائمة تلاميذه فيقوم باستخدامهم كدعامات وامتدادات للنسق. إن بابا الشيخ هنا ليس فردا، إنما (مجموعة) من (طلبة العلم) أطلقت عليهم (غيتو النسق) يمارسون كل ما سبق بصورة منتظمة للغاية[2].

لقد كان واضحا أن كافة المحتوى السلفي العلموي التقليدي يعاد إنتاجه مرة أخرى لكن في حلة جديدة: التمجيد في الاعتزال واحتقار الواقع – احتقار الفكر الإسلامي وطعن المفكرين والمثقفين الإسلاميين – العداء الكبير مع الحركات الجهادية – استخدام بعض التفسيرات الحديثية وسير العلماء لترسيخ تصور داخلي أن الإنسان إما طالب للعلم وإما منشغل بالسياسة والواقع – مركزية مفهوم التغلب السياسي ونقله الصامت إلى خانة العقيدة – اتهام المظلوم الثائر بأنه السبب في الخراب – الاكتفاء بلمز خفيف ضعيف في الحكام المتجبرين[3].

في وقت مبكر كان الكثير يتساءل: لمَ؟ لمَ الهجوم عليهم؟ إنهم في النهاية همل لا يذكر والنسق السلفي بشكل عام محتقر في اللعبة العالمية الكبرى بين الأطراف المتصارعة، باعتباره نمطا آخر من الصوفية الانهزامية الانعزالية وفائدته الوحيدة هو الاستخدام الوظيفي من قبل الحكام. لم يكن إلا قلة يفهمون جيدا خطورة تحرك هذا النسق وإعادة بناء نفسه بصورة جديدة متنكرة ومهاجمة (للموقف) السلفي القديم ومنهجيته للعمل الفقهي مما يكسبه شرعية الوجود على اعتبار أنه حركة معارضة ثورية ضد السلفية البائدة. لقد انبهر الكثيرون بهذه المعارضة ومجدوا في الضباع التي صورت نفسها جماعة من الليوث تهدم القديم كله برؤية متسعة الأفق وادعاء لا يتوقف بسعة العلم الخيالية! بينما الأطروحات السياسية التي ينتجونها لا تكاد تنحرف قيد أنملة عن آراء الشيخ الألباني ومواقفه القديمة من الجهاد البوسنوي على سبيل المثال، حين كان يرى أنه إما أن يكون الجهاد من أجل دولة إسلامية كاملة أو لا، وبما أن الجهاد البوسنوي لن يقيم دولة إسلامية نموذجية مثالية؛ فكل الذين يهاجرون للقتال هناك باسم الدفاع عن حرمات المسلمين وأعراضهم جماعات تجلب الخراب على المسلمين! وكذلك لا تنحرف لحظة عن مواقف الشيخين ابن باز والعثيمين وهما من تحدثا عن (العلم) كوسيلة لصرف نشاط وهمم الشباب عن (منازعة أولي الأمر) والحديث في السياسة!

---

1) وقد استخدمت مقاربة مخالفة لمقاربة الأستاذ يحيى رفاعي سرور -المتمكن في استخدام المنهج النفسي (مع أثر بنيوي) في تحليل خطاب هؤلاء الناس- أو المقاربة النقدية للأستاذ أحمد مولانا.

2) ومن الواضح التماثل الكبير مع التركيب الصوفي لكن هذا خارج موضوعنا الحالي.

3) كل هذه المحتويات ستجد مناقشة عنها وعن أصولها في ملحق المقالات الكبير لهذا الفصل، فلا داعي لتكرار الحديث عنها دفعا للملل.

وطبعا بالإضافة لرؤية الشيخ الحويني المتصلبة عن رفض اشتغال طالب العلم بالسياسة أو العمل فيها، وضرورة وجود (طبقة علمية) وصائية تزجر وتؤدب الطلاب والعوام بصورة دائمة، وآراء الشيخ المقدم الشاملة عن دور (السلفيين) الوصائي والاستعلائي في الحركة الإسلامية[1]. إن كل هذا قد اجتمع في البنية السلفية الجديدة واختلف فقط منهج عملهم الفقهي؛ فظن من يقبلون الخداع أنهم أمام إصلاح ثوري جديد مخالف للقديم!

لقد تحدث الكثيرون قبلا عن هذا النموذج الخطير، فتجد الدكتور مصطفى حجازي يتحدث عن أن مثل هذه النماذج هي استمرار للأدب السلطاني المقيت، حيث السلطان هو الأب والرعية أبناء يذكرون كموضوع لا كذات وبصورة استثنائية استعلائية، وشرفاء الرعية هم المتمحورون حول السلطان، وهم فقط من يمكن قبول التقسيم داخلهم كحاشية: الأشراف – الفقهاء – أشياخ البلد والفضلاء وأصحاب الحرب. أما كل ما لا يتمحور حول السلطان فهو من طبقة (الدهماء) الشعبية المستحقرة. يطلق الدكتور حجازي على هذا النموذج (قتل الأب للأبناء) نقيضا للنموذج الغربي (قتل الأبناء للأب)[2] محذرا من خطورة ذلك وسببه في ركود التاريخ. وتتبدى ميزة تلك الرؤية في التأكيد على التأثير الممتد للنموذج المترسخ في مجتمعات الريع والخراج العالمثالثية وأنظمة السلطنة/المملكة/الإمارة الاستبدادية: أنظمة الخليج مصدر (الحركة) السلفية، إن هذه المنظومات السلطانية الأبوية **تدخل في اللا وعي الثقافي الجماعي لكل من الحاكم والمحكوم سواء بسواء**[3] وبالتالي فليس من المستغرب إطلاقا أن يتجدد النسق السلفي بصورة دائمة بنفس التكوين السلطاني العتيد: (سلطان:شيخ)، حاشية (غيتو) فيه فقهاء ومحدثين وحاليا أدباء وبعض المثقفين المتصالحين مع تلك المنظومة، وعوام دهماء لابد من الضرب على أيديهم طوال الوقت زجرا عن (إزعاج) السلطنة/المشيخة.

والطبيعة الراكدة في هذا النموذج تكره التغيير المجتمعي والبنيوي بشكل عام إلا إذا كان في صالح ذاك النموذج، لهذا يكثر استجلاب أمثلة تاريخية عن (ذاك العصر الطوبوي السعيد) حين كان الحكام يحترمون الفقهاء والفقهاء يقبضون بأيدٍ من حديد على العوام ويوجهونهم كيلا يقوموا بالهياج وتخريب البلاد! قد يظن البعض أن هذا مما يتشابه فيه النسق السلفي السلطاني مع النسق الأشعري الجديد، لكن يجب أن تنتبه لفارق غير بسيط بين هذا وذاك: أن السلفية بطبيعتها معادية لعلم الكلام وكل ما يعمل العقلية النقدية والفلسفية في المسائل الأنطولوجية –فما بالك بالفكر السياسي الذي حتى لا يبلغ مرتبة الحديث عن المسائل الإلهية؟! الفكر الأشعري بشكل عام أكثر قبولا للامتدادت الفكرية؛ ولا يعني هذا لحظة أنه أكثر تميزا وقبولا للفكر السياسي في الواقع الحالي! بل بكل أسف نجد العكس! التحجر الأشعري عندما تفكك في نهايات القرن الماضي صار المدرسة الفودية التي لا عدو لها في العالم إلا ابن تيمية والتي لا قضية لها إلا بعث المسائل الأنطولوجية والكلامية البائدة!![4] بل ستكون من المبالغة أصلا الحديث عن مساهمة أشعرية في الفكر الإسلامي السياسي والمعرفي المعاصر، وما عند السلفيين من شر في هذا الاتجاه عند الأشاعرة المعاصرين أضعافه!

ومتى تشكلت البنية السلفية (السلطانية) في أي جو سياسي؛ يصبح المطلوب هو (الاستقرار) ويتحول كل من يسعى لهدم ذاك الواقع إلى خصم أو حتى عدو!

---

1) في ملحق المقالات عرض لكلام واضح للشيخ المقدم يؤكد هذه الصفات

2) د.مصطفى حجازي، علم النفس والعولمة: 101-105

3) السابق: 102-103

4) راجع بحث (المدرسة الفودية) الإلكتروني ولعله ينشر ورقيا عما قريب إن شاء الله.

لهذا كانت تلك السلفية في مرحلتها السعودية الصريحة في الثمانينيات **جبهة معاكسة ومفيدة ضد الحركات الراديكالية**[1] لأنها كانت تعني الدعوة المتصالحة –حتى في معارضتها- مع بقاء السلطة القائمة! أتذكر يوم الجمعة 28 يناير حينما اشتعلت الثورة المصرية، كنت أصلي في مسجد الشيخ سعيد عبدالعظيم وكنت أفضل الحضور عنده، حينها حذر الشيخ من الخروج مع الثورة لعدة أسباب كان منها (أننا في خير) ملمحا لمقارنة الواقع الموجود وحريات الدعوة السلفية حينها بالوضع الدموي الأحمر في الثمانينيات. لقد عاد الشيخ عن هذه الآراء وكان من خير الناس إخلاصا لهذه الثورة حتى دفع الثمن الثقيل، لكن تظل العبارات والمواقف ذات دلالات أكبر من الشيخ والأشخاص!

ينقل الدكتور مصطفى حجازي كذلك كلاما عن البنية البطركية (الأبوية) مقدما لنا –مرة أخرى- تفسيرا جيدا لهذه الحالة السلوكية: فإن لغتها **كارهة للحوار معتمدة على الإسماع والإخضاع لا الإقناع؛ فالرعية التي تسمع وتطيع لا يطلب منها سوى أن تكون آذانا صاغية أو مبهورة. أو ليس في علاقة الفوقية – التبعية ، وعلاقة الحماية – الطاعة والتأثيم – الرضوخ ، قتل للأبناء؟**[2]. هو يرى أن تلك البنية تقتل المستقبل، تقتل الفكر وتقتل الأبناء، وأنا لن أذهب لتعميمات الدكتور -والجابري من قبل- الزمانية والمكانية؛ بل سأذكر أن هذه التوصيفات تنطبق بصورة مذهلة على حالتنا ها هنا: النسق السلفي المعاصر. ولا يمكن تفسير شيوع الصياغات الأبوية في حديث رموزها (يا بني – يا ولد – أنت شاب مكافح – فيه طيش شباب – الزم غرسك يا صبي) إلا من الناحيتين النفسية والبنيوية: وإلا فسيصبح من المذهل وغير المفهوم أن تجد شابا ما زال في منتصف الثلاثينيات أو أواخر العشرينيات يتحدث بهذه الصياغات اللفظية لمن هم في أعماره وأحيانا لمن يفوقونه سنا! أنا لا أذهب مع القائلين على أن هذه دلالات خلل عقلي ونفسي في تكوينهم فقط، بل أعتقد أن البنية السلفية تستلزم منه تقمص حالة (بابا الشيخ) هذه وتفرض عليه هذا النموذج الخطابي الفوقي – الأبوي. من الخطير أن يكلمك بابا الشيخ باعتبارك ندا يدخل معه في سياق تداولي! هذا تدمير للنسق ومخاطرة كبرى أمام الرعية: فبابا الشيخ لابد أن يكون قويا قادرا على إثبات أنه ليس أبا عظيما من ضمن آباء عظماء آخرين؛ بل هو (الأب الأعظم) الذي يسعى الجميع لنيل بركة الدخول في حاشيته والذي يحسدهم الآخرون عليه! وهذا قد يفسر أيضا شيوع مخاطبة أتباع الشيخ وحاشيته لخصومه بطريقة مستعلية وفيها اتهام لهم بالحسد والحقد على (علم بابا الشيخ) الذي سحقهم وجعلهم لا يريدون إلا هدمه بالافتراءات والتشويهات!

كذلك تستلزم هذه البنية قدرا غير طبيعي من التعالم والادعاء! فإنني لن أسلم للشيخ بابا أنه أعظم الآباء جميعا إلا بطريقتين: فلو كنت ممن (تسلفنوا) بصورة كاملة ولا أقيّم أحدا إلا بالعلم الشرعي؛ فلن أسلم أنه أعظم الآباء إلا بادعائه التفرد والتميز الهائل العظيم في العلوم الشرعية. ولو كنت ممن يطلعون على الكتب الفكرية والثقافية واكتشفت الحقيقة وحجم العظمة الموجودة عند الآخرين فلن أسلم وقتها إلا إذا كان بابا الشيخ هو (أعلم الناس) بالثقافة والفكر! وقد رأينا أن النماذج الجديدة للنسق السلفي قد حرصت على معالجة هذه الإشكالية؛ فحتى بمجموع إمكاناتهم العقلية الفكرية التي تتفاوت في الضعف الفكري وعدم الإبداع: يقومون لا بولوج هذا المجال فقط؛ بل بهدمه وهدم السابقين والحاليين مقابل تلميع أنفسهم كمفكرين موسوعيين! إذن هم (علماء) عقيدة وفقه وحديث

---

1) رواء، عولمة الإسلام: 146.

2) علم النفس والعولمية: 106.

ولهم في كل باب سهم، وهم (مفكرون) كبار يكشفون تقزم الأفكار المنتشرة في الساحة التي يتنافسون بداخلها –الساحة الإسلامية- وعدم أصالتها وصحفيتها (ربما هذا يفسر الهوس بهدم رمز فكري مثل سيد قطب وتوضيح عدم أصالة أفكاره حتى قرأت بعضهم ينسبها لهيدجر!) وهم يفتون في كل أمر تقريبا! إن بابا الشيخ هو كل شيء والأعظم في كل شيء! رجال الغيتو مكتبة من الموسوعات الكاملة! هكذا يكون بابا الشيخ (أعلم أهل الأرض)!

دعني أذكر أنه في أعوام الصعود الإعلامي السلفي (العقد الأول من الألفية الجديدة) سمعت في مدينتي لأول مرة ذاك التعبير المخيف من أحد طلبة العلم السلفيين: الشيخ المقدم أعلم أهل الأرض! يمكن اعتبار هذه الجملة أول ما صدمني وجعلني أتفحص وأراقب تلك المنظومة السلفية المدهشة لسنوات، تلك البنية القادرة على إعادة تشكيل نفسها كل مرة بمحتوى فقهي جديد. إن عقدة (أعلم أهل الأرض) مفتاح فهم كل ما سبق!

وسيكون من غير المقبول تجاوز دور المجتمع الشبكي في صناعة ذلك النسق المتجدد؛ خاصة أن النسق هذه المرة قد بني بالكامل تقريبا عن طريق الشبكات الاجتماعية، وقد كانت هناك عدة أسباب للجوء إليها، منها الحالة العربية الملتهبة والتي صارت معادية للبروز الإعلامي الإسلامي والمتشككة في السلفيين حاليا بعد الدور الكبير الذي لعبوه في الثورات؛ إذ انتبه الأمريكان ومعهم رجالاتهم في المشرق أن (الوهابية) العقدية صارت المفرخة الجهادية الرئيسية بغض النظر عن البدايات المشيخية والنسقية! فيمكن أن يكون المرء من فرقة الجامية في يوم ما؛ لكن عقيدته الوهابية الداخلية توجهه في النهاية لمناصرة (داعش)! هذا خطير جدا كما ترى، ويظل النسق السلفي غير المستعلن العداء الصريح للمجاهدين، كبعض نماذج النسق السلفي المصري مثل الدعوة السلفية –قبل الثورة- والمشيخية العلمية الفردية مثل الحويني، أكثر خطورة في تصنيع المتطرفين بسبب خضوعها الظاهر. هذا كله يرسخ شكا عميقا من الجهات الأمنية الأمريكية في السماح بالتمدد السلفي مرة أخرى مثلما سبق. لن تكون هناك حالة الألفية الجديدة عما قريب: عديد القنوات وعشرات الألوف من الأتباع!

ومنها كذلك الغياب الواضح للقدرات الخطابية والكاريزمية التي امتلكها كثير من الرموز السابقين مثل الحويني. فنموذج الشيخ مسعد أنور الباهت كاريزميا لن يكون هو المثال النموذجي لبناء شخصية بابا الشيخ! فقدان الكاريزما والضعف الفكري الإبداعي يجعل من الشبكات حلا ممتازا، فالشبكات الاجتماعية، كما لاحظت توركل قبلا، تبني الذات وتبني قواعد التفاعل الاجتماعي. **فالإنسان في هذه الشبكات يبدع ذاته على نحو متواصل؛ فأنت ما تزعم أنك عليه، وهويتك على الحاسوب هي محصلة حضورك المشتت.. هويتك شديدة السيولة والتعدد**[1] وهذه الإمكانات الكبيرة التي توفرها الشبكات الاجتماعية لا يمكن أن يغيب عن بابا الشيخ صلاحيتها الهائلة في بناء الشخصية: هكذا صرنا نجد شخصا يصف نفسه -صراحة أو إقرارا- أول أمس أنه طالب علم وفجأة صار يصف نفسه بالأمس أنه عالم وصباح اليوم صار مجتهدا وربما يصبح في مسائنا مجددا للأمة! إن الشبكة تسمح بهذا الخبل. إنك لن تكون عالما أبدا إلا إذا قررت على الشبكة أنك عالم إقرارا أو تصريحا! الشبكة تسمح باختزال العملية التي كانت تأخذ عقودا في السابق إلى أعوام قليلة بل ربما شهور! ضف إلى ذلك طبعا أن التزكيات المتبادلة (أعلم أهل الأرض) (أكثر أهل مصر فقها) (فحل الأصول) (وحش الحديث) (تنين العقيدة) تعمل عملها في بناء النسق وبناء الغيتو!

1) دارن بارني، المجتمع الشبكي: 188.

لقد أشار نقاد الشبكة دائمًا إلى أن أحد أبرز عيوبها هو الانتشار السريع للجماعات ذات المصالح المشخصنة مما يعرض الجماعات ذات المصالح العامة إلى التفكك والزوال[1] ولأن بابا الشيخ لا يعتبر سوى مصلحته الشخصية في البروز والتملك للسيطرة على هياج العوام والدهماء والوصاية على الحالة الشرعية السياسية؛ فإنه يكون جماعة مصالح تتماهي فيها حفظ هيبته الشخصية مع حفظ الشريعة!

و تزود الشبكات النسق بأحد أهم خامات العمل المطلوب: الروح الفردانية[2]. إن النسق لا يقود قطيعا منظما بصورة هندسية ولا أحسب رموزه يفكرون في عمل تنظيمي أيا كان نوعه؛ بل إن عملهم الرئيس هو إشاعة التخاذل والاستسلام والانصراف عن كل الجماعات الموجودة في الساحة، وهذا تأثيره بالشبكة الناعمة أضعاف تأثيره بالتنظيم الهرمي السلطوي الصريح والقائم على الأوامر. إن الانصراف الصحيح لن يكون بالشيطنة دائما، إنما بإشاعة روح الفرد المطيع للغيتو. الفرد المطيع للسطان/بابا الشيخ وحاشيته والعارف المستسلم لكونه عاميا جاهلا من الخطير ترك نفسه لخيالاته أو اتباع (المخربين) الجهال من المفكرين والمثقفين أو المتعالمين الذين لا يملكون علم الشيخ الموسوعي! ألم يلج بابا الشيخ مجالهم الفكري والثقافي فدمرهم وفضحهم وكشف جهلهم وانعدام فقههم؟ ألم يسُد هذه الساحة بسهولة؟ لقد نجح السلطان في غزوته ودمر معاقل الأعداء وهزمهم هزيمة منكرة! فلأقم أنا كفرد بترك هذه الساحة للشيخ ولأهتم وأنشغل بنفسي!

وهنا يتبدى تشابه آخر بين الصوفية الوظيفية وتلك السلفية: فبينما الصوفية الجديدة تتبنى **إعادة الصياغة الدينية ولهجة الدعوة إلى الأخلاق والرجوع إلى الخلاص**[3] تقوم سلفية ذاك النسق على إضافة مفهوم الانشغال العلمي البحت بالإضافة لذلك؛ أما انشغالك السياسي فخطيئة لابد أن تتخلص منها فأنت لا تفقه ما يكفي من الواقع أو الشريعة! وقد لوحظ قبلا تلك النزعة العلموية (البدائية) عند الفلاسفة اليونانيين القدماء لنشر مفهوم وجوب (التحرر) من العمل السياسي والإيمان بالتعارض بين العمل الأكاديمي العلموي والانشغال بالعمل العام والسياسي[4]. وهذا المفهوم فوق (بداوته) كان ملائما لفلاسفة الأنطولوجيا واللاهوت الأقدمين أكثر من المفكرين وطلبة العلم السلفيين المعاصرين والمشغولين –افتراضا- بالإصلاح المجتمعي والمعرفي!

ومن الأسباب المهمة كذلك في اللجوء إلى الشبكة: الغياب شبه الكامل للجمهور والسياسيين الإسلاميين الثوريين والجهاديين خاصة بعد هزائم مصر واليمن وسوريا وموت عشرات الآلاف وتغييب عشرات الآلاف الآخرين في المعتقلات. إن الساحة الشبكية تفرغت من الرموز الكثيرة والمتنوعة والقوية خطابيا كما الساحة الواقعية. والجمهور المتبقي بعد (تغييب) أو (موت) عشرات الآلاف من جماهير الشبكات في السنوات الماضية أغلبه جمهور (صالح للعمل عليه) من كافة الجهات!

لقد كانت الشبكة ناجحة في بناء النسق السلفي، وغلق الغيتو مفهوم جدا في كل سياق، وقد قام فيبر بتقديم عامل **زيادة الهيبة الاجتماعية** على باقي عوامل الانغلاق النسقي[5]. ولا يعني غلق الغيتو هنا أنه مغلق أبدا، بل هو مفتوح لكن فقط لمن أثبت كفاءة وتقربا كافيا للارتقاء من العوام الدهماء أو المتعالمين إلى الحاشية!

---

1) المجتمع الشبكي: 199.

2) السابق: 204.

3) عولمة الإسلام: 134.

4) حنة أرندت، ما السياسة؟: 53.

5) ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع: 83.

يجب التنبه بعد كل هذا لأن في صفات المجتمع الشبكي ثغرات تهدد النسق بصورة دائمة: فإن الجماعة المفترضة المتكونة حول الغيتو طوعيا يسهل عليها التراجع المفاجئ وغير المكلِّف عن هذا الدعم الكبير! أينعم للتبعية الطوعية فائدة هائلة لأنها تجعل الجماعة المتكونة **تحمل معنى أكثر من غيرها من الجماعات**[1] وهذا مهم لأنه يعني أن صاحب الولاء سيكون عبدا طوعيا للشيخ. لكن هذا الولاء له مشاكله، فالولاء بلغة الشبكة يمكن أن ينتهي (بحظر) مفاجئ لصاحبه! أتذكر أمثلة عديدة على ذلك لأناس كانوا يهاجمون منتقدي أشياخهم كثيرا من قبل ثم لما (حظرهم) بابا الشيخ ومنع وصولهم إلى صفحته، انقلبوا عليه! إن هذا الانقلاب المفاجئ والغريب في الولاءات يصعب أن يحدث في الواقع بهذا الشكل لكن المجتمع الشبكي ييسر ذلك، ومثل هؤلاء في الحقيقة ضررهم كبير، لأن التجارب المتكررة جعلتنا نشاهد كيف أن تطبعهم النفسي بالنسق يجعلهم يبحثون عن بنية سلفية علمية جديدة ثورة على الماضية ولا يهدأون إلا إذا وجدوها! لقد انقلبوا على الأسماء لا البنى!

إن مخاطرة هذه البنية السلفية، فوق روحها العدائية لرموز التيار الإسلامي سعيا للوصاية على المسلمين وحركاتهم، يتم استخدامها دائما ضد الحركات (الراديكالية/المتطرفة/الإرهابية) كما ذكرنا قبلا. فالبنية نفسها حتى بدون استخدام توظيفي من الحكام، تشعر على أقل الأحوال بالقلق من هذه الحركات التغيرية عامة والجهادية خاصة. فهي حركات لم تعتد احترامهم أصلا بأي شكل من الأشكال، ولا تعترف بهم ولا تعتبرهم سوى نموذج أكثر وضاعة من فقهاء السلاطين المسلمين. والخطورة الرئيسية في الحركة الجهادية ليست أنها قائمة على تدمير واقع الجور والظلم الذي يعيش فيه النسق ولا يكاد يحيا إلا بداخله فقط (منذ فتن الدولة الأموية إلا قليلا ونموذج الدولة الجائرة التي يتعايش معها العلماء هو المسيطر) فالنسق لا ينظر إلى واقع دول الجور والظلم والطغيان التراثي والممتد إلا على أساس أنه مطلق دائم، وبالتالي يجب وجود هذه البنية العلمية السلطانية بصورة مطلقة ودائمة، لذا فليس من المستغرب إطلاقا أن أجد في كتابات بعض أكثر رموز هذا النسق ثقافة، سعيا دائما لوصف الفكر الثوري على أنه امتداد (أعجمي) أوروبي غريب! فما معنى الثورة في الإسلام؟!

بل خطورة تلك الحركات الرئيسية أنها تسعى في قتل الأب! إن بابا الشيخ لا يستطيع المغامرة أبدا برحلته إلى مواطن الثغور المخوفة بينما هذه الحركات لا تكاد تحترم أحدا ليس مناصرا لمن في الثغور! هذه العقدة النفسية الداخلية المتكونة من العجز النفسي عن اللحوق بمثل تلك الأماكن والمشاركة في الحراك القتالي أحد أبرز مواطن الضعف في النسق: فالفقهاء السلف كانت أمتهم في أوضاع أكثر أريحية ومع ذلك كان الآلاف منهم يشارك في الجهاد أو حتى في حراك أمته بصورة أو بأخرى! فكيف تدعي أنك الامتداد الأوحد للفقهاء والعلماء المتقدمين ثم يكون همك حاليا هو تشويه كل من يقوم بالجهاد أو حتى الثورة؟! حل هذا كثيرا ما يكون بتقديم إسلاموطوبيا مستقبلية: سنشارك عندما تكون هناك دولة إسلام كاملة – سنشارك عندما تكون كل الفضائل نموذجا مثاليا / أو بتقديم إسلاموطوبيا حالية عن الحياة العلمية الدعوية التي يجب العيش فيها وترك الانشغال بمشاكل الأمة انشغالا (أكثر من اللازم)!

هذه الأيدولوجيا الجزئية، التي تخرج من مركز معرفي مشترك، لديها في الممارسات تناقضات فجة؛ بوعي أو بدون وعي: فعند إرادة التقارب مع الآخر يتسع الفقه ليشمل آلاف الآراء. وعند إرادة التمايز الحاد مع الحركات الجهادية أو الحركات الإسلامية عموما

---

1) المجتمع الشبكي: 198.

ينكمش الفقه فجأة ليصير عشر صفحات فقط، من خرج منها كان ضالا! وأغلب الرؤى الناقدة لرموز هذه المدرسة قائمة أساسا على جمع هذه التناقضات الفجة. وهذا أسلوب مختلف عن التوصيف النفسي أو البنيوي ومفيد جدا في حالات كثيرة.

النسق بالتالي يلعب دورا هائلا في إخضاع التابع وقولبته في إطار يبتعد به بصورة آلية عن القضايا الكبرى التي يكون بابا الشيخ قادرا على التعامل معها؛ ويلعب دورا ضخما في إشاعة أجواء التخذيل عن الجهاد ولو باللسان بتلميع البديل العلموي المريح وجعله لا مجرد (البديل المتاح) عن المشاركة في الدفع عن المسلمين ولا حتى (جزء من المشاركة في الدفع عن المسلمين) بل يجعله هو النموذج الأسمى من كل الآخرين والأعلى مكانة في مجتمع المسلمين والحركات الإسلامية، فضلا بالتأكيد عن مشاركة جزء كبير من رموز النسق في تشويه كل الحركات الإسلامية والجهادية وجعلها سخيفة جاهلة تافهة يجب تقويمها بعصا (العالم/النموذج)، أو بابا الشيخ!

ملحق المقالات

(أبريل 2014)

يقول د.المُقدِّم عن علاقة التيار السلفي بالسياسة أن **"من أعظم وظائف الدولة الإسلامية - وظيفة حراسة الدين؛ ثم سياسة الدنيا بالدين.. وحراسة الدين تكون بأساليب كثيرة جدا - والتيار الوحيد الذي يستحق بكل جدارة أن يؤتمن على حراسة الدين وحراسة الشريعة هو التيار السلفي، ولا أقول ذلك تعصبا، ولكن إقرارا بالوضع القائم"** وهذا التيار السلفي له نسق يقوده غيتو الفقهاء ولا يجرؤ حتى أتباع الغيتو بداخل النسق من طلبة العلم أن يشاركوهم تلك السياسة والحراسة! فالأكيد أنه حتى طلبة العلم غير مؤهلين ذلك لأن هذه الأمور تماما **"ليس بطلبة العلم من أمثالنا -ولكن بعلمائنا الجبال الكبار الذين ما زال تراثهم يهدينا ويرشدنا وينفعنا, من علمائنا الأحياء أو الأموات رحمهم الله تعالى"** وبالتالي فلا يوجد على الساحة العالمية غير النسق المغلق؛ بل لا يوجد على الساحة غير مخ النسق (غيتو الفقهاء القائد) هو الذي يحفظ الدين ويحرس المفاهيم ويتحدث في السياسة!

ووظائف هذا الغيتو كبيرة، أهمها وأبرزها قيادة النسق ليؤدي دوره كالتروس المنضبطة لحماية دين الإسلام -وهي أدوار كثيرة ومتنوعة لحماية الدين**"فالتيار السلفي هو الوحيد المؤهل لأن يقوم بوظيفة حراسة الدين، وصيانة الشريعة من التحريف, وتنقيتها من البدع والشركيات، وحماية وبعث التراث الإسلامي, والدفاع عن العقيدة السلفية, وتصحيح عقائد الناس, واتباع الدليل في القضايا الفقهية، ونبذ التقليد والتعصب المذهبي, ونشر العلم الشرعي, وإقامة الحجة على خلق الله, وصيانة المفاهيم الإسلامية من أي تحريف تحت ضغط العولمة أو تحت ضغط الأمر الواقع".**

ود.المقدِّم يعيد التأكيد مرة أخرى أنه **"لا يوجد أي تيار من التيارات الإسلامية على مستوى العالم مؤهل لأن يقوم بهذه المهمة سوى التيار السلفي، فالوظيفة الأساسية للدعوة السلفية هي حراسة الدين, وصيانة المفاهيم من أن تتزلزل في عصر زلزلة الثوابت"** وهذه الزلزلة خطيرة ومرعبة لأننا **"الآن في فتن يصبح فيها الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، زمن تضطرب فيه المفاهيم, والأمور التي كانت غير قابلة للنقاش أصبحت قابلة للنقاش بسبب كثرة الإلحاح عليها وتكرارها من الفضائيات من جهة، ومن التبشير النصراني من جهة، ومن الشيعة من جهة، ومن الصوفية من جهة، ومن العلمانيين من جهة، ومن أعداء الإسلام في الغرب من جهة، فالسهام تتكالب علينا من كل جانب، فأصبحت مهمة صيانة المفاهيم من التغيير من أعظم المهمات؛ ليبقى الإسلام محفوظا".**

وكل ما سبق مقدمة مقبولة رغم تعصبها وانغلاقها وبنائها للنسق واعتباره هو الحق ودونه مجاهيل ضعاف لا يستحقون هذا الشرف العظيم المتمثل في حفظ المفاهيم وصيانة الدين.. لكن ما سيترتب على تلك المقدمة هو الخطير!

فيقول سريعا أنه **"لا يليق بالدعوة السلفية في الأوضاع الحالية أن تلبس ثوب الدخول في الاتجاه البرلماني؛ لأن هذا الدخول لا بد فيه من ضريبة الدفع، فلا بد أن تقول في قضايا المرأة كذا، وفي القضايا الطائفية تقول كذا، وقضايا الولاء والبراء تلغيها تماما من القاموس, وقضية التوحيد والشرك والبدع"** أي أن الدعوة السلفية، والتي كانت ولازالت ترى نفسها وكيلة النسق في مصر ويراها المداخلة الجدد فقدت حقها في الوكالة ليرثوها هم -ترفض الدخول في البرلمانات والمشاركة السياسية الماضية لأنه حتما ستفقد الدين، واللعبة محكومة جدا **"فلابد من عملية تقليم أظافر حتى يسمح لك بالدخول في حلبة اللعبة السياسية، فاللعبة السياسية لها ثمن, والدعوة السلفية بالذات لا يصلح أن تدفع هذا الثمن, ويوم أن يكون هناك ضمانات أنها لن تدفع هذا الثمن فهذه قضية أخرى, لكن الواقع الأليم يشهد بالتنازلات التي تتم من رموز كبيرة جدا على مستوى العالم, وللأسف الشديد نسمع تصريحات تدع الحليم حيرانا من شدة شذوذها عن كلام أهل العلم، بل عن مسائل الإجماع, فلا يستطيع أن يتأهل لهذه الوظيفة -وهي حراسة الدين وصيانته من البدع ومن الشركيات ومن الانحرافات ليصل للأجيال المقبلة نقيا من هذه الانحرافات- سوى التيار السلفي على مستوى العالم كله".**

إذن ما فهمناه من الكلام السابق كله أن وظيفتهم كحراس للمفاهيم يقتضي منهم رفض التعامل مع الواقع السياسي المرسوم بدقَّة بأي نوع فيه استسلام عقدي.. ويبدو واضحا من الوهلة الأولى أن هذا الرفض مؤقت بسبب الأوضاع السياسية.. لكن الثقيل لم يأت بعد!

إذا كان د.المقدِّم قد بدأ بمقدمة تشرح النسق وظيفته وتكوينه وواجباته التي فرضها على نفسه؛ ثم بعد ذلك شرح سبب رفض النسق للدخول في السياسة بصورتها الحالية (وهو ما قد يُفهم منه أنه يقبل بعد ذلك إن تحسنت الظروف) فإنه كان لابد أن ينتقل للشرح الواضح الصريح جدا لعلاقة النسق السلفي بالسياسة.. حيث يقول أن **"التيار السلفي نظرته لقضية الحكم نظرة معتدلة، التيار السلفي يرى أن الواجب في كل مرحلة هو ما يستطاع في تلك المرحلة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها"** إذن هنا يُقرر قاعدة عامَّة للنسق السلفي، وهو أنه لا يُحرِّك إنما يتحرَّك في قدر المتاح! مفعول به دائما وأبدا! فلا هو يشارك الأمة في محاولات التغيير ولا ينوي أن يُغيِّر أصلا! يُغيِّر ماذا؟ يُغيِّر الحُكم؟ هذا هوس قطبي ومودودي لأنه **"نظرية أن الحكم غاية في حد ذاتها هذه نظرية غير دقيقة، فبعض الكتاب مثل سيد قطب رحمه الله أو المودودي رحمه الله وغيرهما كانوا يتكلمون دائما على موضوع الحكم الإسلامي، وكأن الحكم الإسلامي نظارة لابسها على عينيه(!) ومن خلالها يفسر**

كل القرآن الكريم كما في الظلال، فيجعل قضية الحكم هي القضية المحورية حتى قال المودودي: **إن الغاية من بعثة الأنبياء هي إقامة الحكومة الإسلامية"** إذن قضية الحكم والسلطة بالنسبة للتيار السلفي نظرية لا تُمثِّل تلك القضية الكبيرة التي حاول الأستاذان الإيحاء بأهميتها! وقد شطحا حتى **"تجاوز المودودي رحمه الله تعالى إلى قوله: إن من الأنبياء من نجح في إقامة الحكومة الإسلامية ومنهم من كذا! وكبرت كلمة، فالأنبياء لا يوصفون بالفشل"**.. إذن ليست الحكومة وليس الحكم وليست السلطة من شواغل النسق السلفي.. مسألة السلطة ليست سوى هوَس من قطب أو المودودي لأن **"الواجب أن تبلغ الحق، فمن الأنبياء من يأتي يوم القيامة ومعه واحد فقط، ومن الأنبياء من يأتي ومعه اثنان استجابا له، ومنهم من يأتي وليس معه أحد، فالمسألة أنك تبلغ الحق وتؤدي ما عليك بغض النظر عن النتيجة، فقضية الحاكمية هي جزء من قضية التوحيد، وليست كل القضية"** وبرغم أنها جزء من العقيدة إلا أنك كمسلم لست مطالب بالهوس بالسعي إليها كما أوحى قطب والمودودي! ثم يجيء وقت تشويه طرحهما بصورة أشد عن طريق وصمه بالطريقة التي تخيف النسق السلفي دائما: اللصق بالشيعة! **"الإمامة أو الحكم هي القضية الجوهرية عند الشيعة أساسا؛ فالإمامة عند الشيعة صلب الدين، بل يوجبونها على الله، ويعتقدون أنه يجب على الله ألا يترك الأمة إلا بإمام، وهذا تأثر بالمنهج الاعتزالي الضال"** هكذا! وُصمت القضية كلها بالبعبع الأول الذي يثير الذعر في النسق السلفي: الشيعة.. ثم زاده د.المقدِّم وصما بالبعبع الميت الحاضر الذي يخيف النسق السلفي: الإعتزال! كبار المبتدعة!

ويبدأ د.المقدِّم في تذويب التصور الإدراكي لقضية الحاكمية والإمامة فيقول عن معتقدهم كنسق سلفي (وبالتالي كأهل سنة وجماعة!) **"أما نحن فنقول: وجوبه على الأمة وليس على الله سبحانه وتعالى كما يدعي المعتزلة والإمامية، فنظرتنا للحكم أشمل وأوسع"** هكذا ذابت الحاكميَّة بتوسيع مفهومها وإذابة مصطلحها.. والإذابة تتم بوضع تعريف مطاط غير مفهوم هو (الأشمل والأوسع!) ويحاول تفسير الغموض بغموض أشد فيقول **"في كتب أصول الفقه في بحث الحكم يذكرون الحكم والحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه إلى آخر هذه الأقسام, فالحكم في الشرع الإسلامي يشمل الحكم بما أنزل الله على نطاق الأفراد وعلى نطاق الجماعات, فيجب الالتزام بشرع الله سبحانه وتعالى ما أمكن، فإذا لم نعش تحت ظل من يحكمنا بالشرع بصورة كاملة ففي هذا الحال نحن ملزمون بأن نمتثل قوله وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن:16]، فأت بما استطعت مما كلفك الله تبارك وتعالى، فإذا فشلنا في إقامة الحكم أو صار ذلك عسيرا علينا فعلينا أن نقيم حكم الله في أنفسنا"** إذن هنا نتكلم عن جماعة عاجزة! بل لا نتكلم عن جماعة أصلا لأن العجز قد تسبب في أن كل فرد عليه أن يعمل على إصلاح ذاته والانتباه لنفسه فقط.. وهو التفسير الذي يؤكده قول د.المقدِّم بعد ذلك **"وقد ترجم البخاري في صحيحه باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟"** إذن لا جماعة! لا نستطيع القيام بالشريعة.. لا نستطيع الاجتماع.. لا نستطيع شيئا غير أن نكون أفرادا كل منا يهتم بشأنه..

إذن علام كانت تلك المقدِّمة الكبيرة التي تم فيها شرح أن هناك (جماعة) عليها حراسة المفاهيم؟!

يستدرك د.المقدِّم هذا التعارض فيقول **"قد تغيب الجماعة بمعناها السياسي، لكن لا يمكن أن تغيب بمعناها العلمي"**.. أي أنه هنا قد منع التفسير الواضح لحديث رسول الله فأوله ليمنع غياب الجماعة (العلميَّة) تماما! وما الجماعة العلميَّة؟ النسق السلفي - غيتو الفقهاء! هذا الغيتو هو جماعة في ذاته ويحقق الجماعة حتى لو ابتعد عن السياسة وتركها للمستبدين والظالمين والعملاء! قد تحول العلم الشرعي إلى غاية في ذاته وبقاء الجيتو إلى قدر! وهذا الجيتو هو الجماعة الحق **"لأن الرسول عليه السلام ضمن لنا بقاءها فقال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فالجماعة بمعنى إقامة الحجة على الناس وحفظ الدين والكيان العلمي الذي يوضح منهج الحق منهج أهل السنة والجماعة؛ لا تغيب أبدا ولا يمكن أن تزول عن الأرض بالكلية"**!

مهلا! النسق هنا صار هو الفئة المنصورة! النسق السلفي تحوَّل من حماة المفاهيم والأوصياء على دين الإسلام إلى جماعة الحق نفسها! لا يهم وضع المسلمين سياسيا فهذه ليست الجماعة المفهومة من الحديث النبوي! لأنه **"قد تتخلف الجماعة بالمفهوم السياسي كما هو وضعنا الآن لكن لا تتخلف بالمعنى العلمي بسبب التراث السلفي، وبسبب جهود علماء السلفيين في خلال القرون كلها من بداية الصدر الأول إلى يومنا هذا, فهم الذين يحفظون ويحرسون هذا الدين من التحريف، ويحفظون حجة الله قائمة على خلقه -فلا يعني أننا نعجز عن إقامة الحكم أن نترك العمل، فالوظائف الأساسية موجودة، والهدف ليس هو إقامة الحكم فقط, فهذه جزئية من الجزئيات, لكن الهدف هو تعبيد الناس لربهم"**.

إذن تحوَّل النسق إلى وريث العلماء ورثة الأنبياء - وتحوَّل مفهوم الجماعة المذكورة في السُّنَّة إلى الجماعة العلمية لا السياسية - وتحول فقهاء الغيتو إلى قادة جماعة الفئة المنصورة - وتحوَّلت باقي الجماعات المشغولة بالسياسة إلى محاكاة للشيعة والمعتزلة - وتحوَّل مفهوم الحاكمية عند قطب والمودودي إلى هوس غير منضبط - وتحول العلم الشرعي إلى غاية في ذاته دون رغبة في الدخول للسياسة.

وأكثر صراحة من هذا الكلام باقي حديثه عن السلفيين والسياسة فيقول بصراحة تثير الدهشة أن **"اللعبة السياسية فيها تحريف للمفاهيم المجمع عليها، حتى التي هي حد فاصل بين الإيمان والكفر، وبين السنة والبدعة، فهذه الأمور غير قابلة للمساومة أبدا حتى تبقى حجة الله قائمة على الخلق نقية ناصعة، ولا يحصل فيها هذا الامتزاج الذي يكون ثمنا وضريبة تدفع من أجل الدخول في اللعبة السياسية"** هنا نعتبر أن د.المقدِّم يتحدث عن حالة خاصة؛ أي اللعبة السياسيَّة المصريَّة المحدودة

التي تحدث عنها قبلا.. لكنه كالعادة ينتقل من التخصيص إلى التعميم فيقول بكل صراحة "**إن السلفيين أشد الناس نفورا من اللعبة السياسية؛ لأن وظيفتهم الأساسية حراسة الدين، وهم أحق الناس بالقيام بهذه الوظيفة، بل هم الوحيدون المؤهلون لأدائها على خير وجه**"!

كل أفراد النسق وأتباعه عليهم مهمة دينيّة لا علاقة لها بالسياسة! علمانيّة ملتحيّة كما وصفناها دائما! إن هذا الطرح إذن قديم ومتجذِّر بكل مضامينه داخل الدعوة السلفية! لا شيء جديد تحت الشمس: النسق السلفي يُجدِّد نفسه في ذوات جديدة تدعي الهروب من السياسة لصعوبة الظروف وتركها للأوغاد وأن وظيفة السلفيين سامية عظيمة تتمثل في حماية دين الله!

وكالعادة يختم د.المُقدِّم أطروحته الصريحة بخطبة طويلة مزدحمة بالأسباب المُقنعة التي ناتجها النهائي ضرورة ترك (الجماعة المنصورة) التي هي (النسق السلفي) للسياسة لأنها لعبة الأوغاد!

وسأتركم في النهاية لتقرءوا جزءا طويلا من خطبته العصماء الطويلة.. اقرءوه لتتعلموا الأسلوب العجيب والفن اللطيف الذي يُغرقك في جزئيات حتى لتصل إلى ناتج كلي باطل ألا وهو ترك السياسة لغير (الجماعة المنصورة): "**الخطاب السياسي في اللعبة السياسية يحتاج دائما إلى التقية؛ لأنه يريد أن يصل إلى هدف، والغاية تسوغ الوسيلة, لكن لابد أن تكون الوسيلة مشروعة والغاية مشروعة، أما هذه القاعدة المكيافلية فلا تليق بنا, فكيف أجعل الهدف هو المقعد في المجلس، والوسيلة أن أتنازل عن عقيدتي؟ كيف نرضى بالشر ونقول: يمكن أن يكون الحاكم زنديقا أو ملحدا أو نصرانيا؟ كيف نبيح حرية الإلحاد وحرية الرأي وحرية الفكر المخالف للشرع؟ كيف لا ننكر الكتب الإلحادية؟ لماذا نضحي بعقيدتنا ومنهجنا ومحور حياتنا في سبيل مقعد؟! إذا: لا داعي للدخول في البرلمان في هذه الحالة؛ لأن شروط الرخصة لم تتوافر، والتنازل يتجاوز الخطوط الحمراء، وبالتالي فهذا خلط وتمييع للدين.**

طه حسين أدخل التعليم المختلط في الجامعة بمكيدة، وأدخل الفتيات في الجامعة سرا، ثم أصبح أمرا واقعا، فحصل عدوان على الأعراض من جراء هذا الاختلاط, فقال له بعض الصحفيين: أتنظر إلى شؤم الاختلاط الذي أنت دبرت مكيدته؟ فقد حصل كذا وكذا وكذا! فرد طه حسين وقال: لابد من ضحايا! فنقول: تضحي بالأعراض من أجل ماذا؟ فالعرض أغلى شيء فكيف تضحي به؟ ومن أجل ماذا نضحي به؟ فلا يصح أن نضحي بعقيدتنا في سبيل مقعد في مجلس الشعب, فالشرط الأساسي للرخصة عدم التنازل, وعدم استخدام التقية؛ لأن التقية في قضايا العقيدة والقضايا الجوهرية يترتب عليها تلبيس الحق على جماهير الناس، فتلتبس عليهم الأمور, وتختلط عليهم مفاهيم أساسية تمس العقيدة، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ} [المائدة:49]، ثم انظر ماذا بعدها: {وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} [المائدة:49].

فالتنازل عن أي قضية من حقائق الدين أو تلبيسها بما يخالف مفاهيم الدين جريمة كبرى وانحراف خطير يمس بأصل الدين, نعم قد يحصل تنازل بصورة عملية في بعض الظروف الضاغطة على المسلمين, لكن في قضايا عملية وليس في قضايا علمية أو اعتقادية".

(يناير 2015)

لم تكن مشكلة المسلمين في الأعصار السالفة عموما هي اختلاط أهل العلم بشؤون الحكم.. بل الأزمة حقا كانت إما في زهدهم بأخذه حتى رئاسته -توهما أن هذا مما يدمِّرُ العالِم ويُذهِب هيبته- أو الرضى بكونهم طبقة وسيطة تابعة للسلاطين سقفها في الطموح ولاية القضاء!

أضرب مثلا بالإمام ابن حجر رحمه الله - شمس علماء الحديث وشيخ الإسلام في زمانه- حيث كان قاضيا في دولة سلاطين المماليك، وصنَّف ما لم يوجد مثله من قبل ومن بعد: فتح الباري، و غيرها من المصنفات العلمية الكبرى.. ومع ذلك كان يزهدُ في دخول سلك القضاء في البداية قبل أن ينشغل به حتى صُرف في أحد المرات منه فأقلع عنه نهائيا وأبدى الندم على ولوجه! بل ويلومه ابن فهد المكي الشافعي قائلا في ترجمته: (**وكان يتخلله في غضون ذلك من الملك قلة رضى ويشاع صرفه فيهدي إليه ما يليق به من المال فيرده في المنصب فلو تنزه عنه ولزم الاشتغال بالعلم ليلا ونهارا وحج إلى بيت الله وزار قبر نبيه -صلى الله عليه وسلم- وجاور بالحرمين الشريفين لازداد بذلك رفعة ووجاهة عند الله تعالى والمسلمين لكنه عجن قلبه بمحبة ذلك وفتن فيه بولده فأوقعه في المهالك فالله تعالى يلهمه طريقة الخير ويصرف عنه كل ضير ويديم تقاه ويحفظه من جميع الأسواء ويتولاه..**)!"لحظ الألحاظ: 212"

فإن كان الشيخ ابن فهد يلومه على انشغاله بالقضاء ابتداء، لا على ما تخلل ذلك الانشغال من أمور يظنها لا تليق بشيخ إسلام مثله، والأول هو الأظهر من الكلام -فإنه هنا لا يبتعد عن النظرية المعرفية المنتشرة عند ما يسمى بطبقة أهل العلم، وهي أشبه بأيدولوجيا منها بالحقيقة.. حيث يُعتبر المنصب والسعي للرئاسة مُنكرا لابد أن يتنزه عنه العالِم!

لقد ظل الإمام ابن حجر يتولى القضاء ويرحل عنه طوال ما يزيد عن العقدين، ومع ذلك صنف ما يجعل كلام الشيخ المؤرِّخ ابن فهد المكي عجيبا لا يليق على من شاع ذكره بكل خير عند المسلمين كعلم نادر من أعلام تاريخهم وعلومهم!! لم يتعارض العلم مع السلطة كما تُؤكِّد تلك النظرة المُزيَّفة المُتأدلجة!

أما إن كان غرضُ الانصراف عن السلطة وشؤون الحكم وإدارة المجتمع والدولة، في نظر تلك الأيدولوجيا، هو حفظ هيبة العلماء وعدم اختلاطهم وجلب ما ينغص عليهم حياتهم العلميَّة -فأمامنا الإمام ابن تيمية رحمه الله، الذي تحرَّك أيما تحرُّك فكان محتسبا ومجاهدا وحركيا ومجتهدا طوال حياته في العلم فصنَّف رغم الأذى عشرات المصنفات والرسائل، لقد ضُرِب الإمام ابن تيمية وأهين من أمير نكرة، هو عز الدين أيبك الحموي، نائب السلطنة المملوكية بالشام، وكان هذا انتصارا لحقير بدوي ونصراني اسمه عساف سب الرسول، فلم يبق للأمة من هذه الوقعة إلا مؤلَّف ابن تيمية العظيم: الصارم المسلول!

لقد أهينت ذات الإمام وانتهكت حرمة العلم في وقته، لكن الموضوع هو ما بقي، وذهب الأذى إلى يوم الدين يُحاسَبُ عليه المؤذي أيما حساب، وليست النهاية للعالم واجب أن تكون سعيدة! فنهاية الإمام كانت: مسجونا!

أما أهل العلم وطلبته فليسوا أفضل من الأنبياء أو الصحابة حتى يسعوا بكل سبيل للحفاظ على (هيبتهم) التي تتحول إلى أيدولوجيا ترفض الاختلاط بالواقع الاجتماعي والسياسي والمشاركة فيه بقوة متحججة بأهمية رسوخ (الهيبة) والخوف من ضياعها! العلم الشرعي بذاته وسيلة لإقامة الدين في هذه الأرض، أما إن صار العلم غرضا بذاته ورفض صاحبه الاندماج بالدنيا فهذا بعينه هو أصل اللائكية: التأكيد أن هناك (نسق ديني وعلمي) منفصل بذاته عن (النسق الدنيوي السياسي والاجتماعي)! ولو كان الأمر كذلك، لما سعى نبي من الأنبياء إلى تعريف الناس بالشرائع والتنظيمات الاجتماعية المُنَزَّلة، ولاكتفى رب العالمين بتنزيل تعريف موجز لتوحيد الألوهية في كل رسالة،لا أكثر!

إن أزمتنا حقا ستبدأ في الزوال عندما يبدأ (أهل العلوم الشرعية وطلبته) في السعي الحقيقي للسلطة بالوسائل المشروعة، غير المتكلسة أو المتعصبة لمذهب، والتي تحفظ دين المسلمين أولا، متخلصين من تلك الأيدولوجيا الزائفة التي تجعلهم يظنون وجود تعارض بين البروز العلمي والبروز السياسي-الاجتماعي sociopolitical يجعل جمعها معا أمرا ممتنعا!

إن أبرز صفة غابت لقرون عن الإمام/الخليفة هي: العلم والكفاية.

فكيف يكون إمام المسلمين وحاكمهم عالما مجتهدا -إن كان أهل العلم يزهدون في هذا الطريق ابتداء؟!!

(ديسمبر 2015)

سلك الإمام ابن تيمية وقبله القاضي ابن العربي مسلكا في تخطئة الحسين رضي الله عنه في خروجه على طغاة بني أمية، عموده الآتي مختصرا:

التأكيد على أن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما قد رفضا خروجه ونصحاه بالقعود.. مع التأكيد على مكانة هذين الصحابيين الجليلين في العلوم الشرعية للأمة -وهما كذلك طبعا!

من الملاحظ أن هذا المسلك قد جعل فرقة غلاة السلفية المخابراتية المعاصرة (كجامية ومداخلة وشبه جامي أو مدخلي) تفهم الأمر كالآتي:

أن (علماء أهل السنة) قد نصحوا (السياسي المتهور) الذي هو الحسين؛ فلم يستمع لكلامهم فجرى له ما جرى! ورأيت من قليل وقحا مجرما من هذه الفرقة يؤكد أنه لو حضر هذا الزمان لكان في جيش ولي الأمر ضد الحسين، فأسأل الله له إن لم يتب أن يحشره في زمرة الطغاة قاتلي حفيد النبي!

الغريب أن هؤلاء بفهمهم هذا إنما يؤكدون على وجود الحدود العلمانية الراسخة بين (العلم) و(السياسة).. بينما الملاحظ أن تلك الحدود لم تكن موجودة ولا حادة بهذه الصورة عند الصحابة.. هناك علماء صحابة وسياسيون صحابة وعسكريون صحابة /لكن لم يكن هذا يعني أن كل واحد من هؤلاء ملتزما بتخصص فلا يفهم في الباقي ولا يشارك فيه!

لم يكن النبي متفردا عندهم من هذا الوجه فلا يجوز التشبه به، بل كان قدوة لهم: هو عسكري وعالم وداعية وسياسي.. قد يتفوق ويتميز الواحد منهم في مجال لكنه لم يكن يتعامل مع المجالات الأخرى باعتبارها حراما عليه! ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كانوا علماء /وساسة، ودعاة وأهل جهاد وعسكرية إن لزم.. لم يكونوا كما يتصور أهل تلك الفرقة: أهل علم متقوقعون في صومعتهم لا رأي لهم في أي شيء غير العلم! ولم يكن الحسين رضي الله عنه رجل سياسة ولا رأي له في أي شيء غيرها! هذه الحدود الموهومة التي نشرها طغيان الحكام (ولا فارق كبير في ذلك الإيمان بتلك الحدود والمفاهيم الصارمة بين الأشاعرة والسلفية) هي السبب الأول في هذا الفهم.. ولولاها لكان هؤلاء قد فهموا الأمر على حقيقته (صحابة ينصحون بالرأي صحابيا آخر) لا (علماء أهل السنة ينصحون سياسيا مندفعا دفعه تهوره لخرق أصول أهل السنة)!

(فبراير 2016)

حتى إن صدق اعتزالك أنت للسلطة -فهي لن تعتزلك!

أنت -المُعتزِل- أداة عمياء عظيمة في أيدي المتسلطين لمكافحة من يقاومونهم؛ المتسلط في الدولة الحديثة ليس عنده (جماعة) يتركها في حالها.. هناك أجهزة (تدبِّر) و(تستخدم) كل زعامة مجتمعية مهما صغرت.. عندما خرج الشيخ الحويني شفاه الله -وهو من رواد مدرسة الاعتزال السلفي لصالح لاشتغال العلمي- إلى خارج حيزه الضيق جدا من شهرة علمية مجتمعية.. كان يتم استغلاله نظاميا كغيره في إطار خطة تصعيد واستخدام التيار السلفي جملة في ضرب الإخوان علميا ومجتمعيا طوال العقد الأول من القرن الحالي! حتى الشيخ الحويني الذي يتحدث في العلم والعلم فقط كان مستخدما في خطة سياسية وأمنية كبرى لم يعد هناك أي مجال لإنكارها الآن بعدما أحرقت شمس النهار رؤوس المنكرين.. ولا غرابة في هذا فالسلفيات الدعوية البحتة كانت تسخدم هي الأخرى على نمط الاستخدام السلطوي المعتاد للصوفية: إشغال الفرد ذاته بذاته وروحه بروحه وعزل نفسه بنفسه عن قضايا مجتمعه وأمته!

إنك مُستخدَم.. أو ستُستخدَم!

هذا كله إذا.. إذا: صدقنا فعلا أن هذه الفكرة (أي الاعتزال) لها ولاء والتزام في واقع المعتزلة الجدد القائلين بها! لكن الكتابات والبيانات تصدق ذلك أو تكذبه: كم منشور كتبه المعتزلة مسَّ سياسات الدول مدحا وقدحا أو هاجم جماعات مشتغلة ضد الأنظمة أو غمزها ولمزها واستهزأ بها أو برموزها أو بالمناصرين لها؟!

نسأل الله الهداية للمعتزلة الجدد؛ الذين أصَّلوا ونظَّروا لما لم يجرؤ على التصريح به الأولون.. وامتنعوا بعد هذا كله عن الالتزام بما التزم به الأولون! هداهم الله واستخدمهم لنصرة دينه؛ وجعلهم لنا لا علينا.

(أبريل 2016)

أخي، ألا فاعلم أن الرافعي لم يكن مهتاجا أحمقا، ولا حاقدا حاسدا، حين كتب مقالاته يسفه طه حسين ويشير لزندقته! الرافعي وشكيب أرسلان وغيرهما لم يكونوا مجرد (أقران) لطه حسين كلامهم فيه يطوى ولا يروى! لقد كان طه حسين يكتب بروح متزندقة تهزأ وتسخر من المسلمين وتاريخهم، وفكرة الطعن في صحة الأدب الجاهلي نفسها، التي تضمنها كتابه الأشهر، ليست هي المطعن الرئيسي عليه، برغم سُخفها الشديد، بل هي تلك الروح المستهزئة التي تبحث عن ألعن سردية تاريخية لحياة النبي وأصحابه ملتمسة إياها في أغاني الأصفهاني، مقابل تجاهل أي سردية أخرى! للفهم، ضع هذا جوار منهج طه حسين اللاديني الذي أشار له في مقدمته بطبعة كتابه الأولى التي عدلها في الثانية بعدما حذف -تجابنا لا توبة- الألفاظ والجمل الشنيعة التي تظهر استهتاره بدين الإسلام!

أقول هذا، لأني رأيت بالأمس شخصا يكتب مذكرا الناس بأن طه حسين كان عالما، مادحا إياه! ألا والله يا أخي لو التزمنا منهجك هذا في التنويه بعلم كل من تزندق والدعوة للولع بعلمه والانشغال بتأييد شواهده دون زندقاته وكوارثه وبلاءات منهاجه على الأمة، خاصة في رجل مثل طه حسين كان حربا خبيثة متنكرة على الإسلام في بدايات القرن الماضي، لرفعنا شأن أغلب المتزندقة الكبار، فما واحد من كبارهم إلا كان عالما في مجال ما!

لكني أقولها صراحة: إنها الروح السلفية الجديدة! روح سلفية كانت لا تعرف إلا القدح واللعن والاتهام بالجهل أو المدح والدعاء والاستعلاء بالعلم! من كان عالما فهو من (أهل الخير) - ومن كان جاهلا فهو من (أهل الشر)! تلك الروح السلفية التي انفتحت على الكتابات فأصرت على التعامل بتخبط في المنهج، واتسع مفهوم (أهل الخير) بقدر اتساع رؤيتهم لأهل العلم! أي علم؟! لا يهم كثيرا! هذا الانبهار الساذج الذي صار يحطم عندهم بعض مقدساتهم الماضية كالنظر لهؤلاء بعداء وكراهية وتجهيل شديد تبعا لأقوال علمائهم، ثم لما انفتحوا وقرأوا بأنفسهم وعلموا مقدار ما عند المخالف من علم أصابهم تخنث في المواقف تجاههم، لأنهم اعتادوا على فكرة (العلم = أهل الخير / الجهل = أهل الشر) فبالتالي هؤلاء العلماء المخالفون = أهل خير بشكل ما! لذا صرنا نجد هذا التمييع مؤخرا للخلافات مع إخواننا الأشاعرة والاستخفاف بها ثم الآن قد وصل التمييع لدرجات رواد الزندقة عند العرب!

وأيم الله: لا! لم يبتعد هؤلاء السلفيون الجدد كثيرا عن سلفيتهم القديمة مثلما يظنون! ما زالوا يصابون بالضعة والتقزم أمام كل علمٍ فذ، بغض النظر عن عقيدته وما يدعو إليه! فثقافتهم وسعة اطلاعهم أورثتهم تخنثا فكريا لا العكس؛ وهذا وإن كان مقبولا في شيءٍ كاللغة مثلما قال الأصمعي عن النسبية في التخطئة فلا يمكن أن يُقبل في سكنات العقائد!

(يونيو 2016)

لست بالخب، ولا الخب يخدعني.

***

" تدعون المشايخ لترك السياسة والعودة إلى المساجد معلمين؟ أحترم وجهة نظركم وأرى أن لازمها أن تتركوا أنتم أيضا السياسة وتعودوا معهم للمساجد متعلمين" أحمد سالم – في 3 أكتوبر 2012.

"مفيش حاجة اسمها حسن ظن مع كتمان البيان، دي دولة مش واحد زميلك في الشغل. الدولة لابد أن تبرر تصرفاتها خاصة الاقتصادية التي ستتحمل تبعاتها الأمة

بأسرها ولسنين طوال. مهمتنا كشعب وما دام المجالس الرقابية متوقفة أو لا تقوم بدورها =أن نطالب بالتوضيح وأن ننتقد بأعلى صوت حتى يظهر البيان. بدون بيان ووضوح: **لا إعذار**" أحمد سالم - في 22 أغسطس 2012.

***

قبل يومين، ظهر منشور خاص بشخص اسمه أبو علي الباقلاني (أو أبو ليلى)، خافت الشهرة هنا أينعم؛ لكنه من مجموعة متشابهة الفكر بل صارت متوحدة.

في ذاك المنشور يقوم أبو علي بالهجوم على المجانين الذين أوردوا الناس المهالك بنزقهم في الفلوجة ويبشرنا -بشره الله في حياته كما بشرنا!- بأن الفلوجة ساقطة لا محالة وأن الكارثة قادمة لا محالة وأن اللوم على المجانين الجهاديين من داعش وأمثالها!

ثم لاحظت أنه ختم منشوره بفقرة أعادتني عامين إلى الوراء! إلى ثورة أحمد سالم في 2014 التي أقامها ولم يقعدها على الإسلاميين الذين يلقون بأيديهم وأيدي الناس إلى التهلكة!

وإن لم تكن سنة 2014 إجمالا بالخاوية من انتقادات شتى لسياسة الإخوان الخرقاء في حشد الشوارع بالناس ليتم ذبحهم ثم البكاء عليهم ومطالبة (المجتمع الدولي) بالإنقاذ -لكن سالم كان له هدف خفي أعلى وأدق يبثه في كل مقال يكتبه: هذا الهدف بدأ التصريح به شيئا بعد شيء، ثم رويدا رويدا بان بعض المدفون في الكتب والصدور جليًا، حتى انتهى كفلق الصبح لا يحتاج لمزيد بيان، وتولى سالم أعباء نشره في وقت خطر وهو يعد ذلك شجاعة منه! بعدها مارس هو وجماعته حملة إرهاب للمعترضين والفاضحين لمخاطر كلامه: ذاك الإرهاب المعتاد من إلغاء صداقات وحظر واتهام الناقدين بأنهم مهووسون جهاديون وليسوا من أهل العلم وأنهم لحقدهم يهاجمون المتميزين، إلى آخر هذه التصرفات التي ما إن خرجت بعيدا عن شبكات التواصل إلى ساحات جادة بكتابه النكبة (ما بعد السلفية) حتى قمعه أساتذة الجامعات وأظهروا له مقامه؛ فانخنس وكف عن مناطحتهم ولتخمد جعجعته المتوعده بالردود الصارمة في بداية انتقادهم؛ والتي حينما تكاثرت الفضائح وتوالت السقطات والنكبات تترى -صمت ومرر بذكاء كل تلك الحادثة كأن لم تكن!

لكل هذا، لم يكن كلام أبي علي غريبا على من تابع 2014 وشاهد (تكوُّن) وولادة كل تلك الأفكار الشيطانية التي خرجت حينها من كيس سالم: اعتزال الصراع، لعن السياسة، الهجوم على كل (حركة)، تعمد إظهار جهالة سيد قطب والمفكرين الإسلاميين وتناقضهم في كل فرصة، غلق جيتو علمي متعصب متكبر على مجموعة محددة والمبادرة بسب الآخرين وتحقيرهم.

هذا وإن كان هذا الجيتو قد تشقق إلى حد كبير بعد نكبة ما بعد السلفية الذي كان -في أحد جوانبه الرئيسية- هو قمة تمدد منهجهم المتعجرف المتعالم هذا، بعدما استطالوا على الجميع سلفا وخلفا بحجة النقد -حتى أنالهم الله بأقلام عباده بعض ما يستحقون! إلا أن الأفكار الشيطانية الرئيسية ظلت تتطور وتبرز لنا في كل فترة من مثل أبي علي هذا .

وبالتالي توجب علي أن أكتب هذا المقال، ليس فقط منافحة عمن يلقى الأهوال من فوقه وتحته وعن يمينه وشماله، بل لأظهر منهاج سالم الخطير للناس بعدما خفي ودق استبصار طوامه عن الكثيرين من العقلاء!

وقد كنت متعمدا ألا أتطرق إلى ما وصلني عن هذا الشخص من حركته على الأرض وتصرفاته بين الناس وما نقل لي من كلامه في مجالسه معهم - لأن بعض تلك الأنباء ليست عندي بالثابتة يقينا بلا تأويل، وبالتالي لم أرتض أن أصيبه بجهالة فيما لم تكتبه يداه وينشره عامدا بين الناس /لهذا كان اعتمادي على طرحه ها هنا.

فلنسأل ابتداء: ماذا يريد سالم؟!

ربما يكون كلام أبي علي في منشوره المذكور تعبيرا موجزا ملخصا لمطولات سالم التي دبجها في 2014 خاصة في مقاله درة تاج المعوّقين: "**التيارات الثورية، والانقلاب، ومسار الإصلاح**". ولا يعجز من يتذكرها في معرفة حجم التماثل الكبير بين هذه الفقرة التي سأنقلها وبين مقالات 2014؛ وأن هذه، موجزة، كانت المحور الذي دار حوله سالم طوال الوقت؛ بل إن أكثر كلماتها تكاد تتطابق مع سلفها :

"ستسأل: ما الحل إذن فلم يتغير شيء ولم ينفع السلم ولم تنفع الحرب؟

أقول: اشتغل بالمقدور عليه من إصلاح نفسك ومن حولك وهو الذي ستسأل عنه يوم القيامة ودع المعجوز عنه الذي لن تؤاخذ عليه واعلم أن الاشتغال في المعجوز عنه سيكون على حساب المقدور عليه ولا بد فيكون إفسادا لا إصلاحا، وتحرك في ضوء الواقع مع إعمال العقل والمنطق ومراعاة قدراتك راجيا من الله التوفيق والنصر وهو التوكل المطلوب، ولا تتحرك في ظل أوهام وأحلام بنصر وتمكين لست تملك عدته ولست متأهلا لا ماديا ولا نفسيا على تحصيله = وهو التواكل المذموم" انتهى كلام أبي علي!

لهذا عندما كتبت في 2014 عن (العلمانية الملتحية) ما قصدت إلا هذه الأطروحة، بل هذه المقالات كانت ذات نفع كبير في كتابتي لمحاجات المعوقين: هذه علمانية ملتحية مهما نخر أصحابها.. هذا حصر للدين في النفس لا في المسجد حتى، فهم يعلمون أن المسجد قد صار في هذا العصر وتلك الدول الشمولية من أملاك الباغي

الطاغي: فبينما تجد العلماني يقول لك الدين في المساجد وفي ذوات الأفراد، تفاجأ بهؤلاء يزايدون فيقولون لك أن الدين في ذات الأفراد وليس عليك سواها ولن تحاسب إلا عليها.

أطروحتهم هي: لن تحاسب إلا على نفسك وما تقدر عليه! / ثم كل جهاد؟ لا لن نقدر عليه طبعا، ولو حتى (بالصمت) وكف اللسان عمن يقاتل ويجاهد باللسان والسنان والقلم! بل إن روح الاستهتار بقضايا الأمة تبلغ قمتها حينما يكتب سالم عن بروده الشديد وعدم اكتراثه حينما حدثت أحداث 11 سبتمبر وكيف أنه أغلق التلفاز وعاد لمشاريعه العلمية! استدل سالم حينها على هذا التصرف بأن العلماء كانوا يتابعون مشاريعهم العلمية بينما المسلمون يجابهون الأهوال في الأندلس والشام، ولم ينصرفوا عن المشاريع العلمية للنواح. إذن عليك ألا تتباكى وألا تضيع وقتك بمتابعة قضايا الأمة ومآسيها! بل تذهب لمشاهدة ولو حتى مباريات كرة القدم وتنشغل بنتيجتها كما رأيناه عمليا من قرينه عمرو بسيوني حينما سألوه عن إعدام شباب من المجاهدين على أيدي آل سعود فرد مستهزئا أنه وراءه مباراة كرة قدم يشاهدها. (هذا الشخص الغريب الذي يزل بعنجهيته كثيرا ثم يتلعثم ويتهم أفهام الآخرين كل مرة، حتى في الخطأ يسب الآخرين ويحقرهم، وسيجيء في المقال فقرة لتبيان ذلك! هل أصيب الدكتور الشويقي بالغيظ إلا من هذا الطبع!)

أخي، فلتعلم: هذا مسلك العلماء، وفي أصول فقه مدرستهم العلمية الجديدة: (فعل العلماء المتأخرين) يصلح حجة مطلقة كما نعلم!

تزوج خالد بن الوليد بعد اليمامة مباشرة بابنة مجاعة بن مرارة، فثار غضب الخليفة الصديق وبعث يلومه: كيف تتزوج يا ذا المزاج الرائق بينما جثث ألف ومئتي مسلم حولك؟! ألف ومائتا قتيل في معركة انتهت بالنصر كان رقما كافيا كي تغضب عاصمة المسلمين ويثور الخليفة حينما يفعل القائد المنتصر (حلالا) فيه شبهة استهتار بتلك الكارثة! ألف ومائتا مسلم! لكن الصحابة وعلى رأسهم الخليفة لم يكونوا حينها يعلمون أصول الفقه الجديد ولا يطلعون على رؤية سالم وفكره وبرود العلماء ومشغولياتهم الكبيرة.. ولله الحمد!

لقد انتفض المعز الفاطمي الشيعي في عاصمته المنصورية حينما استغاث به سنة جزيرة كريت الذين أصروا على مناوأته ومبايعة الخليفة العباسي، انتفض وراسل أخشيديي مصر كي ينقذهم من جحيم بيزنطي كان ينتظرهم، لكن البيزنطيين عاجلوه وقضوا على مسلمي كريت. وقد رأينا ابن الأثير، العالم الذي ظل بعد سنوات طويلة لا يقوى على كتابة أحداث خروج المغول فرط هول الواقعة والمجازر التي وقعت في المسلمين. لن أذكر جهد ابن تيمية فيبدو أنه صار في زمن الما قبل! نحن الآن في زمن دماغ الغزالي الصوفية الرائقة: نزل الصليبيون في الشام؟ عندي عشرة أجزاء من القران اليوم فلأنتهي منها! المذابح المهولة على مقربة مني؟ فلأفكر في طريقة أنسب لعرض أصول الفقه!

إذن ليس المطلوب فقط اعتزال التعليق والعمل. بل عزل الذات نفسها عن التأثر بالأحداث! هذه هي الدرجة الثانية.

لكن هذه الدرجة الثانية أكثر غرابة حين نقابلها بأفعال سالم: فقد كان من أول من صعدوا (أحمد أبا زيد) ناشرا حسابه على صفحته منذ وقت مبكر للغاية لم يكن فيه هذا الشخص معروفا بصورة كافية وسط المصريين: فماذا كان السبب؟ ليس طبعا لأن أبا زيد (أديبا) –كما وصفه منفردا، سالم!- لأن هذا الشخص لا يكاد يكتب إلا في الشأن السياسي ولعن الحركات الجهادية وجعل فصائل الثورة السورية العلمانية فصائل ثورية طوباوية –وهي الادعاءات التي يكذبها كل متابع ولو بسطحية لثورة الشام-! إذن لا توجد معايير كثيرة ننتقي منها سبب اختيار سالم أبا زيد كي يلمعه على صفحته ويفسح له طريقا إلى بيت العناكب، نماء السعودية: لا توجد سوى أطروحة أبا زيد السياسية، وقد كان من أوائل لاعني أصول فكر الجهاديين بطريقة فلسفية جديدة استخدمها آخرون بعد ذلك لكنهم لم يلقوا رواجا كهذا السوري العنصري الموتور (فعلى سبيل المثال طالب أبا زيد كل شخص يعيش في كل دولة أن يبلغ أجهزة الأمن تطوعا عن أي محب أو مناصر لداعش، في وقاحة يندر أن تخرج بهذه الصورة! مما جعله يخفي المنشور سريعا عندما هاج الجميع، لكنه لم يخف قوله فيما بعد عن المجاهدين المهاجرين في كلام مطلق بلا قيد: أنهم حثالة الأرض التي جاءت إلى شامهم الطاهر! رغم معارضة محبيه لهذا الوصف).

السؤال الآن: ألا يعد هذا الإعجاب الشديد بشخص منغمس في ثورة متعرقلة يقف ضدها العالم كله وهي لا تكفي بالسلاح نقطتي تفتيش، ولا تخرج أطروحته عن التنظير لهذه الثورة وتطويبها ولعن الإسلاميين الذين يعرقلونها وشيطنتهم - نقضا لهذا الأصل الذي يحاول ترويجه ومجابهة معرقليه وتسخيفهم وسبهم وتحقير أفهامهم؟ أم أن مواطن الملاقاة صالحت المتخاصمين: عداء الجهاديين والكتابة في ذمهم وفضحهم بأساليب جديدة ومدح ثورة يرضى عنها حكام العالمين الغربي والسعودي؟ لكن سالم كفانا البحث ورد على من سأله عن سبب (حبه الشديد) لأبا زيد بأن أولها: "**تشابه الاهتمامات في عدة مناطق**". لا أعرف تشابها معقولا للاهتمام غير ما ذكرته في الفقرة الماضية، فالموتور من كبار مروجي طوباوية الربيع العربي، وسالم يقول عن الربيع العربي: "**لما جاء الربيع العربي= انخدع به كثير من هؤلاء، كما انخدع به كثير من قليلي العلم بالشرع أو قليلي البصر بالواقع، أو كلاهما**". ويقول لمن واجه الأنظمة في هذه الثورات: "**انخداعك الذي أدخلك المحرقة هو أنك واجهت الانقلاب متأثرا بخدعة الربيع العربي، متأثرا بخدعة الحراك الجماهيري الذي يستطيع أن يرغم أنف النظام**"! والقومجي الموتور من كبار مؤيدي الحرب مع بشار بلا هوادة، وسالم رأيه في ثورة سوريا أنها بؤس وشقاء وظلام لعين، فهو يقول موبخا من تمنى ثورة مصرية على غرار سوريا: "**أما ما يحلم به البعض من حصول انشقاق في الجيش، أو تكرار التجربة السورية ودخول مجاهدين غير مصريين = فإن هذا سيفتح الباب على مصراعيه لأتون رهيب من الحرب الأهلية، في ظل حاضنة شعبية غير مؤيدة**

لك أولا، وغير مؤيدة للعنف ثانيا وثالثا وعاشرا.

وفي بلد كمصر = فإن هذا سيفتح الباب لتدخلات دولية سافرة ، وتحول مصر لساحة صراع دولي لا يعلم مداه إلا الله ، لا يستبعد أن يسفر عن احتلال عسكري مادي!

فضلا عن دخول الغلاة من التكفيريين ، ونشوء ميليشيات مسلحة ، لكل ولاؤها ، وممولها ، وندخل في صراع قطع الرؤوس والتفجير ، ونكرر بؤس وشقاء السوريين"! فأي اهتمام غير ما سبق أن ذكرته في الفقرة السابقة؟

ثم تكتمل الصورة في ما بعد السلفية: هناك رؤية جديدة، أضافت بعدا جديدا لفكر سالم يظهر أن فك الاعتزال ممكن بصورة ما، وهذه الرؤية تتلخص في جعل السلفية نقطة تجميع أو مصدر تسامح سياسي لا مصدر نزاع، ولأن السلفية العادية لا ينفصل لديها التصور السياسي عن التصور العقدي الثابت، كان لابد من البدء بأهم الأفكار العقدية، لا عند السلفية فقط لسوء حظه، بل عند أهل السنة كلهم: ألا وهي حديث الافتراق وحديث بقاء السنة صافية كاملة في فرقة واحدة. هذا الحديث إن تمت معالجته بما يزيل المعنى الضخم الذي فهمته الأمة سلفا وخلفا، سيفتح الباب لبراجماتية سياسية أوسع مجالا للتحالف مع (المخالفين) الذين لن يصبحوا (مخالفين جدا) بعد هذا الفهم! الفهم الجديد؟! لا طبعا ليس بالجديد: لأن الدكتور القرضاوي كان قد قد أدرك قبلهم بعقود خطورة هذا الحديث وأن تذويب دلالته يعني تذويب العقبة أمام الاندماج والبراجماتية الديمقراطية المطلوبة، لكن الرجل كان أكثر صراحة في عرض غرضه وأفرد فصلا كاملا في أحد كتبه لتضعيف زيادات الحديث العويصة مثل (كلهم في النار إلا واحدة) ثم تفسير الباقي منه بصورة تذهب معناه إلى حيث ألقت! ثم بعد هذه الإذابة: مرحبا بكم في الساحة السياسية على أساس (عقدي) متين جديد يليق بسلفيتكم التأصيلية التي صارت (ما بعد)! مرحبا بما بعد الإسلاموية كلها إذا شئت وشاء دجالها المصري إسماعيل الإسكندراني ورفاقه من الخبث والخبائث. لا شاء الله ولا تم!

على أي حال فإن هذا الكتاب ابن زمانه، بل وأطروحات سالم تلك عامة ابنة زمنها هذا، زمن النكسة، ولا شك أنها كانت لتضحك سالم نفسه إن قالها أحد في عامي 2011 و 2012 حينما كان سالم ينشر المقالات السياسية الصريحة ونصائحه لحزب النور وغيره، وقد أوردت في صدر المقال منشورين له يسقطان كلامه بأن هذا كان رأيه دائما -أي الاعتزال- طوال السنوات الماضية ولو شئت زدت لكن يكفيني هذا. وأنا وإن كنت أقول بأن أطروحته تلك ابنة زمانها وظروفها لا أكثر؛ فأنا لا أصل بالتطرف لدرجة التلميح السيء للسعودي تركي الشثري الذي غمزه وصاحبه بكلام معناه أنهما كتبا هذا في أواخر زمن المقبور عبدالله آل سعود فلا عليهما من شيء إن أعادا النظر في طبعتهم الثانية لأن الزمن قد تغير والكتاب لن يلقى من الترحاب مثلما كانا ينتظران، قائلا: " **التدثر بملحاف مؤرخ الأفكار حيلةٌ فكرية جيدة لعدم التورط في بُنيات الطريق وخلْق مشكلات وقتُها غير مناسب، خصوصا بعد التغيرات الجديدة في المشهد السعودي! ومن الواضح أنَّ الكتاب كتب وهو يتظلل بمزاج ما قبل هذه التغيرات، وهذا سبب ثانٍ لمطالباتنا بمراجعته؛ كي يكتمِلَ ويخلص لتأريخ الأفكار فقط، وليس المقصود أن يُسمع الكاتب الوهابيين ما يريدون سماعه، ولكن ليخلص البحث لمؤرّخ الأفكار ويرسي الكاتب على برّ: هل الوهابية امتداد للسلفية التي هي فَهم الصحابة، أم أنها مخالفة لهذا الفهم؟ ... لو كان هذا الكتاب في معرض ١٤٣٤ لاحتوى مادة دسمة لكتّاب الصحف في حملتهم الشعواء ضدَّ السلفية والوهابية، ولكن الوهابية لديهم اليوم متمِّمة الوطنية وميسم متين للوحدة المجتمعيَّة على طريقتهم الحرباوية!**". فما هذا التلميح الخبيث؟ هذا فكر ذاتي من سالم ورفيقه يا شثري، وليس نفاقا ولا تزلفا -لا سمح الله- لنظام عبدالله العلماني مما يستوجب تغييرا في طبعته الثانية ليناسب نظام سلمان الوهابي! أتحسبهما منافقان متمرسان أو عمشاوان أحمقان؟! طبعا السيد الشثري (السعودي) كان منتشيا حينها بوهابية ولي أمره الجديد، طويل العهر سلمان بن عبدالعزيز، وبتطبيل الصحف للوهابية بعد علمانية زمن سلفه الهالك. لكن عيان يتهكم على ميت؛ فماذا عند المتابع إلا ميل الشفتين؟!

إذن ملخص رؤية سالم: هي الاعتزال والانشغال بالنفس وبالمقدور عليه، والمقدور عليه هنا = المسموح به من الحاكم. سالم استشهد في مقال 2014 بكلام جيمس بتراس التالي: "**للسياسة الخارجية الأمريكية تاريخ طويل من تنصيب الأنظمة الاستبدادية التي تساند سياساتها ومصالحها الإمبريالية طالما أبقت على التحكم في شعوبها، وتمويل تلك الأنظمة وتسليحها ودعمها**". فهو إذن ليس بالساذج ولا المغفل؛ وهو يعلم من هم حكام المسلمين وما وظيفتهم الحقيقية ومن حاكمهم الحقيقي، وبالتالي لا يخفى عنه أن مآل كلامه هذا هو أن الانشغال المسموح سيكون بما يرضاه الغرب والاستعمار!

أما المخالفون المارقون ممن رفعوا راية الشريعة (المصطلح على تسميتهم بالإسلاميين)؟ أولئك إن خرقوا حجاب النجوم اللامعة أو أحرقوا اليونيون جاك -فحمقى مجانين؛ وصفهم سالم قبلا بأنهم **يمارسون الاستمناء الفكري الثوري** على مواقع التواصل!

طبعا لا مجال للرد بأن هذه مغالطة كبرى وقلب للحقائق، وبأن الواقع يشهد بكون كلاب آل سعود والدمامل الخليجية الشبيهة بهم، هم من أحضر الأمريكان للعراق وهم من حايد بل عادى كل مقاومة سنية إسلامية سورية لا تتبعهم ولا تأتمر بأمرهم وأمر ممتطيهم، وأن الحركة الجهادية المعاصرة ليست إلا رد فعل في أغلب الأماكن لا فعلا مستقلا بادئا من فراغ أو عوامل غير قاهرة!

لكن الأمر لا ينتهي هنا، الرؤية تزداد ظهورا لنجد أنها تتضمن الخروج من الصومعة وبالتالي تزيل من عليها وصف العلمانية الملتحية: فهو يقدم رؤية سبقه بها

القرضاوي تأصيلا من قبل. مؤداها سيكون تنازل سلفي عن هذا (التعصب والانغلاق) الوهابي التيمي القديم وانفتاح ما بعدي جديد. لن نتطرف فنقول أن هذا سير في طريق الإخوان الفكري ثم العملي المعتاد –الذي هو طريق حزب النور الآن لكن الحمقى تبنوه بلا أدنى تمهيد فكري- كأنما الخلاف مع دعالفة النوَر البراهمة السفلة كان في تأييدهم الطاغية وأفعالهم النتنة الوضيعة لا في أصل المسار الذي ساروا فيه: بمعنى أن كلام الدعلفي خصيم خير الله عن ضرورة التوحد الوطني وعدم التفرق وعدم إلقاء النفس للتهلكة بأي مغامرة أو مروق والرضا بما تحققه الدعوة من مكتسبات، يوافقهم بل يكاد يكون هو تنظيرهم حرفيا، لكنهم يختلفون مع دعوة الأنتن في تأييد السيسي ودعم القمع. خلاف في تنزيل لا في تنظير! وعامة لسالم كلام يقول هذا صراحة "**أما أصل قولهم بعدم صحة المواجهة؛ فصواب، أما منطلقات قولهم ودوافعه وباقي تصرفاتهم ومواقفهم؛ فهي واحدة من أقبح الضلالات في تاريخنا**" وهو هنا لا يتحدث عن قرار عدم مواجهة، بل الأصل، فانتبه!

هذه هي الرؤية حتى الآن، وهي قابلة للتعديل والتنقيح والزيادة بل والإلغاء مستقبلا مع براجماتي متلون مثله، لكن إلى هذا الحين: كم سيضل من معقود عقل بتلك الخدعة السلفية القديمة الجديدة: خدعة العالم الموسوعي الذي يفهم في الدين والسياسة والبيولوجي والفلسفة وفيزياء الفضاء! أقول قديمة: لأنني في 2004 تقريبا سمعت وصفا سلفيا للدكتور المقدم بأنه: أعلم أهل الأرض! لهذا يهرولون إليه ويستمعون ويحقرون كل رأي جوار رأيه.. عقدة (العالم الموسوعي) و (أعلم أهل الأرض) التي تظهر لنا مرة تلو المرة، ويا سبحان الله: كل مرة كأنها أول مرة! كل مرة الذي ظهر هو أعلم أهل الأرض والعالم النحرير الموسوعي الذي إذا جابهك دهسك ودحض (شبهاتك) وألقاك إلى غياهب الجب! لن أناقش ها هنا حجم المعرفة الحقيقية مشككا –وإن كان رجل ثقيل علميا كالشويقي شكك وشكك وشكك، مدللا- لكني أتحدث عن العقدة ذاتها، وكتبت قبلا أنه لو كان بحجم المعرفة فبعض كبار المعتزلة كانوا أعلم أهل زمانهم وأنهم لو قورنوا بإمام السلفية ابن حنبل رضي الله عنه فهم موسوعة تقابل عالما حديثيا مختصا يكاد يكون مختصا بعلم واحد لا غير؛ ونزاع العلماء قديما في جعل المذاهب الفقهية أربعة معروف؛ فكيف لا يفهم هؤلاء المعقَّدون! هل تنطلي عليهم حقا ألاعيب إسقاط الجميع والتشكيك في علوم الناس كلهم والاتهامات بالسطحية وافتقار الأدوات العلمية التي لم ينج منها ولا حتى أستاذ دكتور في الحديث كحاكم المطيري؟! لكن الأزمة الكبرى أن عقدة العالم الموسوعي عند التابع والمتبوع تفرض (هالة) معينة تمنع الاعتذار وتفرض على أمثال هؤلاء سلخ المعارضين والمنافسين بلا رحمة!

ولأحكي الآن حادثة ذكرها الشويقي عن مكابرة بسيوني مثلا في الاعتراف بالخطأ والتراجع والغرور في كل مو..

لكن! لم ألجأ للشويقي؟ سأحكي عن موقف طريف جرى معي من بسيوني:

حينما قام المنافقون دعالفة النوَر في 2013 بشن حملة أثناء حكم مرسي قاموا فيها بوضع اليافطات أن الشيعة هم العدو فاحذرهم -كتبت أحذر من دلالة هذا الكلام لأنه حذف للفظ (اليهود) الذين كانوا المذكورين دائما في تلك الصيغة الشعارية التقليدية الشهيرة، ثم نوهت إلى أن السعودية تلعب بورقة الشيعة سياسيا لا عقديا منذ صعود الخميني، وأنهم منافقون في عداوتهم تلك، وأن اليهود أضر على الأمة إجمالا. هنا انتفض سالم وفرغ صفحته يوما لسبي، أنا أعرف ما وراء هذا الانتفاض وأعرف جيدا ملابساته الخفية لكن ليس هذا موطن سردها فأنا ملتزم بالمكتوب المعلن كما ذكرت في المقدمة، إنما كلامي الآن عمن ساند سالم في سبابه وتجريحه وسخريته واستهزائه المعتاد في انتفاضات غضبه الأهوج الطائش: عمرو بسيوني! كتب بسيوني مؤيدا كل تأييد سردا لبعض تاريخ الشيعة قائلا في النهاية العبارة التالية: "**هذه مجرد شريحة واحدة من تاريخ الرافضة ضد المسلمين، كل هذا في غضون قرن ونصف من الزمان. ثم يطلب مطالب المقارنة بين ضرر الرافضة وضرر غيرهم! فالمشكلة كما تقول: الجهل البالغ بالتاريخ والتراث، قبل الجهل الشرعي**" هذا بسيوني وهذا سالم يحتفي به في أبريل 2013.. ثم بعد عام واحد في يونيو 2014 كتب بسيوني: "**موضوع التشيع ومكافحته: الغالب عليه الجهل والهوى من الطرفين، ورؤوس الأموال التي تدعمه كثير منها إما سياسي له أغراض خاصة موجهة أو تابع لمن يغلب عليه الجهل والهوى كذلك. بحيث صار لوجوده على الوضع الحالي من المفاسد ما يقرب من مصالحه. وليس كون أحد الفريقين مصيبا –لا في كل شيء أيضا- يكون مسوغا لكل تصرفاته**" هذا كلام بسيوني نصا بعد عام وشهرين فقط، وطبعا لم ينتفض سالم بل مررها من ذراعه الأيمن، أتذكر تعليق د.البساطي وقتها على هذا المنشور ساخرا ممازحا بسيوني، مشيرا إلى أنه كتب هذا بعد زيارة عاهر الكويت لإيران فورا: "**لأن أمير الكويت في إيران فقد سار عمرو بسيوني في ركاب ولي أمره**" انتظر يا دكتور حتى أجد تعليقا مناسبا على تعليقك.. كيف كان يعلق فخامة قداسة جلالة فضيلة الشيخ الدكتور العلامة رئيس جامعة الإمام مالك العظمى المصنفة عالميا في أول 30 مليون جامعة بارزة، المبجل المعظم خاقان المغربين كمال المرزوقي أعلم أهل درب التبانة من الكائنات التي لم تصل للأربعين بعد وكائد الحاسدين والخوارج المارقين؟ آه.. تذكرت: -ابتسامة! -

لاحظ الدجل:

في الأولى: **مكافحة الشيعة أولوية واجبة لخطورتهم وضررهم الأكبر على الأمة مقارنة بغيرهم ولو كانوا اليهود.**

في الثانية: **مكافحة الشيعة ليس غرضها شريفا عقديا بل هي لعبة سياسية وضرر هذه المكافحة صار مقاربا لمنافعها.**

بسيوني عالم وخصمه جاهل في الأولى. بسيوني عالم وخصمه جاهل في الثانية! قل سبحان الله يا أخي!

كيف أعلق؟! ياللهول: نسيت مرة أخرى! كيف كان يفعلها السيد شاهجهان الأميرالاي المهندسخانة الطبلخانة الدودار عماد الملة رأس المالكية ونور الزمان؟ آه: - ابتسامة! -

لكن، هل يلتزم سالم بما يدعو إليه؟

لا!

سالم لا يكاد يلتزم بهذا الاعتزال المزعوم أكثر من بضعة أشهر- لمن يلاحظ سيجدها دائما أشهر الاضطراب وعدم وضوح الرؤية- فهو مثلا يتوقف تماما ويعتزل الشأن السياسي بعد الانقلاب مباشرة ثم يعود بعد رابعة وزوال كثير من الضباب ليكتب في الشأن العام والسياسة مرة أخرى. سالم يكتب في حالة لا يقل استقرارها المتوقع عن عام، هكذا تجده نارا لاهبة على الإخوان والأحزاب الإسلامية وناقدا جريئا ناصحا على تعداله غير مؤتل: طالما كان المتوقع هو بقاء الإسلاميين في السلطة لزمن أطول مما جرى!

إذن المعتاد من سالم على ساحات مواقع التواصل: الكتابة بصورة دورية في الشأن العام والسياسي، وليس كما يدعي أن هذه مسائل عرضية / فكل متابع له يعلم موقفه التفصيلي من الحركات الإسلامية والجهادية وأغلب الأنظمة السياسية العربية واقعها بل بنيتها: وبمناسبة البنية فقد كتب في النصف الأول من 2013 مقالا يقدم رؤية جديدة للملكية الوراثية وأنها ليست مسبة ولا عارا إنما العار في الجور، ثم استدل على صحة رأيه بكون سليمان ملكا قد ورث المملكة من أبيه –نعم يقول البعض أنه كان في الرياض حينها وهي قرينة ذات دلالة سيئة جدا لذا لن أصدقها!

كما أنه لا يوجد قارئ لأشهر كتبه التي أصدرها بعد يناير 2011 إلا ويعلم أنها سياسية وتتضمن آراء مطولة في الشؤون العامة والسياسات الدولية والحركية وتبيانا مفصلا لشناعات الحركات الجهادية وضحالتها كما في صورة الإسلاميين على الشاشة وما بعد السلفية، بل وحتى كتابه الذي نشره قبل الثورة عن تفجيرات الرياض يعلم القاصي والداني الروح الجامية التي كتب بها، لهذا لم يفت الدكتور بندر الشويقي التعليق عليه مذهولا من هذا التغير (الثوري) الهائل بعد الثورة، الدكتور بالمناسبة فاتته عديد المقالات التي تحدثت عن الاعتزال ها هنا في المرحلة الوسيطة: 2014!

إجابة سالم تكررت ومعروفة ونحن نصدقها فلا توجد قرينة لتكذيبه: أنه يتطور فكريا.. صحيح أن هذه الإجابة جعلت الشويقي يشد شعره غيظا هاتفا بأنه من غير المعقول أن تتحدث أنت وقرناؤك بنفس العنجهية والغرور والثقة المطلقة في كل مرحلة ثم تعتذر بعد هذا بأن فكرك تطور وتتحدث في الجديد بنفس لهجة القديم لكن بمحتوى مناقض لما سلف حتى ليصل إلى درجة التماهي مع نفس من كنت تصمهم بالجهل والفقر العلمي والفكري! لكن هذا خارج موضوعنا الآن. إنما موضوعنا التأكيد أن سالم لم يتوقف عن الكتابة والحديث في الشأن السياسي لا قبل ولا بعد!

فكيف يقال عن مثل هذا الرجل صاحب المواقف المعروفة الثابتة أنه من (رواد الاعتزال)؟!

الشيخ الحويني مثلا رجل معتزل –إلى حد ما- فنحن لا نعرف رؤاه المفصلة في كل حركة إسلامية.. وقد تعامل واقعيا بما يناسب دعوته هذه فحينما جاء الإسلاميون للحكم دعم من بعيد بلا انغماس ولم يتأخر ولم يتقدم، وظهر للجميع أن الرجل يحاول الابتعاد قدر الإمكان ملتزما بما يؤمن به من تجنب للخوض في السياسة. فهل سالم يصنع ذلك، هل هو حقا من (رواد الاعتزال) بل رافع لواء المعتزلة الجدد؟

لا.. سالم يريدك أنت أن تعتزل لكنه لم ولن يعتزل. هو صاحب أطروحة صادفت زمنا مناسبا لرواجها: عليك بنفسك ودع القضاء يجري بما يشاء ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها! في ظل سقوط لأهل الشريعة في كل مكان كيف بالله عليك لا تجد هذه الأطروحة مجالا لتتمطى بصلبها؟

***

قيل يوما: أسأل الله ألا يدل عليك السلاطين!

***

ومثل هذه المقالات قدحت في ذهني فكرة كتاب محاجات المعوقين، فالمتتبع المتأني في دراسة هذه المقالات ويعلم من السيرة قدرا جيدا يعلم أنها، بعد تجريدها: هي هي نفس الأفكار والحجج التي واجهت النبي، ولا أحتاج لسرد ما سبق أن فصلته في الكتاب وما سأزيده تفصيلا في المطبوعة إن شاء الله ويسر. وخذ إن شئت كلام أبي علي هذا مع رئيسه من قبل ثم ضعه في عصر صلاح الدين بعد فتح القدس حينما كان إمبراطور الألمان قادما بمائتي ألف من الشمال لا يمنعه مانع ولا يقدر عليه سلطان ولا إمبراطور، وملكا إنجلترا وفرنسا من الغرب بخمسين ألف: كل هذا والمتهور المخبول صلاح الدين كل ما عنده هو الدعاء بأن يموت ملك ألمانيا وإلا فإذا وصل فقد ضاعت الشام والمقدس وربما مصر معها!

ضع هذا الكلام في وجه مجانين سلاجقة الروم أثناء الحملة الصليبية الثانية ومعركة دوريليوم والتي واجهوا فيها 70 ألف ألماني ثم مثلهم من الفرنسيين في مكان آخر، ومثلها ميريوكيفالون التي واجهوا فيها مانويل كومنين إمبراطور بيزنطة الذي حشد معه مئة ألف جندي، وقبل كل ذلك ملاذكرد التي خاضوها في أراضي بيزنطة التي لم يكن قد قدر على قهرها لا معاوية ولا الرشيد ولا المعتصم. يمكنني ذكر مواقع لا حصر لها كلها بالحسابات تبدو تهورا لا لزوم له ومقامرات قد تجر على المسلمين

الويلات، وقد أسهبت في الكتاب تشريحا لغزوة تبوك وكيف أنها عسكريا وسياسيا -لو طبقنا كلام هؤلاء- ستصبح مهزلة حقيقية ومخاطرة عجيبة: لكن الله نزّل على النبي فيها قرآنا يهجو ويفضح المتخاذلين والمرجفين، يتلى إلى يوم القيامة!

في الختام، فإني أرجوا من الله أن يكون كلامي هذا مخلصا لوجهه وحده، معينا على إرهاب هؤلاء وأشياعهم! وهو على أي حال إرهاب أجوف من مخذلين مرجفين شغفهم حب الرياسة والادعاءات الكبيرة؛ فلا تضيرنا فعالهم بإذن الله بعدما أرهبنا الجبابرة وثبتنا الله وحده بفضله ومنته. وقد كانت إحدى الإسلاميات المعروفات ها هنا قد قالت يوما عن شخص من ذوي الهيئات والعلوم والمعارف أنه وأمثاله من ناقدي (شيخها) سالم لا يساوون حذاءه. ودار مريض عقلي آخر في كل مكان يقول بأن لنا ثأرا شخصيا معه وعداوة شخصية لما صنعه سالم من دناءات في خصومته معي بعامي 2012 و 2013: ولو كان الأمر كذلك ما سامحت حسام عبد العزيز وقد كان هاجمني وقتها بما هو أشد وأنكى في التجريح، لكن ليس وراء الله للمرء مذهب: هذا بيان يسخر منه من يسخر، ويهاجمه من يهاجم؛ لكنه إعذار أمام الله تأخر طويلا، حتى أثارني بارد ثقيل يهاجم المدافعين عن الفلوجة ويصعد -كرئيسه- تدريجيا ليهاجم كل مقاومة وليؤسس فسادا وعلمانية ملتحية وخرابا فكريا ما بعده خراب، والعالمون صامتون تزلفا لا يتحدثون بعدما ارتضوا مكانتهم في الجيتو الوهمي الخائب، هداهم الله ورفع عنهم ما في عقولهم من بلاء.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

***

"السلفيين دوشونا بالدستور والهوية ولا عملوا أي حاجة من ساعة ما دخلوا السياسة.

الإخوان دول بتوع سلطة ودنيا وتجميع وتمييع ولم نر منهم إلا خيانة الثوابت.

مرسي ما عملش اي حاجة ومفيش فرق بينه وبين مبارك.

حازم أبو إسماعيل ظاهرة صوتية لم يستفد منه الإسلاميون أي شيء.

لم نر من التيارات الجهادية سوى أنها كانت السكين الذي ذبحت به الدعوة.

المداخلة دول مجرحة وفقط لا ينصرون حقا ولا يبطلون باطلا.

التبليغ ظاهرة صوفية زادت الأمة جهلا.

قلت: لا شك أن كل تيار لديه أخطاء لكن الصياغات النقدية السابقة ليس لها من النقد سوى الشكل وليس لها من تصوير الخطأ سوى الخديعة عنه وعن حجمه الحقيقي، أما حقيقتها فهي أنها مثال حي لقول النبي صلى الله عليه وسلم: الكبر بطر الحق وغمط الناس"

سالم - في16 أكتوبر 2012!.

وكفى!

(يونيو 2016)

يقول المخذول أبو علي الباقلاني على مجيبا على مقالاتنا بكلام ملخصه: إنكم تتحدثون وتهاجمون الناصحين المشتغلين بالعلم ثم تصنعون بعد غلقكم الإنترنت مثلما نصنع ولا تذهبون لأراضي الجهاد للقتال!

هذا الكلام فيه مغالطتين قبيحتين يستعملها أمثال ذاك المخذول كثيرا، أبينها له:

أولا) أن كلامك هذا توجهه لغلاة الجهاديين ممن يسبون ويحقرون كل من لم يذهب لأراضي الجهاد ويسقطونهم تماما لمجرد أنهم ليسوا هناك؛ أما الحقيقة التي لن تزيفها بمغالطتك هي أن هؤلاء قلة في تيار المواجهة (وتيار المواجهة أوسع من التيار الجهادي مع اعتراضي على تلك التسمية الأخيرة) ومغالطتك هي التعميم الجائر: أخذ شريحة وتقديمها للناس أنها هي الأوسع وهي الأصل ولا أصل غيرها.. هذه هي المغالطة الأولى وهي ناتجة إما عن غفلة بهؤلاء المسلمين الذين تسبهم وتلعنهم وتفاصيل خلافاتهم الدقيقة وإما عن كذب صريح منبعه الهوى.. بل وتكمن فيها مغالطة رجل القش: تأخذ أضعف تلك التوجهات وأكثرها غلوا وتهاجمه وتعتبر خصومك ممن قرروا فضح أمثالك ينتمون إليهم!

فمغالطتك الفاجرة الأولى إن تتبعتها ستجدها حماقة تذروها الرياح، فالتيار الجهادي بالتحديد، موضع سبك ولعنك الرئيس: لم يكن كل رموزه أبدا في أفغانستان وحدها، بل توزعت رموزهم على العالم، وكان رجل كابن لادن، رأس ذاك التيار حتى سنوات مضت: يعذر علماء آل سلول لوقت طويل ثم حدد بهجومه -حين هاجم- علماء السلطة المفضوحين، وأحاديث الظواهري قبل الثورات كانت واضحة الثناء على رجال كأشياخ الدعوة السلفية السكندرية -المنتكسة حاليا- مثل المقدم.

فمنذ متى كان التيار الواسع هو الذي يسقط كل من لم يهاجر ويرفع السلاح؟!

كاذب أنت أو جاهل؟!

ثانيا) أن المغالطة الثانية التي روجها هذا التيار المخذول كان وضع قسمة ثنائية دائمة: إما علم وإما جهاد!

مهلا! لا!

بل وصل الغلو في الخذلان إلى هذه القسمة: إما علم وإما (انشغال) بالجهاد!

بل أكثر وأكثر: إما علم وإما (انشغال) بواقع المسلمين!

هذه القسمة الثنائية الكاذبة التي يلقيها في أقرب مقالب القمامة وجود آلاف من العلماء الذين واجهوا الواقع السياسي في الجزائر وتونس ومصر ومملكة آل سلول وغيرها ولا يجرؤ متعالم منكم على نزع تلك الصفة عنهم: كونهم قد حازوا من العلم الشرعي ما يجعلهم من أهله وخواصه!

أم حسبتم أن علماء المسلمين كلهم كعلماء جزيرة العرب ودمامل الخليج المعاصرين، كبسة ودرس وكبسة وشرح وكبسة واللهم وفق ولاة أمورنا؟!

لا، هذه القسمة الثنائية مغالطة مفضوحة خائبة، ليست المسألة قسمة ثنائية وحتى إن كنتم لا تعترفون بعلم علماء الجهاديين المعاصرين كالمقدسي وغيره -وأنتم متهمون بألف تهمة ترد كل رأي لكم في هؤلاء- فقد كان علماء المسلمين على غير ما تقولون: ففي زمن الما قبل كان الإمام ابن تيمية يضرب به المثل في الجمع بين الجهاد والمشاركة في المعارك الفاصلة مع غزارة التأليف والعلم؛ لكن رحم الله الإمام، فقد صار من زمن الما قبل، ولو كان يفقه أصولكم لانشغل بعلمه وفقهه الغزير وجلس -كما تحجج سالم- منهمكا في علومه وأشغاله، وقد كان المغول فوقه حتى الفولجا وتحته في بادية الشام وعن يمينه من سبابته حتى آخر الصين، ولا يوجد عن شماله إلا حمقى المماليك المتهالكين!

ليست قسمة ثنائية: ليست المسألة إما علم وإما انشغال بهموم المسلمين. تلك مغالطة قبيحة فجة أخرى من مغالطات هذا التيار المخذول.

وما زال هذا التيار المخذول يستطيل ويتبجح، وما زال ينتظر كل سقطة وانهيار بشغف لا ينكره إلا أحمق! وإن لم تسقط الفلوجة لا يشارك المسلمين فرحهم بل يبشرهم أنها ساقطة غدا لا محالة.. وإن أزال المصريون مبارك لا يشاركهم بل يبشرهم أنهم عائدون إلى أمريكا ورجالها لا محالة!

يا له من بؤس وغضب من الله: أن تكون كل مشاركتك في قضايا المسلمين وهمومهم الكبرى -هي انتظار سقوطهم لتتبجح بلهجة متصنعة الحزن: كنت أنا أنا أنا ثم من وافقني -على حق!

لا جمعنا الله وأمثالكم.. لا جمعنا الله وأمثالكم.

(يونيو 2016)

حتى العلماء المتأخرون -المعتزلون، زعموا- الذين يستندون إليهم، لم يكونوا يتدخلون فعلا بأي رأي في السياسة والحرب والجهاد! حتى هذه الحجة ساقطة وكذبة خائبة إن سلمنا بأنها حدثت فعلا!

لم يكن للغزالي رأي في خطة الفاطميين لمجابهة الحملة الصليبية الأولى.

ليس لتلاميذه رأي في خطط زنكي ونور الدين محمود العسكرية والإعلامية.

لم يكن أهل العلم في عهد طموحات صلاح الدين الأولية ينتظرون له سقطاته ليصرخوا بأنه سفاح يثير الفتن بين المسلمين في مصر ويقتل آلاف السودان بدم بارد من أجل عرشه لا من أجل مذهبه، وإلا فقد جاء من قبله بعقود السني رضوان بن ولخشي وزيرا وقاد عملية تغيير مذهبي في مصر ببطء لكنه لم يثر المقتلة تلو المقتلة كما فعل الناصر صلاح الدين رحمه الله.

إن كان الاستناد على صمت هؤلاء المتأخرين وانشغالهم بالعلوم الشرعية، فاصمتوا وانصرفوا ولا نسمعن منكم حرفا في السياسة والحروب والقتال؛ لكنكم -يا مناكيد- لا تصمتون أبدا، ولا تخرسون لحظة واحدة عن الشماتة والوعيد والتوعد بالويل والثبور والتبشير بالهلاك والدمار لكل من يفكر في طريق غير العزلة المريضة؛ فأي علماء هؤلاء الذين تستندون إليهم؟!

قد فتح المسلمون الأندلس ثم قضوا مئات الأعوام -إلا القليل- في صراعات قبلية جاهلية قذرة، كانت نارا لاهبة عاصرها أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل: أعطونا حرفا لأي عالم من هؤلاء الأعلام فيه وصف لهؤلاء المتقاتلين فيما بينهم بأنهم طلاب دنيا فبالتالي يصير داعيا الناس للانصراف عن الجهاد تحت راياتهم؟!

هل طالب أي منهم الناس بالانصراف عن الأمويين أو العباسيين أو الأندلسيين بحجة أنهم ما داموا ليسوا ملائكة لا تتقاتل فيما بينها فلا يشارك مشارك معهم في الجهاد دفاعا عن الأمة؟! بل -صدق أو لا تصدق- كانت هذه إحدى خصائص أهل السنة التي تميزهم عن الخوارج!! الخوارج يريدون ملائكة كي ينصاعوا إليها وأهل السنة يقبلون بجائر أو فاسق ما دام يقيم الجهاد ضد أعداء الله!

ثم ترى لو كان هؤلاء المناكيد في عصر صلاح الدين بألسنتهم المتقيحة تلك وهم يرونه يفك حصارا عن واحدة من أخطر مدن الصليبيين في الشام ويرحل عنها كيلا يجتمع به نور الدين محمود فيعزله عن مصر.. ماذا كانوا سيقولون؟ طالب دنيا وصراع سلطوي بالتأكيد! ماذا عن حروبه في العراق وحصاره المرة تلو المرة للموصل بينما

الساحل الشامي في يد الصليبيين؟ صراع سلطوي وطلاب دنيا بالتأكيد.. ماذا عن مهادنة معاوية للدولة البيزنطية لدرجة دفع جزية لها مفضلا التفرغ لترتيب البيت الداخلي والخلاص من المعارضة؟ صراع سلطوي بالتأكيد!

متى كان صراع المسلمين وتقاتلهم فيما بينهم لأسباب دنيوية من سلطة ونفوذ - معناه أن يتم منع الجهاد معهم ضد الكافرين مطلقا؟ جاء سلف لهؤلاء إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وسأله كيف يجاهد مع العباسيين ثم يأخذوا هم الغنائم وكل شيء بجورهم المعروف.. نهره الإمام وقال له ما لابد أن يتعلمه هؤلاء المناكيد في كل زمان ومكان، أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة مع بر أو فاجر، وأن هذه الحجة التي تبدو عقلانية لا يوجد أسفه منها ومن قائليها، حجة التهرب من الجهاد -لا من دعمه!- بسبب فساد أخلاق الأمراء والمجاهدين: فمن يصد الكافرين يا سفيه أنت وهو إن أردتم ملائكة كي تصدوا الكافرين معهم؟!

ثم.. ثم يا إمام أهل السنة.

أنت تتحدث عن جهاد الطلب.. جهاد ولد العباس لبيزنطة في أرض بيزنطة..

تعال يا إمام وشاهد المناكيد الذين يحاربون كل جهاد ولو كان دفعا لكافر مغتصب.. ولو كان إنكارا موجعا بلسان!

فضيحة والله فضيحة.. إن هؤلاء المناكيد يرسخون أقدامهم في تاريخ المسلمين كأول فرقة تؤسس أطرا نظرية مركبة ومفصلة فلسفيا وفكريا وشرعيا لإبطال الجهاد عمليا وتخذيل الناس وإرجافهم وإرجاء أي مقاومة لحين حدوث معجزة هلامية تنزل علينا من السماء!

فالله الناصر والمستعان على كيد البطالين.

(يونيو 2016)

بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد، فهذه ثلاث مقالات جاءت في الرد على فكر سالم ومن شاكله. إن رأيتم سالم قد رد على واحدة منها أو خرج في هيجانه أمس عن استخدام تلك المغالطات والحيل الخائبة، فأخبروني!

الحق: أن سالم أمس في ردوده المضطربة لم يخرج عما رددنا عليه من حجج.. قافزا على كل ما تناولته في مقالاتي؛ بل كأنما جاء كلامه بالأمس إثباتا وتأكيدا له!

ودعكم من كلامه المضحك عن أنه لم يقل مصطلح (اعتزال الصراع السلطوي)! ثم تهربه بأنه لم يقصد ما فهمناه! بل قصد لكنه قصد الإصلاح المجتمعي، أو قصد ترك الصراع على (رأس) السلطة! إلى آخر تلك السخافات المضطربة المختنقة التي أضحكتني كثيرا بالأمس.. فهذا الخطل والتخليط لا يرضي سوى عشاقه العميان، وبالتأكيد لن يرضي عقلية محترمة.. فلا داعي للحديث عنه كثيرا.

(يوليو 2016)

عام 2003 كان من أكثر الأعوام المريرة التي مرت علي في حياتي وربما في حياة أغلب المسلمين، تحدثت في هذا قبلا فلا داعي لتكراره..

ذاك عام التبجح والانتقام الأمريكي ومشاهد غانيات المارينز بداخل مساجد بغداد وسيل الأفلام الإباحية الذي أغرق الإنترنت وقتها لجنود أمريكان يغتصبون عراقيات! في أفغانستان قبلها بعامين كان هناك انتقام بالدم والحرق - لكن في العراق كان هناك انتقام من الإسلام ذاته! من حرمات المسلمين وأعراضهم. كل مسلم تابع ما جرى بقلب محروق يعلم عم أتحدث!

كنت في السنة الثانية بالكلية، وكان هناك سلفيون في المدينة الجامعية وفي كل مكان.. لن أنسى أبدا أحد أكبر الموضوعات التي كان يتداولها هؤلاء الشباب ويتجادلون فيها أيما مجادلة: إسبال الإزار، وأن ما أسفل الكعبين في النار!

تلكم أعوام جحيم جدالات الإسبال والرأي الفقهي الواحد وإجماع الأئمة على أدق وأكبر الأمور وأن ليس في ديننا قشر ولب!

كان هذا يكوي قلبي ويحرقه حرقا، أهؤلاء في عالم آخر؟! لم أكن في الحق أبغضهم وسط الانحلال المجتمعي؛ لكن امتزج الاحترام مع الغيظ والمرارة؛ كنت مراهقا وقتها، تموج حرارة المشاعر في قلبي!

لم أتحمل سماع جدالاتهم تلك، محنقا كنت: العالم كله يفور فورانا نادرا! المظاهرات المليونية ضد غزو العراق تجتاح العالم! نعم، من المستحيل أن يقبل عقلي أن أشاهد في الأخبار مظاهرة مليونية في لندن وباريس ضد غزو العراق بينما (الإخوة) في ذات الليلة يتناوشون لساعات في أن حالق اللحية فاسق مخنث كما قال ابن حزم أم فاسق فقط؟! وكيف يصنعون مع المجرم مسبل الإزار!

رأيك يا أخ فيما يجري؟! يرد في حزن: ألا تعلم رأيي؟ حسبنا الله ونعم الوكيل في الجبارين!

بذا أرضى ضميره ولله الحمد -فليعد مهرولا إلى حلقة نطح الكباش!

في 2004 كنت أمر وأسرتي بمر مظلم أطبق على أنفاسي، بينما كان نجم الشيخ السلفي الشهير قد بدأ في الصعود، برغم كل شيء شعرت بأن هناك أمل صاعد في هؤلاء: قبل ساعات كنت أقرأ عن أفعال شنيعة للأمريكان في العراق، الآن أضع الشريط وأجلس لأستمع إليه، تصاعد صوته مجلجلا زاعقا: أيها المسلم.. قل لي بربك.. ماذا تفعل حين تجيء يوم الدين أمام ربك وحيدا.. فردا.. عاريا..

فيسألك:

أين لحيتك؟

ارتعشت يداي غضبا! أثالثة الأثافي؟!

كلا يا أوغاد المسألة ليست فقهية! كلا، لا يجوز لحظة أن يجادل في ذلك أحمق سطحي!

قمت مغضبا وانتزعت الشريط ثم رميته بلا ذرة تردد!

(أغسطس 2016)

واحدة من أبرز مستندات المعوِّقين والمخذلين المنتشرة حاليا عن صحة موقفهم باعتزال الصراع والدعوة إليه: حياة الفقهاء بالعموم التي سادت في عصور الملك العضوض..

هذه ظاهرة لافتة بكل تأكيد: لقد صار الفقهاء هم المرجعية النهائية لإقرار ذاك التوجه الأبعد، ولم يعد الأنبياء هم المستند!

حياة الفقهاء شبَّت -كما هو معروف- في أحضان دولة شرسة سلطويا هي الأُمويَّة، كانت تتحسس أي رأس ترنو إلى العرش من بعيد فلا تبقيه ساعة.. ولم يقض عليها إلا إجرام البداية العباسية المفاجئة المنتقمة الشرسة التي زادت الرهبة من التطلع لمجرد القرب من العرش؛ ذاك الزائل الذي يتقاتل عليه المسلمون قتالا إجراميا.. العضوض بحق!

كان من الطبيعي أن يحدث -بحكم الأمر الواقع- انفصال بين العالم الديني والعالم السلطوي في مسألة التنازع على الحكم.. لا فقيه -إجمالا- سيفكر أنه أولى بالإمامة وإلا سيصبح موضع استهداف من السلطان.. ستستمر هذه المهزلة وستستقر، حتى أن ابن تيمية رحمه الله، في قرون متأخرة، بعدما استقرت الظاهرة وتأصلت - سيسارع أثناء عودته من إحدى المعارك وتهليل الأنصار له بالتأكيد أنه رجل دين لا رجل سلطة في رسالة مبطنة للسلطات المملوكية الغاشمة -دائما وأبدا- أني لا سمح الله مجرد فقيه /كأنه واجب على الفقيه ألا يفكر في السلطة أبدا!

المأساة أن يتم التعامل مع هذا الإرث كأنه الحق المطلق، ومع هذا التوجه المجتمعي القديم من الفقهاء كأنه الأصل!

وهذا غريب جدا لا أنفي أبدا دهشتي منه:

فهذه الظاهرة ابنة عصرها ومجتمعها مهما امتد وقت انتشارها.

كما أن زمن ظهورها ورسوخها يقع جميعا بداخل العصور الوسيطة للمسلمين، وهي مما لا يحتج بفعل استقر بداخلها لا دلالة ولا إجماع عليه!

ولا توجد دلالة صريحة على صحة هذا من دين الله -وإلا لو كانت فيه دلالة صريحة (أي وجوب اعتزال الفقهاء) لكانت الندرة منهم التي خرجت قبل استقرار التسليم بالأمر الواقع: آثمة!

ولأثم الإمام الديِّن الشهيد أحمد بن نصر الخزاعي حين خرج على الواثق أخزاه الله /ولا يوجد عاقل من أهل السنة يقول بمثل هذا؛ وهارون الواثق أخف ضررا في المجمل من مجرمين كثر غلبوا على العرش في تاريخ المسلمين!

إذن لا توجد دلالة صريحة قاطعة على صحة هذه الظاهرة من دين الله ولا من أفعال طبقات الاحتجاج الأولى، وغاية ما يقال في تفسيرها أن الأمر الواقع للملك العضوض غلَّب تلك الظاهرة؛ أي ظاهرة وجود الفقهاء والعلماء كطبقة وسيطة لا طموح لها بين السلطة بمكوناتها الملوكية والعسكرية وطبقات الشعب الذي اصطلح على وصفه كله بمصطلح العوام.

أما الاحتجاج بالاندماج المجتمعي الإصلاحي الذي يصمد حتى لو اصطدم بالسلطة بل ويسعى متى جاءت الفرصة للحصول عليها؛ والذي هو مسلك عموم الأنبياء - فلا يتم!

يحدثونك عن وجوب متابعة فقهاء البويهية أو المغولية أوالمملوكية في اعتزالهم المشاركة المجتمعية التي تساهم في الصراع ضد السلطة؛ لكنهم لا يحدثونك عن الأنبياء الذين قادوا هذا الصراع ضد السلطات الفاسدة دينيا ودنيويا!

يحدثونك عن الراحة وعدم الانشغال بمصائب الدنيا السياسية ولا يحدثونك عن ضيق النبي وصحبه من نتيجة معركة جرت على بعد مئات الأميال بين إمبراطوريتين لا تعلمان من هو محمد ولا أهمية مكة دينيا من الأساس!

لقد اهتم النبي وصحبه بانكسار الروم، وهم بلا رابط ولا تأثر حقيقي بهذه النتيجة اللهم إلا التأثر المعنوي بعيد التأويل: فهم أهل كتاب مثلنا والفرس مشركون كأعدائنا! يا الله!

ثم يجيئك بارد متفيهق ليقول لك لماذا تهتم يا طالبا الفقه والعلم بثورات المسلمين ومآسيهم؟ بل بثورات بلدك ومآسيه!

من يجب تمركزه كمرجعية نهائية يتم استبعاده وتجاهله بانتظام - ومن لا يجب جعله كذلك يمجدون في صنيعه ويوجبون متابعته عليه!

هذا كله: ونحن نتحدث عن شعوب ومجتمعات عصور لا يصح قياسها بالمطلق على وقتنا الحاضر، الذي صارت تخرج فيه الشعوب على الحكام الفاسدين بصورة منظمة تطالب بأدنى المطالب الإنسانية والإسلامية وهي الحرية للأحرار!

لا كالغالب على الشعوب القديمة حين لم يكن التعليم ولا أفكار الحقوق المجتمعية والسياسية سائدة ولا منتظمة ولا معروفة بصورة كبيرة، وحين كانت الشعوب تهيج على الحكام الظالمين مؤمنة أن هناك خطأ كبير لكنها لا تعلم تحديدا ما هو الصواب لتفشي الجهل بين الجميع وسيادة نظريات بائدة كوجوب استقرار الحكم في خط وراثي معيَّن!

كما أن السؤال الأكبر الذي يجب أن يتم طرحه لهؤلاء المُعوِّقين: هل المطلوب من المسلمين (الاستسلام) للملك العضوض والجبري أم يجب عليهم التوكل على الله في السعي لإنهائه ووأد ظواهره الفاسدة كلها مجتمعيا وسياسيا؟!

إن كانوا هم السراة أهل الصلاح الأكمل كما يعتقدون في أنفسهم فكيف ينتظرون الأصلح الكامل عدالة وديانة أن يظهر فوق العرش؛ بينما هم معتزلون مروجون لمذهبهم مرغبون فيه بكل السبل؟!

الإمام وتلاميذه أصلح الناس وهم أساس الإصلاح المجتمعي -لكنهم فقط فقط يطالبون الناس ألا تنشغل بالسياسة /ثم يدعون الله أن يولي عليهم الصالحين!

بلا تكاليف ولا مشاق؛ بل وبالعمل عكس ذلك! عجيب غريب!

ما هذا الإرجاء السياسي المخبَّل الذي ينتظر معجزة طوباوية تنزل من السماء فتخلص المسلمين من السلطة الفاسدة ومن أساس فكر الممالك العضوض والجبرية السائد حاليا؟!

وإلى متى سيستمر هذا الجهل بالفارق بين الظواهر الاجتماعية التي غلبت على أفعال الفقهاء باعتبارهم أبناء مجتمعاتهم وعصورهم شاؤوا أم أبوا؛ وبين الأفعال المؤصلة في دين الله التي يجوز لنا الاحتجاج بها؟!

إن هذا هو نوع آخر من الأدلجة الجزئية -الضار جدا بالرغم من ذلك، لأنه تمثل شنيع لمفهوم الإسلاموطوبيا ونمط يستبطن الايمان بأن الإنسان المسلم إما أن يكون عالما أو طالبا للعلم وإما أن يكون سياسيا أو ساعيا للسياسة.. ولا مجال للاندماج بين هذين وكل اندماج من هذا النوع هو انحراف يجب معالجته سريعا!

بذا يخذِّل هذا النمط الطوبوي سراة المسلمين الحاملين للعلم لا عن الانضمام لهموم الأمة وحراكها، بل عن مجرد الاهتمام به، مؤثلا فعله بكتب الطبقات والتراجم التي صارت المركز والمرجعية النهائية للتصويب والتخطئة، لا بكتب السير والمغازي ثم قصص الأنبياء التي هي المرجعية النهائية الحقيقية للتصويب والتخطئة عمليا!

(أكتوبر 2016)

عندما يتحدث الشيخ في السياسة لا يمنعه إلا العلماني، فالشيخ من حقه بل من واجبه كمسلم الاهتمام بشأن المسلمين وسياستهم، فما بالك وهو يعتبر نفسه من أقطابهم؟!

لكن الشيخ بمجرد وضع قدمه في تلك الساحة يجب على الجميع أن يحاسبه بمسميات السياسة ويقيسه بمقاييسها.. فلا ينتفضن منتفض حينها قائلا إياكم والشيخ، الشيخ صاحب علم! فبمثل هذا يقتات العلماني!

ذا الشيخ لم يكن يتحدث في العلوم الشرعية ولم يقم أحدنا باختباره فيها، فليكن أعلم أهل الأرض في الشريعة فهذا لا شأن له بكلامه في السياسة!

ما فعله ويفعله الأشياخ العدوي وأسامه عبدالعظيم وغيرهما في الساحة السياسية اسمه بالمصطلحات السياسية تنويم ووساخة لمصلحة الحاكم العلماني.

مثل هؤلاء في كل مذاهب العلوم السياسية في كل الدنيا يكونون -بسلطتهم العلمية تحديدا- في صدارة المتهمين بتسويد الطغيان ونشر الإفساد في الأرض بتمكين الطواغيت والمجرمين ودفع كل أذى عنهم.

هذا كلام يفجؤك؟ لا بأس.. لكن هذه -في السياسة- هي الحقيقة المجردة.. إن لم تعجبك اذهب وارفع شعار الاعتزال فقد اجتمع -بعد لأي- بعر الكباش الصوفية والسلفية وصار مذهبا! هو دونك فاعتنقه إن شئت!

ونتمنى أن تلزمه حينها، ولا تصنع كحواته المتناقضين -فلا نسمع صوتك في تلك الساحة، متنائيا عن شيخك إن دخلها!

(أكتوبر 2016)

الآن: هل كان منهج الرعاية الأبوية المشيخية (سلفية أو غير سلفية) التي ترشد وتنصح في قراءة الكتب الفكرية والاجتماعية بالمطلق -منهجا خاطئا؟!

لا أتحدث هنا عن الاستخدام القذر الذي قام ببناء أيدولوجيا معينة عن طريق قراءات محددة جدا، ولا اللعن المطلق للكتب الفكرية الذي قرأناه وسمعناه من قبل كثيرا، بل أتحدث عن منهج الرعاية والمتابعة من شخص صاحب علم واطلاع أوسع للشباب وتوجيههم بعيدا عن كتب محددة. هناك فارق دقيق أينعم لكن من المهم فهمه!

أضرب مثالا: كتاب (أسس الشمولية) لهنَّه آرينت (الذي ترجم باسم أسس التوتاليتارية لحنة أرندت!) وهو بالفعل أحد أهم الكتب السياسية في التاريخ الحديث وموصوف بأنه أحد أهم مئة كتاب في القرن الماضي، هل تأتمن أن يقرأه شاب غر لا يدرك الإطار الفلسفي المادي الذي تتحرك فيه هنَّه وخطورة وضعها بعض الأسس الموجودة في الإسلام بل وكل الأديان، في حزمة الأسس الكبرى للشمولية؟! إن آمن ذاك الشاب بكلامها كله -والشباب في بدايته لا ينتقي- ووجدته غدا يناطحك بأنك (مؤدلج) وأن أيدولوجيتك شمولية لأنها تنظم العالم في مقولات ولها تفسير ديني ثابت للواقع عبر التاريخ -وهذه كلها من علامات الشمولية الكبرى- فهل ستتمكن من لومه بعدما نصحته به قبلا؟! هل سيكون من اليسير أن تغير رؤيته بعدما (آمن) بهذه الرؤية (العميقة) التي نصحته أنت بها؟!

قل نفس الكلام على كتب د.المسيري: فالأستاذ يتبع النظرية النقدية في تفسيره للعلاقات الدولية وهي نظرية مدرسة فرانكفورت التي ينتمي نقد د.عبدالوهاب لها ما عدا القليل. هذه النظرية كما أنها مميزة بين النظريات الدولية وتتعيش على ثغرات النظرية الواقعية الدولية وعلى التأويلات الباطنية، إلا أنها كذلك ابنة الماركسية من أوجه كثيرة، ويعتبرها النقاد امتدادا لها، وهذا قد يفسر قولة د.المسيري الشهيرة **(أنا ماركسي على سنة الله ورسوله)**، لكنها متخففة من عدائية الماركسية وأكثر ميلا للخطاب الإنسانوي الرومانسي. كل هذا قد يبدو جميلا لكن في هذا خطورة: فهذه النظرية قائمة على نقد الأيدولوجيات ونقد الأيدولوجيا عامة ونقد الأنظمة القائمة وقائمة على اعتماد التحليلات الباطنية والتأويلية، خطورة هذا؟

خطورته ما رأيناه من انغماس شباب كثر من قراء الأستاذ في نقد كل نظام قائم واللجوء لمنهج التأويل النقدي الذي يميز جدا هذه المدرسة سياسيا واجتماعيا حتى رأينا المهازل تترى مثل أن الجهاديين جماعات حداثية وأن كذا وكذا وكذا! النظرية النقدية أصلا قائمة على ديمومة نقد النظام القائم لاستخراج الأفضل!

إذن لم يكن من الصواب تشجيع القراءة المتعمقة دون إشراف.. ولا أي إشراف: بل إشراف عقلاء أصحاب وعي، على الأقل يقومون بتقديم مقدمة كلامية طويلة قبل الشروع في القراءة، يتم بها فهم فلسفة الكاتب الذي سيقرأ له الشاب الصغير، قبل أن تقرأ اعلم أن آرينت كانت من مدرسة كذا في القرن العشرين وبعض الأسس التي تضعها في الشمولية هي من أسس الأديان والإسلام خصيصا، قبل أن تقرأ وتنغمس اعلم أن د.المسيري من مدرسة اجتماعية وسياسية صفاتها كذا وكذا ونقادها هم فلان وفلان وهذه المدرسة مشكلتها مع الإسلام كذا.

لهذا كله أحسب أن قوائم القراءة العامة (الثقافية لا الشرعية فهذه لها رأي آخر)، برغم فائدتها العالية، من الخطير أن تكون معروضة هكذا في المطلق للجميع! يقرؤها شاب أو رجل قليل الحظ من الثقافة والمعرفة والعلم فيفتتن بمنطقها، في حين القائمة موضوعة باعتبار أن القارئ سيمكنه التفرقة ومعرفة النظريات الكامنة والفكر الخفي المهيمن على الكتب وبالتالي عنده أدوات استخراج الذهب المدفون وسط الأشواك! هذا أمر قد يليق بجماعات ليبرالية أو علمانية، حيث لا ديانة ولا قيد ولا اهتمام حقيقي بأحد.. إنما لا تليق بالتأكيد بمسلم. كيف يمكن التوفيق بين ضرورة هذه المبادئ وبين رفض سيادة مفهوم (بابا الشيخ)، هذا ولابد موضع اجتهاد!

(ديسمبر 2016)

هل من الطبيعي أن يكون رد أحدهم على نقد فكر محمد بن عبدالوهاب هو لعن الناقد؟! نعم، رأيت ردا يقول صراحة: لعن الله منتقده! هل هذا طبيعي؟!

هل من الطبيعي أن يكون رد أحدهم على مجرد الإفتاء بحل المعازف أن لعنة الله على المميعين؟! هل من الطبيعي أن ينقل أحدهم نقلا قديما -قيل في عصر غير العصر وأعراف غير الأعراف- عن أن الحليق مخنث! ثم يشرع في سب ولعن كل من قال رأيا آخر! بل ينتفض كبرا وغيظا ضد من يتهمه بأنه يلعن غالب المسلمين حاليًا ويصفهم بالتخنث بنقله المتهور هذا؛ بل يتهم ديانة كل من أفتى بغير وجوب اللحية؟!

هل هذه الأمور كلها طبيعية؟!

إن التصدي للتوجه العام لأشخاص معينين لا يستلزم إعادة بناء صنم موضوع السلفيّة الثقيل.. ولا نتحدث هنا لحظة عن المعتقدات.. بل عن عيوب السلفية التقليدية التي أودت بساحات كاملة إلى دمار ونزاع لم ولن ينتهي..

تلك الحمية التي دفعت الكثيرين لمواجهة ذوات أشخاص أبصر جمهور الناس معايبهم -لا تستلزم الغلو بل التطرف في الدفاع عن هذا الفكر السلفي وتلك العقلية السلفية البائسة التي تستحق أن تنتهي من الساحة تماما!

لأجل الله أخبرونا: هل نسيتم ما جرى بالأمس؟! هل نسيتم كيف توقف الأخ السلفي عن النقاش في تفسيق مسبل الإزار وحالق اللحية من مخالفيه ليتناقش في تكفير كل من ليس على (جادته) السياسية من مخالفيه؟! كيف ترك طاعة ولي الأمر العميل وطعن وخورجة كل من عداه لينتقل إلى طاعة ولي الأمر المجاهد وطعن وتكفير كل من عداه؟!

لا والله! تلك السلفية البائسة عدو لم يزل!

وخطرها قائم أبدا وأي تهاون مع بعثها من مرقدها كارثة!

إن ذاك العملاق المبعوث لمواجهة ذوات معيَّنة، قادر فعلا أن يسحقهم.. لكنه سيسحق الجميع وأولهم باعثيه، في الخطوة التالية مباشرة!

هذا وموقفي معروف من أغلب ناقديها الحاليين، وموقفهم أجمعين مني معروف ولا يحتاج لبيان.. لكن السكوت عن هذه الخطيئة أمر لا يُطاق!

(يناير 2017)

إلا قلة؛ الأكثر لا يفهمون كيف يفرقون بين رأي (الشيخ) السياسي والاجتماعي.. ورأيه الشرعي!

وما أتانا العلمانيون إلا من هذا الموطن!

كتبت قبلا أني أعتبر كلام الإمام ابن تيمية وإطلاقه أن الثورات لا تأتي بخير في معرض كلامه عن الحسين رضي الله عنه -كلام يجب أن يمر الإنسان المعاصر به ولا يعيره أهمية كبيرة.. الإمام ابن تيمية من كبار علماء الإسلام في الشريعة لا علم الاجتماع ولا العلوم السياسية والتاريخ.. وخريج كلية تدرس هذه المجالات في زماننا وقد مر على دوركايم وفيبر وغيرهما هو أعلم وأرسخ رأيا في هذه المجالات .. ولا أدرك حتى الآن كيف يقبل البعض التسليم بأن الإمام أقل علما في اللغة من سيبويه أو ابن جني لكنه لا يقبل أن يكون أقل في السياسة والاجتماع من علوم لم تكن وجدت في زمنه أصلا!

كتبت منذ قليل عن الشيخ الغزالي ومقولاته المطلقة الخطابية من نوعية أن المتدينين الملتزمين السبب الأكبر في كراهية الالتزام وأخريات على هذا المنوال.. فرد الدكتور خالد أبو شادي أن لا ينتقد الشيخ إلا من كان في علمه! هذا مدهش؛ فأنا لم أتحدث عن (علم) الشيخ ها هنا - وبنفس منطقه هذا فالشيخ تحدث في مسائل ومواضيع سياسية واجتماعية يعلم دارسو هذه العلوم أنها لا تعدو مجرد مجموعات كليشيهات أو خليط من الآراء فيه عوار قد يكشفه غير المتخصص قبل المتخصص.. فلماذا لم يقل هذا المعترض أن على الشيخ ألا يتكلم في غير علمه وألا يتحدث في مئات المواضيع التي كان يتحدث فيها ويطلق الأحكام بلا توقف؟!

إن مفهوم (بابا الشيخ) العالم الذي يعرف كل شيء هو زاد العلمانيين .. وياليت هذه الكارثة محصورة في السلفيين!

(يناير 2017)

لا أعرف كيف أقولها نصيحة؛ والمنصوحين أنداد / وشر النصيحة نصيحة ندك وقرينك! لكن على أي حال سأقولها وعلى الله التكلان: إصراركم على لعب دور مثقفي السلطة لتميم القطري تارة ولإردوغان التركي تارات؛ هو وصمة عار في تاريخكم ستدفعون ثمنها الكثير مستقبلا من مصداقيتكم!

مثقف السلطة صاحب خزي باطني لا يكاد يزول؛ ولم يكن إدوارد سعيد مبالغا أبدا حين اعتبر مسؤولية المثقف والمفكر لا تنفك عن المعارضة.. ونعم هناك طبقة ثقافية وفكرية لابد أن تعي خطورة دورها الإسلامي المنوط بها؛ ولا تنشغل كثيرا ببنيات السلفية التقليدية من هوس تقسيم طبقات المجتمع إلى علماء ورعاع وهو التقسيم الساذج الذي يتجاهل واقع كون المجتمع في التاريخ الإسلامي تشكل فعليا من طبقات أكثر ثراء وتعقيدا: سلطان وبيت حاكم وأمراء وعسكر (ثم) علماء ورعاع!

إن المسار الأوروبي طور علماء الميتافيزيقا إلى طبقة ثقافية فكرية منشغلة بواقعها فكانت من أنفع الطبقات تاريخيا في تطوير أمتها - ومن حسنات القرن الماضي انتقال هذه الطبقة إلينا -ودعكم من سخافات السلفيين وترهاتهم فقد انتفع المسلمون بفكر المودودي وقطب والسوري ألفي ضعف انتفاعهم بالسعدي أو الكوثري- فلابد أن تحافظ الفئة المثقفة على مسؤولياتها النقدية والمعارضة ولا تتحول لهذا المسخ السلطاني!

الفصل السابع: **إسلاموطوبيا التنظيم**

إن الحديث عن إسلاموطوبيا التنظيم لن يستقيم دون الحديث عن معالم الشمولية في التنظيمات الإسلامية[1]، والحديث عن الشمولية موضوع شائك جدا، لأن واصفي الشمولية الغربيين –كما ذكرت في المدخل- قد توسعوا جدا حتى وضعوا الكثير من صفات الأديان -والإسلام من ضمنها بكل تأكيد- في خانة الأسس التي تقوم عليها. فمبادئ مثل التعميمات وتقديم السرديات الكبرى تاريخيا والرؤى التي تتحدث على مستوى كوني وإلهي والإيمان بمركزية أمة ما في الأرض، كلها مفاهيم يتم تصنيفها في الغرب على أنها أسس للشمولية! لهذا إن لم تنتبه لموضع قدمك ستنزلق لا شعوريا للإلحاد عن دين الله.

لكن برغم ذلك يبقى التنازل عن هذه الأداة التفسيرية الفريدة مما يحجب جانبا كبيرا من الواقع التنظيمي والحركي للجماعات والتنظيمات والأحزاب والدول[2].

سيكون محور هذا الفصل الرئيسي هو نموذج (مثالي) بدرجة كبيرة لرؤية الآثار الشمولية في فكره وسيتمكن القارئ بسهولة من الاستنتاج بنفسه أي تلك الآثار تجد مثلها عند الإخوان أو غيرهم. نموذج تنظيم الدولة / داعش / دولة الإسلام في العراق والشام، أو، حتى: دولة الخلافة![3] وسيتمثل المحور الفرعي في تنظيمين تجلت فيهما علامات الشمولية: الجزئية عند الإخوان (شمولية الألتراس) / والكلية عند حركة أحرار.

لكنني أجد من الضروري قبل البدء أن أمهد ببضع نقاط توضيحية:

أولا: لا يمكن إنكار أن الكثير من تحذيرات التنظيم وأسس عدائه لفصائل الساحة السورية والتي كانت على أساس خبرته السابقة ضد أمريكا في العراق وكيفية تجنيدها الفصائل السنية وتحويل توجهاتها الجهادية الحرة إلى توجهات وظيفية تخدم القوى الكبرى وتمسح التواجد الجهادي من على الأرض –أن هذا كله قد ثبت صحته في النهاية بصورة ما؛ لكن هذا ضاع وسط الصراخ الهيستيري الشمولي والمتعصب وألعن أسلوب توضيح يمكن استخدامه: تكفير وذبح وتفجير الفصائل الأخرى! وهذا التنبيه لا يعني أبدا الموافقة على المنهج المستعمل (لتنقية الساحة) من (العملاء) ولا التنازل عن رفض الأسلوب الجائر الغاشم الذي لجأ إليه التنظيم لصنع ضربة استباقية لأمريكا –فكما ذكرت في المقدمة هذا أسلوب كارثي وأهل السنة معروفون بأنهم يجيزون في الدفاع

---

1) سأستعمل في هذا الفصل المقاربة الآرينتية (هنه آرينت) التي قدمتها في كتابها الأشهر أسس التوتاليتارية، كنموذج تفسيري.

2) هذه الآثار التي سأذكرها منتشرة فوق ما يتصور البعض، وهي موجودة حتى عند بعض من ينتسبون للمدارس الناقدة للشمولية والحداثة! لكنهم يظنون أن الممارسة الشبكية ضد الآخرين (ممارساتهم على الإنترنت) مغفورة لهم أو لا يمكن –ببساطة- تصنيفها على أنها ممارسة شمولية لأن الشبكات الاجتماعية أهون شأنا من ذلك! إن طقس التحفيل (من الحفلة) الذي يقوم به الكثيرون عن طريق الشبكات تركيزا وشيطنة لشخص معين، رغبة في تشويهه وتدميره بالسخرية الجارحة والاستهزاء المتجاوز هو طقس شمولي شاؤوا أم أبوا. والفارق هائل بين مفهوم (النقد الجماعي لشخص) وبين مفهوم (التحفيل) الشبكي الذي يمارس على نطاق واسع حتى من أشد الناس عداء ونقدا للشمولية والاستبداد، وهذا مما يعلمه كل من جرب هذا وذاك. لكني سأتجاوز ذلك الآن فأغلب المهووسين بهذا الطقس قد تمت مناقشة أفكارهم الرئيسية سابقا.

3) سأدعو هذا الكيان ها هنا باسم تنظيم الدولة. وهو اسم يثير ضيق المتطرفين من الجانبين: أولئك الذين لا يرضون الا باسم دولة الخلافة والآخرين الذين لا يرضون إلا باسم داعش، لذا أجده مرضيا جدا

والعسر ما لا يجوز في التوسع واليسر. وعلى أي حال فقد نجح الأعداء في تعديل المخططات وإفشال الجميع واستخدام هذه الضربة الاستباقية نفسها في توظيف المزيد من العملاء في الساحة! لقد نجحوا في إدارة (إدارة التوحش) لصالحهم!

ثانيا: لا يمكن إنكار تفوق رؤيته عمليا -حتى الآن على الأقل- على فكرة أبي مصعب السوري التي تمركزت منذ مجيء الدكتور أيمن زعيما للقاعدة كركن استراتيجي: عدم الشروع في بناء دولة والاهتمام الكبير بعدم صنع أي حالة عدائية مع الوسط المجاهد أو السكان وصناعة (حالة) مقاومة إسلامية عالمية. إن هذه الفكرة لم تعد رأيا قابلا للجدل عند القاعدة بل صارت منهجية عمل لا تمس ولا تناقش جدوى استمرارها! هكذا وجدت جبهة النصرة نفسها تسير على المسار الحرفي لرؤية الشيخ أبي مصعب فتتحالف مع فصائل تعلم يقينا أنها عميلة للغرب بالقناطر التركية أو السعودية أو القطرية؛ وترضخ للضغوطات تلو الضغوطات ويقل دورها وتنقص قدراتها يوما وراء الآخر بسبب تحول الساحة السورية كلها إلى ملاعب عالمية لا مكان فيها لطوبويين مثلهم! لقد أثبتت الساحة السورية وتجربة النصرة أن الأمر لن يسير بهذه الصورة الطوبوية المثالية وأن العمل الاستخباراتي الدولي يقرأ جيدا هذه المخططات ويعلم أن حلها بسيط: لا تريد أن تصنع عداوات إنما تحالفات؟ إذن فلتتحالف مع كل صنائعنا! الساحة ستمتلئ برجالنا الذين سيضغطون عليك طوال الوقت ويبددون قدراتك القتالية في معارك تضييع وقت! ضف إلى ذلك أن مفهوم ترك الفصائل الكثيرة في الساحة دفعا للعداوات ضرب أحد أسس القوة في مقتل: وجوب التوحد! منهجية السوري تلك سمحت للقوى التي تواجدت وتلاعبت بالساحة أن تُبقي التشتت والتشرذم حتى في أحلك اللحظات! إن كان ماكس فيبر قد تحدث قبلا عن (ضرورة) احتكار الدولة للعنف كمصدر رئيسي للشرعية السياسية، فالسوري قد تحدث عن (ضرورة) عدم الدولة أساسا وبالتالي عدم احتكار أي طرف للقدرة والعنف أثناء الجهاد –ما كان يعني في النهاية ترسيخ تعدد الجماعات المسلحة والمليشيات والأيدولوجيات المتصادمة في الساحات الجهادية المفتوحة والمهلهلة! لقد تم القضاء جذريا على إمكان التوحد تحت راية واحدة؛ فكان لهذه الأيدولوجيا نصيب مما جرى في الشام.

ثالثا: أنه برغم أن تنظيم الدولة أثبت تفوقا هائلا في الحرب الجهادية الجديدة التي مزجت الحرب النظامية بحرب العصابات، والذي كان لصالحه كثيرا؛ لكنه للأسف لن يكون بالضرورة في صالح (من بعده) بسبب العامل الشمولي الذي يحركه وسنتحدث عن هذا لاحقا.

رابعا: أن رأيي الشخصي في هذا التنظيم أنه يضم جماعات من الغلاة وكثيرا من الخوارج، وأنه امتداد متطور للدعوة الوهابية النجدية الغالية عقديا. والخوارج عندي -تبعا للإمام ابن تيمية الذي كان يدخل النصيرية مثلا في هذا التصنيف- هو مصطلح واسع لا يعني بالضرورة أنهم امتداد لابن ملجم يتم تنزيل كل الأحكام والتوصيفات والأحاديث عليهم. كما أني لا أكفرهم وإنما أعتبرهم من جملة المسلمين لهم حقوق علينا من موالاة ونصرة أمام الكافرين وعليهم واجبات لأهل السنة هم آثمون مجرمون أن لم يحفظوها مثل التوقف عن تكفير المسلمين بالظنة والشبهة واللوازم والتأويلات السيئة فضلا عن التفاخر بقتل المجاهدين من غيرهم أشنع قتلة. وأرى أن تكفيرهم المبالغ فيه هذا أصله سياسي شمولي أكثر منه عقدي بحت؛ وبالتالي فانتماؤهم بصورة ما لأهل السنة أو دفاعهم عنهم على الأقل أعتبره من جملة الجهاد كما اعتبرت قتال الإباضية في شرق أفريقيا جهادا وهم ليسوا من أهل السنة صراحة ولا يعترفون لحظة بهذا. أقول هذا موضحا موقفي لأن التعامل مع هذا التنظيم نفسه بأي صورة أمر خطير؛ فهو عدواني للغاية شمولي للغاية ينظر بريبة لكل من لا يهلل له وتكاد تكون وظيفته الكبرى –كأي تنظيم شمولي يحترم ذاته- هي مسح كل صوت يفكر

وينقد من الساحة، حتى لو كان في إطار تأييده! لابد من إلغاء الذات وإخضاعها للموضوع والمشروع الشامل! وفي الجهة المقابلة التي تعارضه هناك قطعان من أسافل خلق الله وأكثرهم هوسا باختبار الناس وتصنيفهم بأسئلة من طراز: هل أنتم مؤيدون للخوارج أحفاد ابن ملجم الذين قال عنهم الرسول لو أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أم لا؟! هذا السؤال المفخخ الذي من شدة تضمنه لأحكام ومصادرات لا تملك إلا التوقف عن الكلام لا عجزا بل غثيانا! طبعا لن أتحدث عن المخابيل أصحاب السؤال الشهير جدا: هل أنت مؤيد لداعش العميلة لأمريكا وبشار أم لا؟! هؤلاء الحمقى الذين يصيبونني بالغثيان متى تذكرتهم وتذكرت أسماءهم الكبيرة بالباطل فلا داعي لمزيد من الاشمئزاز بالاسترسال في الكلام عنهم!

بعد هذه المقدمة الضرورية، أبدأ في استعراض أهم التصرفات الشمولية في أفعال التنظيم وأتباعه كمحور رئيسي بعد مدخل ضروري تفسيري لكل ما بعده.

***

مدخل -هوية المعسكرين:

العالم معسكرين، إيمان وكفر. هذا هو أول الأسس الدينية بشكل عام. لكن في رؤية التنظيم العالم يتكون من معسكرين: التنظيم والكفار! إن باقي مكونات العالم التي ترفض التنظيم أو تراه منحرفا ليست مجرد معارضات إسلامية؛ بل معارضات كفرية! يتكون التنظيم الشمولي عادة من (منتسب) و(متعاطف). المنتسبون في حالتنا هذه هم المجاهدون الفاعلون في أراضي الجهاد، والمتعاطفون هم آلاف ممن اصطُلِح على تسميتهم ألتراس أو مناصرين[1]. المنتسبون هم (العالم الحقيقي) بالنسبة لحزام المتعاطفين الذي يحيط بهذه الدائرة التنظيمية، هم عالم الإيمان والإسلام (الوحيد)؛ بينما كل من هو خارج التنظيم كافر أو فاسق أو –في أقل حالاته- قاعد متفلسف مفلس لا يلتحق بركب الجهاد/التنظيم.

هذا الإيمان كان ينقصه فقط التمهيد قبل الإعلان وتجميع الحجج، هكذا رويدا رويدا انتقل التنظيم من تكفير إخوان العراق إلى تكفير إخوان سوريا إلى تعميم التكفير على كل مدارس الإخوان مكانيا ثم رويدا رويدا بدأ يتجه نحو المؤسسين – ثم بدأ في نسبة الكثير من الفصائل العاملة في سوريا إلى الإخوان منهجيا وبالتالي بدأ يكفرهم – ثم توجه نحو المتعاطفين معهم أو المتحالفين فبدأ يكفر الجميع حتى القاعدة والنصرة والشيخ حازم أبو إسماعيل. لقد تم تكفير (العالم) الذي يقف خارج الدائرة، حتى صارت المجلات الرسمية للتنظيم يتم انتظارها كمجلات الموضة لمعرفة أحدث أزياء التكفير وآخر الأخبار المفاجئة دائما: اليوم قاعدة اليمن.. لكن العدد القادم سيكون مفاجأة أكبر: تكفير القاعدة في كل مكان. انتظروا قليلا: تحبون حازم أبو إسماعيل؟ فلنصدر عددا مفاجئا عن (الطاغوت) أبو إسماعيل!

إن هذه المنظومة لا ينتمي تفسيرها لفساد العقيدة فقط؛ إنما تفسيرها الأكبر يأتي من دراسة نمط التنظيمات الشمولية عامة. هكذا لا تمر ساعة إلا والأدلجة الجزئية التي بدأ بها التنظيم تتسع يوما وراء الآخر وتدخل طوال الوقت المسائل الفقهية المختلف فيها أو النوازل إلى أبواب الإجماع[2] سعيا للوصول إلى الإسلاموطوبيا التي رسمها التنظيم: الخلافة الطوبوية المستعادة على منهاج النبوة!

---

1) أول من قرأت عنده مصطلح الألتراس، وقد كان يتفاخر –وله الحق- بأنه أول من وضعه، هو الشاب إسماعيل الشريف ابن الشيخ سيد إمام الشريف.

2) وقد تتجاهل قول الجمهور إن كان في غير صالح التنظيم بحالة شمولية فقهية تستبعد الفقهاء الأشاعرة أو غير الحنابلة عامة!

إن المركز المعرفي والأصولي الذي انطلقوا وينطلقون منه هو مركز أهل السنة، لكن النهاية الطوبوية الشمولية المنشودة تزرع فيهم صناعة الأدلجة والانحراف طوال الوقت.

ولأن التنظيم هو الإسلام والباقي كفار أو فساق فالنزعة العصامية تبقى محركة لديه إلى النهاية. وهي النزعة ذات الآثار الخطيرة حركيا والتي تمنع التعاون ونقل الخبرات السياسية والجهادية بين التيارات الإسلامية.

إن هذه النزعة العدائية والعصامية ليست حكرا على تنظيم الدولة فقط؛ بل عند الكثير من التنظيمات والحركات حتى التي لا تستوفي كافة علامات الشمولية؛ وهي تجعل كل تنظيم إسلامي يبدأ المعركة من الصفر مرة أخرى.

كما تمنع الطبيعة السرية للعمل السياسي والجهادي ووقوع عمليات إبادة شبه كاملة لأجيال متتالية (فوق العداء المشترك بين الجميع) إلى حدوث قطيعة معرفية تحجز الأجيال الجديدة عن التعرف على تجارب السابقين بصورة واضحة وكاملة: فالسابق فاشل، وهذا أمر لا يشوق كثيرا للاستماع له، ثم أنه حتى إذا وجد وتبقى من الضربات الإبادية لجماعته وقبل بالتحدث وقبلوا بالاستماع؛ فإنه لا ينقل تجربته بصورة كاملة لأنه في النهاية كان مجرد فرد في منظومة سرية من شبه المستحيل الإحاطة بها إلا لرؤوس نادرة جدا وغالبا ما يكون قد تم تصفيتها!

وكل هذا بشرط أن تكون روح المقاومة ما زالت حية في نفس ذاك المناضل القديم، لأنه غالبا ما يكون قد تم تدميرها بمرور الأزمان عليه في السجن وإعادة تشكله نفسيا ليكون أقل راديكالية وصلابة: وليس الأخوين الزمر فقط هما المثال الأبرز على هذا النموذج، بل سنجده عند أوجلان الذي أعلن بعد سبع سنوات فقط من اعتقاله وعبر محاميه في 2006 مبادرة لوقف الصدام مع تركيا واللجوء للعمل السلمي في التفاوض السياسي[1]. هذه العوائق كلها تجعل عملية البناء المعرفي للتنظيمات (الفتية) محكومة بعقلية ومهارة قادتها الذين يكونون غالبا في سن الشباب، لكن تميزهم يصيبهم بالغرور المعتاد والكافي جدا -من وجهة نظر الأنظمة- لهزيمتهم! فالأنظمة العالمية وشبكة التعاون المخابراتي المعولمة ضد الحراك الإسلامي تتبادل الخبرات وتتعاون بصورة دائمة لتقديم فهم كامل للتنظيمات الموجودة أو حتى البائدة. نعم ليست الإسلامية أو حتى المقاومة فقط هي من يتم التبادل بشأنها، لكن بكل تأكيد هناك اهتمام خاص بالمقاومة الإسلامية الجهادية تحديدا لأنها هي التي تخوض المعركة وحيدة منذ عقدين حتى الآن. وهذه حالة نادرة! فلطالما كان اليسار الثوري أو القومية المتطرفة أو الشوفينية الوطنية من المشاركين الفعالين في المقاومة العالمية القتالية؛ لكن بانهيار السوفيت بدا كما لو أن هذا العصر قد انتهى ولجأ الجميع للحراك السياسي محدود العنف أو المقاومة الرمزية في قوالب المجتمع السياسي المدني وبالذات الحقوقية. فهذا التبادل المعولم للمعلومات الإستخباراتية يصنع قاعدة بيانات مذهلة عن سيكولوجية التنظيمات الإسلامية وبنيتها والعوامل المؤثرة فيها؛ وبالتالي يضخ كل معرفة وكل خبرة سابقة، بصورة عملية حيادية وبنظرة شاملة واسعة، إلى المنظومة الوطنية التي تقوم بمواجهة كل تنظيم إسلامي أو جهادي جديد!

هذه إذن مواجهة عجيبة: بين طرف أدبياته –إن وجدت- لا تسمح بمعرفة شاملة ويغلب عليها الطابع الدعوي الحشدي أو، بعدما دخل التيار السلفي العلموي في التنظيمات الجهادية، يغلب عليه المناقشات السلفية الشهيرة في دقائق الدقائق من العقيدة،

---

1) العثمنة الجديدة: 234.

وامتحان الناس في مسائل فقهية إما فيها خلاف واسع وإما يسع الكف عنها في وقت مواجهة كبرى، بالإضافة لشبه استحالة نقل التراث الشفهي السري من السلف للخلف، للأسباب التي ذكرتها آنفا – وطرف آخر يتعاون بصورة عولمية ويملك خبرات (سحق شامل) كثيرة ومتنوعة ولا ينشغل إلا بالمسائل السياسية والاستراتيجيات الحركية القتالية والسيكولوجية الإعلامية في تدمير الحراك الإسلامي المقاوم!

هذه مواجهة غير متكافئة بكل تأكيد، ليس فقط من جهة السلاح، بل لن أكون مبالغا إن قلت أن عامل فارق التسليح ليس هو السبب الأكبر في كثير من المحاولات الفاشلة، بل غياب المرجعية النظرية الكافية عن التجارب والمحاولات السابقة لدى الطرف الذي يحتاجها بشدة لإكمال نقصها وتلافي عيوبها!

إن اللعبة السياسية والنفسية الإعلامية تتكرر بلا توقف وفي كل مرة لا يكاد يوجد انتباه لما جرى سابقا، إما بسبب غياب المعلومات الكاملة غير المؤدلجة أو غير المشوشة، وإما بسبب التذاكي الذي تظن به كل حركة شابة أنها أكثر فهما من السابقة عليها وستتلافى معايبها، وقد رأينا في حركات مثل أحرار الشام نموذجا لهذا التذاكي الذي أودى بهم المهالك!

إن أصغر التجارب الإسلامية السابقة يمكن أن تفيد في تقديم معرفة حاسمة تنبه لخطورة مسار محدد، ولقد جرى قديما أثناء اعتصام رابعة نقاش بيني وبين أحد المخضرمين في معرفة الحركات الإسلامية عن الحركة المصرية (أحرار)، التي بالإضافة لتصرفاتها الشمولية المفضوحة ومهدوية زعيمها الواضحة، كانت تتعامل بصورة مضحكة على أنها نموذج متفرد جديد لا مثيل له وأن الكل مذعور منه –فأيد كلامي منبها أنها تتشابه من أوجه كثيرة مع حركة صغيرة قديمة اسمها الشوقيين، هذه حركة لا يكاد النطاق المصري المحلي ولا الإسلامي يعرفها لا من جهة العوام ولا حتى بين أوساط كثير من القيادات الإسلامية، لكنها مع ذلك كانت معلومة فقط لجهتين: متخصص/منبوذ من الحركة الإسلامية، أو الجهات الأمنية الوطنية المصرية فقط! تخيل أن هذه الخبرة الأمنية بالحركات الصغرى الفاشلة مثل الشوقيين وأحرار تنتقل، بواسطة العولمة الإستخباراتية، إلى دولة بعيدة جدا عن مجرد الاحتمال، مثل نيجيريا أو دولة من أمريكا الجنوبية![1]

لكن فكرة العالم الكافر والتنظيم المؤمن الشمولية لن تنقل أي خبرة مهما كانت كبيرة وهامة وضرورية إلى الساحة الإسلامية العامة أو الخاصة غير التابعة: فالتنظيم هو ذاته نهاية التاريخ والتمثيل (الأوحد) لا (الأفضل) لدولة الإسلام التي هي (باقية وتتمدد) (رغم أنف الكافرين)!

إن دولة الخلفاء الراشدين والصحابة نفسها لم ترفع شعار (باقية وتتمدد) المطلق هذا؛ فالكل زائل حتى دولتي آخر الزمان: دولة المهدي ودولة عيسى عليه السلام. حتى هذه الدول الموعودة ستزول و(تقوم القيامة على شرار الخلق)! لكن (دولة الإسلام) وحدها هي المستمرة دائما وأبدا لأن المعركة لن تنتهي وطالما المعركة باقية والكر والفر باقٍ (فالدولة) باقية!

هذا المدخل لا غنى عنه كتفسير عام لكل ما هو قادم من تصرفات شمولية:

---

1) للأسف هناك سبب ما يجعل البعض يهوي في دركات الحماقة للدرجة التي يظن بها أن الحركات المقاومة فقط هي التي تقرأ التاريخ وأن الثورة المصرية التي انتشر فيها أدب التعرف على النموذج الروماني الفاشل والجزائري الدموي، لم يقابلها عمل أمني واستخباراتي مصري مقابل يتعرف بصورة أكثر عمقا وأكثر تماسكا على النماذج الأخرى التي قهرت فيها الدولة الثورات! إن هذا الاعتقاد الساذج بالقطيعة المعرفية بين وحدات المنظومة العالمية هو أحد أكثر الأفكار الساذجة التي رأيتها انتشارا وفي نفس الوقت لا تكاد تناقش إطلاقا!

أولا- في التعامل مع العدو:

إن هوية العدو، تبعا لما سبق: واسعة جدا ولا تتوقف أبدا بصورة عملية. فكل من هو خارج سياق التنظيم/جماعة المسلمين -ولو بالانتساب الشبكي- هو عدو كافر أصلي أو مرتد أو فاسق أو قاعد. والعدو كله وحدة واحدة متآمرة على دولة الإسلام بصورة واضحة أو بصورة خبيثة ماكرة، بوعي منه أو بلا وعي. **(إنك بقتال الدولة الاسلامية تقع بالكفر من حيث تدري أو لا تدري)** بكلمات العدناني متحدثهم الرسمي القتيل. لذا هم لا يأبهون كثيرا بحديثك عن (معرفة) العدو الذي يقاتلك جيدا والتفرقة –مثلا- بين الزيود اليمنيين والرافضة: فهم كلهم روافض! والذي يذكر ثورة إيران بخير مشكوك في رافضيته وهو من الخصوم أو الأعداء. إن (الكفر الشائع) ومؤامرته العالمية على دولة الإسلام والتوحد في الباطن عليها يدفعهم إلى تبني حملات دعائية سياسية دائمة لكشف (تآمر جميع الكفار والمرتدين) على الدولة؛ بالتالي يبرز الخطاب الذي يوحد بين الجميع ويستفز الجميع لقتال الدولة: سنقاتلكم جميعا دفعة واحدة! من الناحية السياسية هذا جنون ومن الناحية الشرعية هذا جنون: فالنبي حين بناء الدولة لم يعلن الحرب على دول العالم كلها موحدا بين قبائل نجد والفرس والروم والمنافقين: أنتم كلكم أعدائي فهلموا إلى سأقاتلكم جميعا في نفس اللحظة! بل سياسته معروفة في تحييد من يمكن تحييده وإخراجه من الساحة إلى حين؛ لكن الدولة لا تعرف هذه الإستراتيجية؛ فالكفار كتلة واحدة كبيرة لابد من قتالها والعمل الدعائي لا يجب أن يكون منشغلا بتفكيك وحدات الكفر وزرع الخلافات بينها وتحييد أكبر قدر ممكن؛ بل العكس: لابد أن يكون منشغلا بكشف المزيد من (الوحدات) التي ينخدع في صمتها أو حيادها الناس بينما هي إحدى وحدات (كتلة الكفر الواحدة) والسعي للتوحيد بين هذه الوحدات وحشدها كلها معا كي تكتسب الدعاية مصداقيتها![1]

والعدو مستباح تماما، والجرائم التي تتم في كل مكان من تفجيرات وسط العوام وبداخل المساجد أو الساحات الدينية أو ذبح مجاهدي طالبان: كلها جرائم يتم الاعتراف والافتخار بها طوال الوقت! إن هذا (الشر) مرفوض بالمقاييس الحركية الإسلامية والجهادية التقليدية –لكن له جاذبية أكيدة في صناعة صورة (القوة) المهيبة الفاتنة التي تحشد مزيدا من الأنصار؛ لهذا ليست في استراتيجية التنظيم الإعلامية قائمة على فكرة المظلومية وإظهار مآسي المسلمين، بل الاستراتيجية قائمة على تصوير الرعب الذي يسببه التنظيم وحجم المهابة وذعر الجميع منه. وتلعب الحركات السينمائية في أفلام (حرق الكفار والمرتدين أو ذبحهم) دورا في ترسيخ هذه القناعات: فما دام هؤلاء مذعورون فساسة الكفار كلهم مذعورون! وساسة الكفار هذه تبدأ بالرئيس الأمريكي ولا تنتهي بمناصري التنظيمات الأخرى على مواقع التواصل! الرهبة والتوحش هما المطلوبان لا الشفقة والتعاطف.

---

1) نشر أحمد مولانا الكاتب الإسلامي على صفحته بعضا من كلام أبي علي الأنباري القيادي الكبير بتنظيم الدولة في دروس تعريفية للأعضاء بتاريخ الأعداء والخصوم، كان فيه المعلومات التالية: **"مارتن لوثر كان يهوديا ثم تنصر ونشر المذهب البروتستانتي في أنحاء أوروبا، كل رؤساء أوروبا بروتستانت ولا يمكن أن يأتي أي رئيس لدولة أوربية ينتمي للمذهب الكاثوليكي أو الأرثوذكسي ، كارل ماركس قام بالثورة الشيوعية بواسطة ٣٠٠ شخص جلبهم من إيطاليا ، نسب كلاما للرئيس الأميركي الأسبق ابراهام لنكولن عن تبعية أميركا لإسرائيل!"** كل هذه الحماقات الخرقاء التي تبين جهلا فاحشا لم يُبذل أي مجهود بسيط جدا لرفعه من أي موقع على الشبكة، فما بالك بالروايات التاريخية أو الحالية المشكوك فيها؟! لكنها على أي حال تصب فيما تحدثت عنه: في مصب المؤامرة العالمية المشتركة على الإسلام/تنظيم الدولة!

2) جدير بالذكر أن من صفات التنظيمات الشمولية التي تجلت فيه أنه بالرغم من هذا الخطاب العدائي التوحيدي للعدو، إلا أنه على أرض الواقع فيه براجماتية رغما عنه، فهو مثلا قد اضطر للصمت عن إردوغان والجيش التركي برغم أنه يعلم خروج الأمريكان ومرور البشمرجة من ناحيته، واضطر رغما عنه للخضوع إلى السياسة الجارية في سوريا بعدم غلق طرق التجارة والصناعة بين مناطق سيطرة المقاومة والمجاهدين وبين مناطق سيطرة بشار، وهي السياسة التي استسلم لها الأطراف جميعا بسبب تشابك الدولة وعدم تحمل الجميع لقطع الشرايين الاقتصادية الباقية بين المدن المختلفة، وهي السياسة التي تم توظيفها من جانب المعارضة في اتهام التنظيم بأنه عميل لبشار مستغلين عدم فهم المتابعين للشأن السوري لتلك السياسة الضمنية غير المعلنة.

ثانيا- التعامل مع المنافس الإسلامي ومجتمع الحركات الإسلامية:

في النقطة السابقة رأينا النزوع الدائم إلى (توحيد) كل من هو خارج التنظيم في (كتلة واحدة) ضد (دولة الإسلام)، لكن تتبقى مشكلة دائمة في جمع (من لا يمكن جمعه) مع الكفار في مؤامرة واحدة! كيف أجمع بين الإخوان في مصر تحديدا مع كل ما هم فيه وبين السيسي الذي يحارب الإخوان والتنظيم معا؟ كيف أجمع الظواهري مع أوباما وخامنئي؟! هنا يظهر تكتيك جديد ذكرناه قبلا: تجاهل الاختلافات بين المدارس والتوجهات والنزوع الدائم لإثبات المماثلة: إخوان العراق هم إخوان مصر هم إخوان تونس هم إخوان اليمن –نحن لا نتحدث عن مناهج سياسية مختلفة فبالفعل المنهج السياسي للإخوان يتشابه في الاضطراب والتحجر والسخافة، لكن نتحدث عن نقاط دقيقة لكن حاسمة مثل (التعامل مع الآخر الجهادي) تحديدا: فإخوان المدرسة المصرية أو الخليجية لم يكونوا في تعاملهم مع القاعدة كإخوان تونس أو العراق أو سوريا. وسلفيو المدرسة السكندرية –قبل عام 2012- كانوا يتعاملون على أنهم امتداد علمي بصورة ما للحركة الجهادية العالمية ومدحهم في رجال القاعدة والزرقاوي معلوم وكان الدكتور أيمن من الجهة الأخرى يمدحهم ويفرق بينهم وبين سلفية الفرقة الجامية الملعونة -لكن هذه الفروقات يتم تجاهلها أو السخرية منها من التنظيم؛ فالقاعدة الدائمة كما قلنا: (الكل واحد)! والعداء لأي تقسيم لكتلة العدو وتمييزها من بعضها البعض هو الأصل، فلن يرتاح منتسب أو متعاطف أبدا لمحاولتك (تشريح) تلك الكتلة (الكافرة) وتقسيمها!

إن دور التنظيم في مجتمع الحركة الإسلامية ليس (إثبات تميزه وتفوقه) على الآخرين –إنما تصفية كافة التنظيمات الأخرى وكافة الرؤى التي تدعمها أو تتساهل معها. إنه لا يريد رأيا (منصفا) يجيء من القاعدة أو الإخوان! إنما يريد رأيا داعما له ومضادا للآخرين. لا يريد رأيا محايدا غير منتم: بل هو عدو الحياد، وقد رأيت وغيري الكثير ممن الكتاب، لعنهم من يدعمهم دون أن ينتمي إليهم مظهرا العيوب، إن التنظيم الشمولي لا يعرف كيف تعطيه صوتك بصورة حرة. إنك خطير بكل تأكيد لأنك مصدر مقاومة محتمل: وكل مصدر محتمل للمقاومة لابد أن ينضم (لإخوانه) الذين ينتظرونه في الكتلة الكبيرة بتأويل ما! حتى الأصوات الداعمة لكنها تبدي أحيانا ارتباكا مقلقا، يتم التعامل معها بإعادتها فورا إلى الجادة والطاعة الداعمة!

تصفير الحالة الحركية رأيناه في مصر عند حركة أحرار التي -كما ذكرت قبلا- تعد من أكثر الحركات المصرية تماثلا مع تنظيم الدولة في الشمولية: فهي الأخرى لم تكن تريد (التفوق) على الإخوان، إنما كانت تريد قيادة (ما بعد فناء الإخوان)! هي الأخرى كانت تريد تصفية الساحة من الجماعات والحركات الأخرى، لكن الضربات الأمنية السريعة لحركة هشة وضعيفة أصلا جعلها تتراجع إلى ساحة الشبكات من جديد ثم تنزوي مع الآخرين انتظارا لفرصة مستقبلية لن تجيء. لهذا كثر في ممارسات الحركة على الشبكة أثناء فترة ما قبل الانقلاب وما بعده –الفترة التي ظنوا فيها أن فرصة قيادة ثورة ما بعد الإسلاميين قد جاءتهم- تجميع أكبر قدر ممكن من الإسلاميين الشباب الذين يدعمون الحركات أو لا يدعمون أحرار تحت عنوان كبير اسمه (النخبة الإسلامجية) ويتم لصقهم بالحركة الإسلامية ثم لصق الحركة الإسلامية بالنظام المصري العسكري لأنهم (خانوا) ثم لصق الجميع بكتلة الكفر الكبرى (المنظومة العالمية)! إن المطلوب ها هنا هو تبوير الأرض وتأكيد نفي (التمايزات) بجعل كل إسلامي له شعبية على الشبكات دون أن ينضم لهم جزءا من (النخبة الإسلامجية) التي سيجيء منها الشر مستقبلا والتي لابد من هدمها مبكرا! هذا العامل الشمولي الذي تشترك فيه الحركة جعلها ترتكب أغرب التصرفات مثل تهديد أي عضو منها ينضم لاعتصام رابعة بالفصل واستغلال محن الإخوان

أثناء الإعتصام في الدعاية ضدهم –أو حتى السخرية منهم!- مما أفقدهم الكثير من الاحترام وأشاع جوا من الاحتقار لهم بداخله خاصة مع إكليشيهات الوقوف بجوار المظلوم أيا كان انتماؤه التي بسببها خاضوا حربا إعلامية ضد الإخوان[1].

لقد كانوا يريدون (البقاء للقيادة) بعدما ينتهي الاعتصام بالمذبحة المتوقعة ويتم تبوير الأرضية الإسلامية بصورة فعلية. لكن النرجسية جعلت قيادة الحركة تنسى وزنها الفعلي مما جعلها تنتهي بضربتين أمنيتين مما كان الإخوان يأخذون أضعافها بصورة يومية طوال عامين! والحركة على أي حال تتفوق في وضوح تكتيكات التعامل الشمولي حتى على تنظيم الدولة: فقد ظهر تكتيك استخدم طوال الوقت بصورة منتظمة يبحث في (الماضي) الشخصي للنخبة (الإسلامجية)، مما سهل كثيرا انتشار أوصاف من طراز (المتأخون) و(السلفية المتأخونة) لرد أفكار الجميع إلى (الكتلة الإسلامجية الصماء والخائنة)! وكلما بعد النسب عن الإخوان والإسلاميين عموما كان هذا أفضل بكثير للحركة و(أكثر نقاء)! وهو التصرف الذي يذكرك فورا باختبارات إثبات عدم النسب اليهودي في ألمانيا النازية الذي نشره هملر: فإن كان طولك لا يتعدى المائة وسبعين سنتيمترا فأنت موضوع في خانة الشك أنك (متهود) الأصل ولو كنت جيرمانيا حتى النخاع، كما أن الشقرة وزرقة العيون منجية دوما!

لم تكن طبيعة تنظيم الدولة التوسعية والتي تحتاج لضخ دماء كثيرة طوال الوقت تعويضا لآلاف الشهداء مجهزة لمثل تلك الرفاهية بكل تأكيد؛ لكن هذا الإجراء لا يمكن الشك أنه متبع في الكتلة الداخلية الحاكمة في التنظيم!

ويبرز كذلك رفض التأطير في الإطار (الإسلامي) كأحد العلامات البارزة، فكلمة (إسلامي) ذاتها هي وصم لأنها جامعة لمظلة كبيرة من الحركات والأفكار يأبى التنظيم الشمولي إلا هدمها، فكيف تطالبه بأن يقبل وصف (الإسلامي)؟ هذا أحد أسباب شيوع التنظير المحتقر للمصطلح نفسه، إن هدم المصطلح هو أحد جوانب هدم الحركة كلها، وفي المقابل يتم التركيز على أسلمة بعض التنظير اليساري واستبدال كل ما يمكن استبداله من مصطلحات إسلامية بمصطلحات جديدة أو ابنة اليسار النضالي القديم[2].

كما تتجلى الشمولية أيضا في العمل أكثر على تجميع (العوام) ومن لا انتماء إسلامي قديم لهم، في ألمانيا النازية كان النجاح الأكبر للشمولية هو تجميع من لا هوية أو مشاركة سياسية سابقة لهم ولم يكن التركيز على ذوي الانتماءات الحزبية كبيرا، وقد كان هذا ظاهرا في لحظة ميلاد التنظيم التي ارتبطت دائما بصورة الألتراس (جماهير الكرة ألتراسات الأهلي والزمالك) حيث كان التنظيم يرى في هؤلاء طاقة كبيرة لكنها سياسيا محايدة لا هوية إسلامية مؤطرة لها: وعليه كانوا القاعدة المثالية. وقد صبغ تصرفاته ومظاهراته بصورة الألتراس الكروي من حرق للشماريخ ورفع للأعلام الكبيرة والتصميمات الغريبة المميزة والشعارات المنغومة التشجيعية ودق الطبول، حتى صار من الصعب جدا التمييز بين مظاهرات الحركة ومظاهرات جماهير الأهلي أو الزمالك.

---

1) وقد وصل الحال بأحمد سمير زعيم الحركة المهدوي أن يطلب من تنظيمه سرا في عام 2013 ألا يكتبوا عن معتقلي الحركة الذين أخذوا بعد الانقلاب –لماذا؟! حتى لا يربط الناس في ذهنيتهم بين (معتقلي أحرار) و(معتقلي الإخوان) في سياق واحد حتى لو في سياق التنبيه على المظالم!

2) جرى تنظير مبكر من أحد البارزين في الحركة تبريرا لسبب تخنث الحركة مع التيار المدني/العلماني الثوري مقابل خشونتها وقسوتها مع التيار الإسلامي: وقد كان تبريرا مذهلا، حيث تم التأكيد أن العلمانيين في مصر لا يعلمون العلمانية حقيقة فبالتالي إجراء الأحكام عليهم من رفض وعداء أمر غير مقبول! في الواقع كان التفسير الحقيقي أيسر من هذا التبرير السخيف: فشمولية الحركة ترى في التيار العلماني الثوري ضياعا وتشرذما وعدم منافسة على قيادة الحركة الإسلامية، إنه تائه فلا خطر منه كما يتبدى الخطر في الحركة الإسلامية ذات المراكز التنظيمية الثقيلة والمنافسة.

خاصة بعدما انضم بعض كبار مشجعي الأندية الكبرى وصارت منظومة المظاهرات نسخة سياسية كاملة من منظومة المظاهرات الكروية حتى في أصوات المشجعين الرئيسيين (الكابو) وأسلوبهم الغنائي![1]

وبناء على كل ما سبق؛ فالقسوة ضد الجميع وخاصة المراكز الثقيلة في الحركة الإسلامية صارت علامة مميزة: فلن تجد عددا خاصا من مجلة دابق التابعة لتنظيم الدولة مجهزا من أوله لآخره لإثبات أن حفتر أو السيسي طواغيت؛ لكنك ستجد عددا خاصا لإثبات أن محمد مرسي طاغوت، لن تجد إصرارا على تحقير بوتين طوال الوقت بألفاظ أقسى من لفظ (سفيه الأمة) الذي يطلقونه على الدكتور أيمن الظواهري استهزاء واستحقارا لمن وصفه بحكيم الأمة، لن تجد سبا وتجريحا في قيادي إسلامي قدر السب والتجريح في قادة جبهة النصرة وشيوخ السلفيين وتنظيرات أبي مصعب السوري. إن القسوة ضد المجتمع الحركي الإسلامي –الذي يفترض أن الحركة الشمولية تخاطبه- طبع أصيل في التنظيمات الشمولية التي تتعامل مع كل مقاومة أو رأي حر مخالف في مجتمعها الخاص بقسوة بالغة. والقاعدة الكبرى الجامعة هي: الولاء وإلا الدمار! إن موالاة تنظيم الدولة هي الضمان الوحيد للنجاة من موجات التطهير التكفيرية المتتابعة، كما أن موالاة حركة أحرار أو على الأقل الصمت عنها كان الضمان الوحيد لعدم الاتهام بالأخونة القحة أو السلفية المتأخونة أو الجهادية المتأخونة (السرورية) أو على الأقل الابتعاد عن خانة (نخبة الإسلامجية الكلاب) التي يمكن بتأويل بسيط أن تنضم إليها مهما كان توجهك!

ولا يمكن أبدا تجاهل العداء الواضح للعبقريات (الذكاء والموهبة الفطرية) عند الشموليات، وهو الأمر الذي دفع العقاد يوما لكتابة عبقرياته ردا على ما انتشر في زمانه بالضغط النازي العلموي من أن العبقريات والفلتات يمكن اكتسابها منطقيا ولا يوجد أحد مميز إنما هو خداع سياسي ومجتمعي بورجوازي. إن العداء الواضح لتنظيرات السوري ليس مكمنه معارضتها فقط، إنما لأنها دالة على إمكان التفوق التنظيري والعقلي عند أحد! هكذا لا تجد تنظيم الدولة على اتساعه الكبير يسعى لاجتذاب العقول التنظيرية إليه، بل على العكس لا يرضى إلا بالعقول المسطحة الجوفاء والمليئة بتنظيراته هو فقط وغير القادرة على توليد أي اتجاه بعيدا عنه. هذا أحد أبرز الفوارق التي لا يتحدث الكثير عنها رغم وضوح الفارق الكبير بين ثقل الأسماء والتنظيرات التي قدمت في عهد صدارة القاعدة: العقد الأول من الألفية ، والأسماء التي قدمت في عهد صدارة تنظيم الدولة! تنظيم الدولة لا يفرز أحدا ولا يستقطب أحدا ولا يريد عقلا كبيرا مستقلا! إنه يريد مقاتلا وفيا يسمع الكلام فقط في دائرة المنتسبين أو مطيع مبرر في دائرة المتعاطفين! هذا الأمر أحد العوامل التفسيرية المهمة في فهم ظاهرة العداء الأحراري (للنخبة الإسلامجية) والسعي دائما لفض الناس من حولهم.

على مستوى الساحة الجهادية السورية برزت تلك الحالة في المسلسل الذي تابعناه جميعا: تصفير الساحة من الفصائل الإسلامية الأخرى. إن التجربة المؤسفة في العراق كانت ذات أثر هائل في التخوف من تكرار سيناريو الصحوات الأمريكية، كما أن مفهوم احتكار العنف لبناء دولة تجمع ذلك الشتات الغبي الذي بلغ من تعصبه في وجوب التشتت والتشرذم درجة صار من السخف التساهل معها، ليس هو المفهوم الذي أنبه عليه ها هنا باعتباره أحد العوامل الكبرى لشمولية تنظيم الدولة: بل عامل إنهاء كل مقاومة غير تابعة حتى لو لم تكن متشرذمة كما في الحالة السورية، وهذا يفسر لماذا كانت هذه هي استراتيجية التنظيم في العراق

1) حاول الإخوان في مظاهراتهم المستمرة بين عامي 2014 و 2015 إدخال هذه التكنيكات إليهم لتزداد غرابة المشهد أكثر وأكثر! لقد تمت (أسلمة) الألتراس الكروي في مشهد مبتذل للغاية!

التي لعبت دورا في حشد الصفوف ضده في إطار الصحوات الأمريكية. لقد كانت علامات هذه استراتيجية موجودة عند التنظيم من قبل الحالة السورية بغض النظر عن مكونات الساحة: لابد من إنهاء كل وجود لآخر مقاوم/منافس.

ثالثا- صناعة الألتراس:

بعدما رأيت كيف ينظر التنظيم إلى نفسه والعالم وإلى علاقته مع الأعداء ثم علاقته مع الوسط الإسلامي المنافس، تبقى أن نعرف: من هو الألتراس؟ إننا لن نركز كثيرا هنا على الحالة الرئيسية (تنظيم الدولة) ولا الحالة الفرعية السابقة، إنما سنفحص الحالة (الأبرز) في هذا الجانب: حالة ألتراسات جماعة الإخوان المسلمين، بالتحديد في عام رئاسة د.مرسي.

لماذا؟ لأن الجماعة بعد الانقلاب تفككت رويدا رويدا وبرزت اتجاهات متعارضة متضاربة ولم تعد ملامح الشمولية واضحة في القواعد كما كانت حين التماسك. كما أن تقديم هذا الملمح الكبير في تنظيم الدولة وتجاهل أكبر وأشهر نموذج على الإطلاق (النموذج الإخواني) شيء غير مقبول، ولن يكون هناك فائدة بالتأكيد من تقديم حركة أحرار في هذه النقطة حيث أنها لم تحصل أبدا على شعبية ترقى لدرجة (الألتراس) الذين يمكن دراستهم أو تقديم أفعالهم كمنظومة دائمة جدية.

لكن هل تنظيم الإخوان تنظيم شمولي؟!

نعم، فيه صفات كثيرة جدا من صفات الشمولية، ولا، ليس فيه بعض أكبر أسسها التي عرضتها سابقا، وقد تعامل الإخوان (المدرسة المصرية تحديدا) بصورة طيبة بعد الثورات مع الجانب الإسلامي ولم يسعوا لضربه بل سعوا لقيادته مع الحفاظ عليه كقوة في وجه العلمانيين، وهذا أمر محسوب لهم بكل تأكيد ومما أبقى الذكرى الطيبة لهم في الوعي الإسلامي حتى انضم لاعتصامهم في رابعة أطياف كبيرة وكثيرة من داخل التيار الإسلامي من المتلبرل للنقدوي للجهادي. لم يكونوا في الأسس الخطيرة السابقة يقتربون بأي حال من الأحوال من رؤية تنظيم الدولة لنفسه ولمحيطه؛ لكنهم –مع ذلك- كانوا يملكون صفات الشمولية المثالية من جهة الجماهير.

إن أول الأسس الشمولية التي يمكن وضعها كمدخل لفهم كل ما بعده: هو الإيمان بعصمة القيادة. في الإخوان يؤمنون أن (مجلس شورى الجماعة) قد أخذ المسار الشرعي للوصول إلى أعلى سلطة في التنظيم، وفي تنظيم الدولة يؤمنون أن (الخلافة) التي تجاهد أعداء الله قد أخذت المسار الشرعي الأسمى. المحصلة في النهاية كانت ربط هذا الوصول بالعصمة! وهذا رابط شديد الغرابة: فقد كان النبي هو المعصوم بحق ولا معصوم بعده، ومع ذلك هُزِم جيشه في أحد! إن الوصول لمنصب القيادة الشرعية –بغض النظر عن مناقشة الوسائل التي تم بها الانتخاب ومدى التمثيل الحقيقي للأمة- لا يعني أبدا العصمة في القرارات الاستراتيجية والعسكرية والسياسية! لكن على أي حال فهذا المفهوم مما تقفز آثاره في كلمات الألتراسات التنظيمية مهما حاولوا النفي.

إن القيادة تعلم كل شيء، فبطبيعة الحال تكون قيادات التنظيم أكثر اطلاعا على الصورة البانورامية للمشهد السياسي –والعسكري في حالة تنظيم الدولة- ولديها كم هائل من المعلومات عن الذات وعن الآخر، وبطبيعة التنظيمات لا يمكن مشاركة هذه المعلومات مع الجميع. هذه كلها حقائق، ليس بالنسبة للأعضاء فقط لكن مطلقا لا يمكن نفي ذلك، لكن هذه المعرفة الموجودة عند القيادة دوما والغائبة عن الأعضاء المنتسبين والمتعاطفين دوما تضفي صيغة تسليم حتمي للقيادة المعصومة. حتى إذا جاءت الأحداث بما ينفي مزاعم القيادة فإن الألتراس يلجؤون فورا إلى تكتيك التهكم[1] من (المفاجأة) وتبرير ما حدث من خطأ القيادة أو كذبها –أنهم

---

1) أسس التوتاليتارية: 132.

كانوا يعلمون دوما أن القيادة تصنع ذلك لكنها صنعت ما صنعت خداعا وذكاء تكتيكيا! هكذا تمدح القيادات وزير الدفاع المصري وتصفه بأفضل الصفات الإيمانية ثم بعد الانقلاب تسري الحكايات عن معرفة الرئيس مرسي والجماعة بالخداع وأنهم ما صنعوا صنيعهم المادح إلا رغبة في تهدئة الجيش وطمأنته. إن نموذج الألتراس في الحالتين هو ما نتحدث عنه ها هنا: ففي الحالة الأولى قبل الانقلاب إن تحدثت عمن تمدحه القيادات بحرف فيه ذم فأنت معتوه متعصب ليس عندك أية حكمة ولا تدري شيئا عن أصول السياسة، وإن تحدثت بعد الانقلاب بحرف عن ذكائه في الخداع السياسي أو أي حرف مادح فأنت معتوه مجرم! أنت في الحالتين مذموم برغم أن موقفك لم يتغير كثيرا بينما بمجرد أن قامت القيادة المعصومة بتغيير خطابها للنقيض صار عليك أن تؤمِّن على كلامها بلا نقاش! إن التهكم لعب دورا لا بأس به في كل الحالات: فقبل الانقلاب كانت اللهجة الإخوانية الساخرة من المحذرين بوقوعه الوشيك هي السائدة، فالقيادة مطمئنة وتطمئن القواعد أن كل شيء بخير وعلى الجميع ألا يقلق، فهؤلاء القلقون الجهال يجب أن يتم تناول أطروحاتهم باستهزاء وسخرية. لكن بعد الانقلاب العسكري يتم التعامل مع نفس الأشخاص بروح ساخرة مستهزئة من غيظهم أن لم يستمع لهم أحد قبلا: فقد كانت القيادة تعلم الكارثة لكننا كنا نقول لكم ذلك كمحاولة لوقفها!

إن التهكم والسخرية يلعبان دورا هائلا في الدفاع عن العصمة، والتبرير الدائم للأحداث الغريبة والمفاجئة طبع للجماهير التنظيمية الشمولية معلوم ومنطقي ما دمنا قد فهمنا المفتاح: هكذا يقوم الإخوان بحملات هائجة على نجيب ساويرس رجل الأعمال المصري المسيحي الذي يرعى عشرات المشاريع الصليبية في المنطقة، متهمين كل فاتر عن مشاركتهم هجومهم بقلة الإيمان – ثم في اليوم التالي نجد مندوبا لرئاسة الجمهورية الإخوانية يستقبل ساويرس في المطار ويمدح فيه ويصفه بالشرف والوطنية لأنه قرر المصالحة المالية مع الدولة! في المساء كانوا يلعنونه وفي الصباح فاجأهم الموقف؛ فماذا جرى؟ ببساطة تم مدح (الحكمة السياسية الباهرة) للإخوان أن لم يسعوا لعداوة مع أحد وأنهم حصلوا عشرات الملايين لخزينة الدولة! هكذا انتشر التبرير بسرعة ثم بدأ التهكم والسخرية من الحمقى المتعصبين الذين لا عمل لهم إلا الثرثرة وإزعاج القيادة التي تسير بالقافلة وسط العواء!

إن المطلوب من الألتراسات ليس (إلغاء القناعة الشخصية) فقط، بل المطلوب هو (إلغاء القدرة على تشكيل القناعة) من الأساس# السابق: 257#! المطلوب من رجل الألتراس المؤيد لتنظيم الدولة ليس الاقتناع بأن حازم كافر بعدما كان هو نفسه أحد أعضاء حملة حازم أبو إسماعيل: بل المطلوب منه إلغاء القدرة الذاتية على الاقتناع بأي شيء! مطلوب التصديق والتسليم فقط! هكذا وجدنا من يسود الصفحات سبا وتجريحا فيمن يتهمون تنظيم الدولة بأنه يكفر حازم أو القاعدة، ثم بعدما صدرت الأعداد المتتالية لمجلة التنظيم الطافحة بتكفير الجميع من حازم للقاعدة للكل؛ بدأ فورا في تعديل أقواله ليسب ويلعن من لا يرى الكفر الواضح لحازم أو القاعدة! بل رأينا (تأصيلا شرعيا) يتم تداوله بعد الصدمة لتبرير التكفير قام بتجهيزه المتعاطفون/الألتراسات أكثر متانة مما قدمه التنظيم نفسه في إصداراته الرسمية من تبرير لهذا التكفير! كذلك فألتراس الجماعة ليس المطلوب منهم الاقتناع بعمالة ساويرس في يوم وبوطنيته في اليوم التالي: بل المطلوب منهم الاقتناع فقط بصحة قرار القيادة!

طبعا لا يمكننا أن ننسى مشكلة دائرة المتعاطفين الأزلية: أنهم يقومون بنفي كل ما يصنفونه بأنه (جرائم سياسية) عن التنظيم بحماس شديد وبإيمان كامل، حتى لو كانت الحقيقة على خلاف ذلك، واللحظة الحرجة تأتي إن أعلن التنظيم نفسه القيام بهذا الأمر! هكذا تجد نفيا دائبا متحمسا من الجماهير المتعاطفة لاحتمال أن تكون بعض أفرع أو تشكيلات الإخوان المصريين قد قامت برفع السلاح في وجه الشرطة والجيش دفاعا عن النفس بعد الانقلاب، بينما القيادات وكثير من الأعضاء يعلمون جيدا أن هذا صحيح

بل حدث ما هو أكثر، وأن هذه الحماسة التبريرية من المتعاطفين لنشر أكذوبة السلمية المطلقة مسكوت عنها لفائدتها السياسية والتاريخية في الترويج للمظلومية عالميا في الوقت الحالي، وتنظيميا في المستقبل![1]

لكن سياسة تنظيم الدولة كثيرا ما تصل بالمتعاطفين إلى اللحظة الحرجة: فتفجير في مسجد غاص بالمصلين قد يجري نفيه من المتعاطفين فورا لأن هذا مستحيل وأسلوب وضيع غير شرعي، لكن التنظيم يعترف فجأة مقدما تبريرا واهيا فيندفع الآلاف بعد برهة صمت وسماع للأصوات التبريرية المختلفة إلى الكلام عن (جواز) هذا الأمر! إن القدرة على تكوين القناعة صارت ذائبة، الاستسلام هو الحل الوحيد المتاح للألتراس! إردوغان لا يمكن أن يضرب أهل (الباب) بالطيران الحربي كالسفاح بشار موقعا العشرات من الأطفال والنساء قتلى؟ ماذا؟ ظهر فيديو دليلا على هذا؟! إذن الطائرات فعلت هذا دون تعمد أو هي أكاذيب من تنظيم الدولة!

لكن تظل هذه اللعبة قائمة طالما ظل التنظيم قائما منتصرا. فما مصير الألتراس في حالة الهزيمة والتفكك؟!

إنه الضياع! إن الكون كما يعرفه الألتراس ينهار وينتهي! أين أستاذية العالم الإخوانية؟ أين الملاحم وفتن آخر الزمان التي ستلعب فيها (دولة الخلافة) دور جماعة المؤمنين؟ هنا تنتشر حالات الردة السياسية (الانعزال عن الصراع) أو الردة الحقيقية (الإيمان بأن الإسلام انهار بداخله بعدما انهار التنظيم) وكل ما بين ذلك من مآلات! وقد أحزننا الحظ برؤية ذلك كله في الحالة المصرية والشامية التي كانت مثالية لدراسة كافة تلك الآثار!

إن إسلاموطوبيا التنظيم لا تتكون بالضرورة انطلاقا من مركز معرفي أصولي، فلا يهم بصورة كبيرة المركز المعرفي الذي ستنطلق منه الأدلجة، لأن التنظيم قادر على بناء إسلاموطوبيا خاصة به رابطا أفكاره الذاتية بجوهر الإسلام ذاته، ببقائهما معا! لذا فالأدلجة ها هنا قد تصير كلية لأن التنظيم نفسه يصبح أحد أكبر أركان المركز المعرفي متوحدا به. وقد رأينا حجم المخاطر الكارثية المترتبة على ذلك سواء بقي التنظيم أو زال! إنها عملية ذات اتجاه واحد بكل أسف!

---

1) وهو الشيء الذي يؤدي في النهاية لكتابة تاريخ مشوه للجماعات ومجيء أجيال تالية مؤمنة بأن الإخوان لم يستخدموا العنف مطلقا في الرد وبالتالي فإما تستمر على درب السلف إيمانا بأن المنهج الصحيح للجماعة هو الاستمرار في السلمية المطلقة / وإما تلعن الجماعة التي استسلمت طوال سنوات للقتل ببرود غير آدمي.

ملحق المقالات

(ديسمبر 2014)

كان اليسار الحركي المقاوم قد بدأ في الانحدار والخسوف بنهاية القرن الماضي.. أصبح (موضة/صرعة) قديمة ونضال عدمي.. مترافق مع فشل على المستوى الدولتي تمثل في انهيار السوفييت ورسملة الصين وجمود كوبا.. بهذه الحقيقة يمكننا أن نفهم تمجيد الفيلسوف اليساري جيجيك لرانسيير بقوله "**في زمننا هذا، حيث يفقد اليسار بوصلته، نعثر في كتابات رانسيير على تلك المفاهيم المتناسقة الباقية التي تلهمنا الاستمرار والمقاومة**"!

وإن تفسُّخ هذا اليسار المقاوم وانحصاره في حياة ثقافية فلسفية فكرية تعيش داخل أبراج عاجيّة في الأكاديميات أو الكتب والمحاضرات المغلقة، أو الحركات الاجتماعية/الحقوقية التي تثور بحساب وتضغط بحساب وتعرف الحيّز المسموح للحركة فيه ولا تجرؤ على عبوره –كل هذا قد مهَّد الطريق لشيوع اليأس من أي أيدولوجيا مقاومة حقيقية تحاول قلب المعادلة وهدم الدول الطاغية والنظام العالمي.

مع بداية الألفية لم يكن ضرب برجي التجارة رمزا فقط لتضخُّم الأيدولوجية الجهادية المشتبكة مع النظام العالمي مباشرة.. بل كان رمزا لانتهاء اليسار العسكري المقاوم لها بصورة جديّة.. خاصة مع موجة القمع الضخمة التي قادتها أمريكا واضطرار الجميع للتبرؤ من أي عمل يهدد انهيار الدول التي تعايشوا معها.. ومنها اليسار الثقافي والحقوقي..

بنهاية القمع لم يعد هناك شكل جاد حقيقي لا يقبل المهادنة أو التعايش مع طغيان النظام العالمي إلا الأيدولوجيا الجهاديّة.. ولم يعد هناك متنفَّس لكل غاضب ومتضرر من هذا النظام ويريد العمل ضده بصورة حقيقية عسكرية -إلا في أراضي الجهاد!

لذا فليس من المستغرَب على الإطلاق توافُد المئات من الغربيين على الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).. فقد قدَّمت لهم -بعد سقوط اليسار الحركي- ما عجز تنظيم القاعدة نفسه أن يفعله: عنوانا معروفا على الأرض يمكن الانحياز إليه! تنظيم القاعدة كان لا يعطيهم هذا العنوان لأسباب استراتيجية معروفة، يصنع كما قال فوكوياما بالضبط (**دولة اللا دولة**) وهو ما كان يثير غضب أمريكا وجنونها.. بالنسبة لها كانت هذه الأفكار وبائية وتظهر في مواضع مفاجئة ومتعددة وليس من السهل القضاء عليها. وكل ضربة غير دقيقة لأصحابها تزيد من الأنصار.. هي لا تعرف عنوانا لهذه الدولة يمكنها ضربها فيه إن آذتها بشدة..

تنظيم الدولة يُقدِّم -أخيرا- هذا العنوان، لكن بعدما طور شكلا جديدا من (الدولة) ذاتها كي يتفادى السحق! إنها دولة بلا مقومات عسكرية تقليدية للدولة! دولة بلا سلاح طيران ولا دفاع جوي ولا تكتلات فرق عسكريّة كبرى يسهل ضربها ولا اعتماد كبير على البنية التحتية ولا اعتماد على سلاح مُدرَّع! دولة الفرد فيها تم صنع صورة مخيفة له بمهارة حقيقية تحسب لهم بلا شك فصار قادرا على إثارة الرعب في راكب الدبابة الذي يواجهه! مع تطوير هائل لحرب العصابات ومزجها بصورة عجيبة مع الحرب النظامية -فصنع خليطا قويا يُمكِّنه من مواجهة الجيوش التقليدية وهزمها.. لذا لجأ أعداؤه إلى الاعتماد على الكتل غير النظامية والميليشيات المشابهة بعد سقوط الجيش النظامي، مثل حزب العمال الكردستاني والبيشمرجة والعشائر.. إنه عصر سقوط الجيوش النظامية التقليدية!

هذا الخليط سمح له بالبقاء والحفاظ على دولته أرضا وتقليل الفعالية المخيفة للسلاح الجوي الأمريكي المتطور.. طبعا مع تحديد سقف الاستفزاز كيلا يصل إلى قمته التي لا يصلح معها أي تهاون أو تردد عسكري أمريكي كما حدث في بداية الألفية بضربة سبتمبر.. بصورة أكثر وضوحا: ضربة هائلة ضخمة بالعمق الأمريكي أو الغربي! لهذا السبب بالتحديد أعزو غياب ضربة ضخمة وهائلة له في داخل الغرب برغم وجود أنصارٍ كُثر له هناك -كيلا يوصِّلهم إلى مرحلة اللا عودة والخيار الوحيد!

هذا لا يعني أن الغرب والنظام العالمي لا يجد أي مشكلة.. بل مشكلته كبيرة مع الفكر ومع السلاح ومع هذا الثقب الأسود الضخم الذي برز في منتصف منطقته الأثيرة أيدولوجيا وعقديا واقتصاديا! كيانٌ مهاجرٌ يشبه إسرائيل وقت نشأتها -عقائديٌ يعتمِد على المُهاجرين في بنائه المُسلَّح للدولة وسط محيط غاضب مُعادٍ وفي أرض لها مكانة دينية كبرى- وهو -فوق ذلك- يقف قبالتها بعقيدة تدميرية لها، كما أن لديه ميولا واضحة للتوسع نحو الخليج.. هذا كارثة حقيقية لأي نظام عالمي وغربي.. كارثة لابد أن نتوقع أنه سيضطر لا محالة إلى الإنزال الضخم ومواجهتها ان استمرت في الاستفحال المضطرد.. في مقابل هذا هو كيان فتيٌّ شرِس لا يأبه ظاهرا بأي إنزال بل يردد دائما أنه ينتظره!! هذا كيان لا يصلح تهديده.. وحتى ضربة نوويه للرقة (التي يعتبرها الغرب عاصمته) لن تقتل من مقاتليه أكثر من خمسة آلاف هم كل المتواجدين فيها لحمايتها! دائما ما كان الحل النووي هو سقف الترهيب المتواجد في غمد أمريكا ضد من ينافسها.. الآن هو -عمليا- بلا جدوى عسكرية كبيرة بل آثاره ستكون مدمرة على كافة المستويات وسينضم لتلك الأيدولوجيا مئات الآلاف بعد تلك الضربة/المجزرة الغاضبة إن حدثت!

كان حل أوباما الذي عرضه أمام الكونجرس هو وضع خطة طويلة المدى لتدميره أرضا وجوا بأقل تدخل أمريكي ظاهر.. تكلفة الطيران المادية سيتحملها العرب الأوغاد وتكلفة الزحف البري البشرية سيتحملها أعداء الدولة من التنظيمات العسكرية الموجودة في العراق وسوريا -والدولة بارعة في كسب الأعداء والخصوم بصلفها الإسلامي-الإسلامي!- بعد عدة أشهر نرى آثار تلك الخطة.

لقد صارت الدولة الإسلامية واقعا لن ينتهي بيسر أو في القريب.. وهي عنوان يقصده كل الغاضبين على النظام العالمي وطغيان الحكومات المحلية في كل مكان سواء كان هذا الطغيان رأسماليا أو اجتماعيا أو دينيا.. انتهت أسطورة اليسار الحركي وانتهت كل أيدولوجيا تواجه فعليا مواجهة عسكرية شرسة منفصلة عن هذا النظام إلا الأيدولوجية الجهادية.. وبرزت الدولة كعنوان -أخيرا- لتلك الأيدولوجيا يمكن الذهاب إليه!

(ديسمبر 2014)

حتى في عصور النهضة فالاستنارة فالمثالية إلى الوقت الحاضر -فإن عموم الفلاسفة كانوا يبحثون دائما عن (صيغة عالمية) لفلسفتهم التاريخية والسياسية للصراع يمكن انطلاقا منها تقديم تفسير (مُنتِج) و(متماسك) ومُتجاوِز للإثنية والأعراق التاريخية.. والفلسفة التي أخرجت الوطنية والقومية نفسها لم تكن تريد تطبيق تلك الرؤية على قطرٍ أوروبي واحد.. بل كانت تنوي تعميمه عالميا وتدويل الفكرة.. طبعا ناهيك عن الفلسفات الأممية المتجاوزة بطبيعتها كالليبرالية والاشتراكية..

لذا فمن العجيب ألا ينظر المعارضون لتدويل القضية الإسلامية والكفاح ضد المنظومة العالمية بصورة أممية لا بصورة قومية -بتقدير إلى هذه الفكرة؛ بل يعتبرونها خاطئة راغبين منهم في أن تهب القوميات الجزئية في العرق الكلي بثورات لا مساندة فيها من أحد إلا بالمعنويات.. الفكرة الأممية التي رغم مثالبها -ولا توجد فكرة بشرية بلا مواطن ضعف وعيوب- فإنها تجاوزت أزمة القدرة العالمية في التحكم بقطر قومي واحد سواء اقتصاديا او عسكريا.. ظاهرا أو بالإيحاء..

تلك الأزمة الواضحة حاليا في القطر الروسي الضخم المهيب عسكريا والذي يمر بأزمة طاحنة خططت لها المنظومة العالمية الصلبة الضيقة -لا الواسعة وإلا فهو جزء من ذلك الكل في النهاية- فحققت أذرعها الاقتصادية نجاحا في حرب تركيع لم يكن هناك مجال لخوضها عسكريا سواء شاملة أو حتى جزئية، في أوكرانيا!!

إن فكرة أممية الصراع المتجاوز للأقطار والجنسيات والإثنيات؛ بعيدا عن صحتها دينيا؛ هي أفضل ما هو متاح لخوض هذا الصراع غير المتكافئ.. فعلى طريقة whack the rabbit التي يدق فيها اللاعب رأس أرنب في أحد الفتحات بالأرض فيخرج له أرنبا آخر من فتحة أخرى.. في أرض بها مئات الفتحات: يتم خوض هذا الصراع.. الأرنب هذه المرة لا يخرج للعبث إنما يخرج لأسباب عقدية مما يضمن للعبة الاستمرار الأبدي.. والفكرة كلها في إرهاق اللاعب الضارب على المدى الطويل.. حتى لو كانت التيارات الإسلامية المواجهة نفسها لا تعلم أن هذا هو ما يجري بأممية صراعها؛ فهذا هو الحال!

أممية الصراع وعالميته تحوِّل الأرض لساحة أكبر بكثير جدا من الحالية، وتجعل الأرض مليئة بمئات الفتحات بدلا من فتحة واحدة يملك العدو القدرة المباشرة (عسكريا واقتصاديا) أو غير المباشرة (بأذرعه الوظيفية) على إنهائها وتحويلها إلى مقبرة حقيقية كما حدث في مصر وغيرها للجماعات التي أرادت اللعب في إطار ضيق وفي قطر واحد، وحتى تركيا الأردوغانية لا زالت تعيش تخوفا من غدر الكتلة العلمانية العسكرية الصلبة؛ هذا إن اعتبرنا تجربة أردوغان إسلامية تريد الخروج على النظام العالمي حقا!

(يوليو 2015)

كان من أسباب مدح المداحين لأحرار الشام وفقهها النفيس الذي مثلوه في (عبقرية!!) أبي يزن الشامي رحمه الله -والذي كان فاقدا لأي درجة من درجات التواضع- هو أن تنظيمهم كان يحارب فكرة (الجماعة) و(النخبة القائدة للأمة) وأنهم كانوا يُنظِّرون كثيرا لكونهم تابعين دافعين لا متبوعين.. طبعا مع أغرب استدلال معوّج في التاريخ المعاصر حيث تم الاستدلال بحديث عدم خيرية الأمة إلا بخيرية أهل الشام /على أساس أنه تفضيل لأهل الشام ذاتهم! والذي لو طبقناه بإطلاقه لصدمنا أول ما صدمنا بتحولنا إلى نواصب ضد علي لأن الخيرية لازمة معهم! المهم، دعنا من ذلك الآن فقد ماتت تلك الأفكار العجيبة سريعا بالاغتيال المفاجئ لقادة الحركة..

المهم الآن: أن هذا الأمر الأول /أي فكرة معاداة نخبوية السلفية الجهادية واعتبارها قائدة الأمة وهي من تتحرك متبوعة، والتراجع الكبير عنها -نجده الآن في مأزق!

أحرار الشام الآن تخاطب الغرب لإنقاذ سوريا بتسليح الحركة كي تكون بديلا سنيا بسلاح ودعم غربي أمريكي ولتنظيف المنطقة من التطرفات الأيدولوجية المعادية للغرب، هل هذه هي رغبة (الأمة السورية)؟

هل هذا هو ما خرج من أجله أهل سوريا وهذا هو ما انتفضت من أجله أمة الإسلام؟

إن كانت الأمة هي: أهل سوريا -فمن وكَّل أحرار الشام لتقديم هذه العروض بينما طائرات أمريكا تحوم فوق أهل سوريا وتقتل الآلاف من السوريين منذ بدء الغارات؟ من وكلهم لعرض تحويل قبلة العبادة من موسكو وطهران إلى واشنطن ولندن؟ هل هذا هو ما خرج من أجله أهل سوريا منذ أربعة أعوام؟ أم أنكم -يا ماكرين يا أذكياء- ستضحكون على الغرب وستأخذوا منه السلاح وتحرروا سوريا ثم تنشئوا دولة حرة مستقلة عن إرادة الغرب؟!

وإن كانت الأمة التي كانت أحرار الشام تتحدث عن كونها الأمة القائدة المتبوعة لا التابعة / هي أمة الإسلام:

فهل أمة الإسلام هي أنصار حاكم الرياض آل سعود وأنصار السيسي بمصر، أم أمة الإسلام هي من ناصركم في جهادكم ضد هذه المنظومة العالمية وبشار حلقة منها؟ إن كانت أمة الإسلام التي تسعون لها هي أمة الحكام وشيوخهم فخسر البيع فأنتم خوارج إرهابيون في نظرهم! وإن كانت أمة الإسلام هي من وقفت جواركم معنويا وماديا

بالأنفس والثمرات وبسراة المجاهدين المهاجرين وإن قل عددهم -ولم يكونوا بالقليل- فقد ختمتموها يوم حادثتم الغرب في رغبتكم بأن يتشارك معكم في بناء الدولة! أم جاءكم كل هؤلاء من أنحاء الدنيا ليقاتلوا بالسلاح الأمريكي وينصبوا حاكما مرضيا عنه من الغرب؟!

أيها المداحون! أهلكتم الإخوان وفي طريقكم لإهلاك حماس بكثرة ثوراتكم على كل ناصح ومبين للعورات /بزعم أن السياسة الشرعية تحتمل وتحتمل وتحتمل.. وبزعم أن كل شيء لابد أن نحمله على أفضل محمل حتى لو كان عرض العمالة المقدم هذا اليوم من لبيب النحاس! أفلا تكفون عن مديحكم قليلا حتى لتستنكروا تنكب طريق الفكرة التي طالما هللتم لتقدمية أحرار الشام بها عن باقي الحركات الجهادية -ألا وهي كون الحركة تابعة للأمة لا متبوعة؟!!

(يوليو 2015)

من الأشياء الطريفة أن تقرأ لأكثر الناس اتهاما لتنظيم الدولة بأنه عميل للغرب في الباطن -عرضا متمحكا مهينا مستجديا الغرب أن يعتمد عليه لمقاتلة (عملاء الغرب!!) من تنظيم الدولة!

صحيح! بعد مرور شهور وشهور: هل ما زال البعض على رأيه بأن القيادات القديمة لأحرار الشام كانت (عبقرية) وذات رؤية (فريدة وتطورية) للجهاد وأنها أخذت بيده للأمام (كأن الأمام هو براجماتية الإخوان ومنهج حماس في مخاطبة العالم والتقوقع الجاهلي الوطني)؟! أم أنهم سيلقون باللوم على القيادات الحالية متجاهلين أن أغلب هذه الأفكار كانت ذات إشارات واضحة في أحاديث القادة القدماء -رحمهم الله وغفر لهم- مع الغرب بمنهجهم الذي كان يحمل عوارا بينا هو الغباء بعينه في العلاقة مع الغرب؟! هل ما زال البعض يصدق أن (قتل) هذا العدد المهول من القيادات الكبرى والوسطى الذي تم قبل بدء ضربات التحالف الصليبي بأيام قليلة وبعد أيام قليلة من أنباء عن رفض تلك القيادات التورط (الكامل) في محاربة تنظيم الدولة بكل شراسة كعمالة صريحة للغرب /قد حدث هذا (القتل) صدفة أو بأنبوب غاز انفجر أو بأي تفسير من تفسيرات التخمين التي تم التكتم عليها حتى الآن ويتم مجابهة طالب تفسير هذه الحادثة الغامضة بأشنع الردود عصبية وغضبا؟!

كان البعض يعتبر أن غلاة السلفية الأيدولوجية العتيقة الشعارية الحداثية (كل هذا يقال في نفس واحد وفي نفس المقال أحيانا!!) هم كل من يقول -منذ وقت مبكر- بأن تنظيم أحرار الشام هذا تنظيما غبيا يظن نفسه عبقريا بتعظيم جوقة المهللين لبراجماتيته وتمسكه بجاهلية القومية السورية -بينما هو في ألطف الظنون: حمل غافل تائه، في وسط ملحمة من الليوث والذئاب! وأنه ويكرر نفس تجارب الإخوان وكل التنظيمات التي انتهى بها الأمر تعمل في منظومة الغرب مع الوقت وقد صارت يدا له! هذا البعض صامت الآن أو يستنكر ببرود أو حتى حزن خفيف على المآل الذي تركض إليه الحركة دون إنكار لمقالات من يعرضون الحركة حاليا للبيع في أسواق الصهاينة الأمريكان والأوروبيين! أما الدناءة حقا هو ما يتردد عن أن البعض بدأ يستخدم فتاوى جواز الاستعانة بالكفار! هؤلاء مجرمون أفاقون كذبة يعلمون جيدا جدا أنها فتوى (جواز العمالة للكفار) لا الاستعانة! وقد كانت شبهة الشيخ ابن باز قبلكم أشد عندما أصدر فتواه السيئة بجواز إدخال صهاينة أمريكا والغرب لضرب غلاة وكفار العراق، فدخل هؤلاء واستعبدوا الخليج كله وصاروا هم الآن من يحددون شرطي المنطقة ومن يخسفون ذكر من يريدون خسفه حتى ولو كان آل سعود! أما أنتم فلا شبهة! أنتم مجرمون أفاقون حقا تستحقون الفضح! أمريكا منذ عام ونصف تتحدث صراحة عن البحث في أراضي سوريا عن عملاء لقتال الشريعة والدولة الإسلامية -لأفكارها الإسلامية الكلية كالخلافة والشريعة وعداء الصهاينة والغرب، لا لخارجيتها كما يقول المجرمون في واشنطن وشيوخ آل سعود!- فيتقدم أحدهم لأمريكا بطلب صريح للتجنيد، ثم يقوم الآخر برفض اتهامه في دينه ووصمه بالعمالة؟!

إن كنت أنت تحاربه لغلوه وخارجية الكثير من قياداته وجنوده -فأمريكا تقاتله لأصل الأفكار التي يتقاسمها مع كل المسلمين ومعك، فأنت عميل مرحلي لأمريكا ستقتله بعدما تتمكن منه وتصنع به ما تريد من إفساد! إن أمريكا والغرب كله يا مُناشِد الغرب هو: العدو الأول! إن كنت تتهم قيادات تنظيم الدولة بأنها (مصنوعة) للغرب فالأولى بمحاربتك وعداوتك هو (الصانع) لا (المصنوع)!!

(أغسطس 2015)

يضعونك أمام خيارين:

إما تأييد تنظيم الدولة بجرائمه مطلقا وعدم الإنكار على عقيدة التكفير وأفعال الغلاة والخوارج التي يمارسها مع مخالفيه المسلمين. وإما تكون من الصحوات!

ثم يجيء الآخر ويضعك أمام خيارين:

إما تأييد تحالفات الكفار والتهليل لجيوش الردة التركية والحمقى الذين يسعون في تمكينها من أراضي المسلمين ورقابهم وإما تكون داعشيا!

لا خيارات أخرى؟!

لا! إما هذا أو ذاك!

الحقيقة: هؤلاء داعش وهؤلاء الوجه الآخر من داعش؛ وجه تضييق جماعة المسلمين وسفك دماء من لا يرضى بهذا.. ووجه توسيع جماعة المسلمين حتى تضم جيش تركيا نفسه وإعذاره في موالاته لأمريكا وتمكينه لها طوال الفترة الماضية من تدريب عملائها على أرضه ثم تمكينها من استخدام مطاراته لقصف المسلمين!
كلا الطرفين إجرام؛ ومن يتبعهما في ضلالهما لا يلومن إلا نفسه!

(سبتمبر 2015)

أمام داعش كل شيء مباح؛ نقل عن كذبة وفاسقين بل ومرتدين: يجوز!
هم يكفرون بأقيسة فاسدة لا أصل لها؟! إذن فلنخونهم بحكايات فاسدة لا أصل لها!
أيها الكاذب المحرض الذي واجهت بغي الغلو ببغي وغلو وكذب وتدليس: ما أصل قصة بيعهم النفط للنظام السوري؟! هل تعرف للقصة أصل يا كاذب؟! إنما فسدت قصة بيعهم النفط للأتراك بعدما قصفهم الأتراك فبحث كاذب في خياله فوجد أنهم ما داموا لن يبيعوها للترك فسيبيعونها لبشار! هل تتصور أصلا للقصة غير هذا؟!

كذبة ومجرمون ومحرضون لا يقلون في الإجرام والولوج في الدماء وتبرير سفكها من جيش الناتو التركي عن أي عالم سلطان.. ومهرة في سرد الأكاذيب والفرح بانتصارات الكافرين نكاية في المارقين كما زعموا في كل موقف.. لدينا دليل مادي على عروض العمالة في جريدة أجنبية باسم لبيب النحاس تكلفوا له كل تدليس وخداع؛ أما داعش فهي عميلة بأدلة أوهى من خيوط العنكبوت وبأقيسة فاسدة تنتج المزيد والمزيد من الأكاذيب!
فليعلم الناقل للكذب والمروج له؛ أن الله يرى! وأن كذبه وتدليسه وفجوره يزيد من طغيان الطاغية ومن غلو الغلاة وثباتهم على موقفهم!
وليعلم: أن الله يرى!

(نوفمبر 2015)

الشيخ أسامة بن لادن عندما ضرب ضربته، لم يكن يسعى لحشد كل العالم ضده في ذات اللحظة والمكان! فقياس صنيعه على صنيع إعلاميي وسياسيي دولة البغدادي من تجييش لكل طواغيت أمم الأرض قاطبة بعربهم وعجمهم وصغارهم وكبارهم وعوامهم وجيوشهم وصالحهم وفاسدهم وإعطاء الجميع عنوانا للقاء اسمه: الشام.. حماقة بالغة وقياس أخرق! هذا إن قبلنا أصل فكرة استفزاز العدو لاحتلال أرضي التي اتبعها الشيخ أسامة!
فلا الأصل يمكن الجزم بصحته بل هو إلى الخطأ أقرب، ولا القياس ينضبط مع هذا الأصل أساسا! فالشيخ لم يكن يتخذ من خطاب الاستفزاز والتحريض وصفع الغافل والمتغافل كي يرد الصفعة له في أرضه /خطابا له في أي يوم، بل كان يحرص دائما على توضيح أن أفعال المجاهدين رد فعل على دول الطغيان الاستعماري في الغرب!

الهوس بفكرة تنزيل حديث الملحمة تسبب في أمر غريب جدا: تسبب في الهوس بتمثيل هذا الحديث عنوة! دولة البغدادي إعلامها كان يعتمد في التجييش على فكرة (الملحمة الختامية في الشام بين المسلمين والكافرين) بصورة مبالغة جدا، وفي الحديث اجتماع رايات الكفر: إذن فلنجمع أكبر قدر ممكن من أمم الأرض الكافرة للنزول في الشام، وحتى القاعدة وطالبان وقعوا في الردة فيجب تجييشهم هم أيضا ضدنا! هذا أمر ليس له مثيل بهذا الشكل في تاريخ المسلمين بل وأكاد أجزم ألا مثيل له في تاريخ البشر من هانيبال لهتلر نفسه! وقد ينقلب هذا إلى كارثة في حق دولة تتضعضع أطرافها كل يوم من أوباش ميلشيات الأكراد -فما بالك بجند دول العالم كله كما يتمنى أنصار وقيادات تلك الدولة! إنزال جوي ضخم فوق الرقة والموصل ببضعة آلاف من الجنود سيتسبب في سقوط العاصمتين في خلال أيام قليلة.. الغرب يمكن أن يصل لتلك النقطة لكنه لا يفعل حتى الآن لأن خطر دولة البغدادي لم يصل لتحمل الكلفة البشرية لخسائر عملية كتلك نجاحها أو فشلها يعني موت مئات وربما آلاف الجند -فلماذا تسعى بكل جهدك إلى الوصول لتلك النقطة وأنت غير قادر!
دولة تفوقت باستراتيجية عسكرية ناجحة طوال الثلاثة أعوام الماضية، لكن قد يهلكها خرق وحماقة قياداتها إن لم يراجع هؤلاء أنفسهم ويسعوا في تعديل خريطة التحالفات والصراعات وفوق كل هذا يراجعوا عقيدتهم، كيلا نرى يوما المجنون المسمى العدناني يطالبنا بالبيعه له كخليفة!

(نوفمبر 2015)

دولة البغدادي فريدة بحق؛ كما أنها ذروة النجاح العسكري الجهادي فهي كذلك ذروة الأخطاء السلفية والجهادية معا؛ وكانت الحركتان تحتاجان لتلك الكارثة الغول كي يراجع الجميع أفكاره..

الشام ليس عبارة عن الثنائي: دولة البغدادي (داعش) x فصائل قومية وإسلامية متتركة (صحوات)! هناك أمثال جند الأقصى والنصرة وغيرهم من أهل الحق لا الجور والاستبداد واستحلال الدماء والتكفير بغير حق واستحلال الفروج والاستعانة بالكفار الأصليين على المسلمين!
هناك ضوء لم يتوقف لحظة في أرض الشام؛ كن منصفا حتى مع البغاة والغلاة والخوارج والقومجية -وفارقهم إلى أهل ديانة وعدل ورحمة وفهم..

(نوفمبر 2015)

تنظيم الدولة الإسلامية تعامل مع خطة أمريكا التي استخدمتها ضده من قبل [التجييش السني العسكري ضده: الصحوات] باعتبارها ثابتة.. نفس ما صنعه الإخوان قبلا عندما ظنوا أن الخطة الأمريكية [توظيف الجماعات المدجنة السياسية كحاكم سني شعبي يواجه الجهاد: تقرير راند الشهير] باعتبارها خطة دائمة.. أمريكا كانت أكثر ديناميكة من هذا التصلب الاستراتيجي والفقر الخططي الذي يظنه هؤلاء جميعا: أما الإخوان فقصتهم معروفة والصفعة كانت كبيرة لكن أذلائهم ما زالوا يسجدون للعق أحذية الكونجرس فيراهم أتباعهم يسجدون لله شكرا!
أما في سوريا.. فعندما تعرقل مشروع إنشاء صحوات ثانية بسبب الضربات الساحقة الاستباقية -الباغية المجنونة في أغلبها- التي وجهتها الدولة للجميع كان العدو الذي يتحرك كالأفعى ببطء وثقة من الشمال قد بدأ في اختراق الحزام الأحمر نحو الرقة: الأكراد!
الاستهانة بأمريكا أو التعامل معها باعتبارها متصلبة أو تستخدم سيناريو واحد: حماقة بالغة! وثمن ارتكاب هذه الحماقات يكون مرتفعا للغاية!

(ديسمبر 2015)

في تسجيل حاكم (دولة العرق والشام)، البغدادي.. استخدم لفظ (الحرب الأخيرة) في توصيف معركتهم التي يحشدون من أجلها الشرق والغرب! كتبت سابقا عن تلك النغمة الكارثية العنيدة المصممة بأن حرب العراق والشام هي (الملحمة الختامية) وهي (نهاية التاريخ) بالتوصيف الفلسفي، فاعترض بعض أنصار تلك الدولة على أن ما في عقول وخطاب زعمائهم له هذه الدلالة! هذه هي الحقيقة وها هو زعيم التنظيم أو حاكم الدولة - صفه بما تشاء- يستعمل لفظا دلالته قاطعة!
الأمة عند هؤلاء القادة تلعب مباراتها الأخيرة! لا يوجد بعد ولا توجد معارك أخرى ولا يوجد إلا الآن والآن فقط.. هذا قد يكون السبب الأهم في القاعدة المجنونة التي يتعاملون بها: من ليس معنا حتى النخاع -فهو ضدنا!
أسأل الله لهم ولغيرهم الهدى والرشاد.

(ديسمبر 2015)

التسعود أو التشيع المالي.. يقبله المتذاكون من الجماعات في كل مرة وهم يصفون من يعارضهم ويناوئ توجههم -بأنه قليل العقل قليل الحكمة يعجز عن قراءة الواقع يسيء الظن في رسوخ معتقد الجماعة وجهادها الصادع بالحق..
أعوام قليلة ثم يصير تسعودا أو تشيعا سياسيا.. ويبدأ اختلاق التبرير..
أعوام من التبرير ويصير تسعودا أو تشيعا عقديا، يُفاصل الحركات والجماعات السنية ويبدِّعها ويقاتلها إن استطاع!
والمتذاكون يظنون في كل مرة أنهم أذكى من سابقيهم!
حماس وأحرار الشام والحوثيون النماذج الأبرز كضحايا لهذا التذاكي: هذا بافتراض حسن النية العقدية والسياسية فيمن بدأ ومرر هذا الدعم لداخل مؤسسته!

(ديسمبر 2015)

حاولت قبلا الانشغال بترجمة كتاب، نبهني له ودفعه إلي أحد الأصدقاء في بداية هذا العام، اسمه كيف ينتهي الإرهاب، لمؤلفة خطيرة الشأن في الوسط التعليمي العسكري والمخابراتي الأمريكي والغربي عموما: أودري كرونين، والكتاب هام جدا بالمناسبة وثقيل للغاية وموصى به غربيا على مستوى العلوم السياسية..
للأسف، لم يكتمل المشروع بعد فصل واحد بسبب انشغالي الشديد بشؤون كثيرة واعتذاري عن إكماله لطوله وتعقيد تفاصيله وجهد الترجمة الذي فاق توقعي -وهناك تفصيل ربما أكتب عنه يوما عن الكاتب المترجم أو المحقق والكاتب الذاتي وصعوبة الجمع بين النوعين!-، لكن مع ذلك خلال الفصل الذي ترجمته أصابتني حالة من الانبهار بدقة هؤلاء الناس وعقولهم الشيطانية في وضع (منافسهم) على زلاقة تهوي به إلى نهاية محتمة /إن لم ينتبه لهم ويقرأهم جيدا!

كان الفصل الذي ترجمته يتحدث عن التفاوض.. وكانت الأمثال المضروبة أبرزها تجربة (دفع) الجيش الجمهوري الأيرلندي المؤقت (آيرا) ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى (موائد التفاوض).. تجربتان من العسير جدا تصديق أن رؤوسها قبلوا أصلا التفاوض مع كل أعداد القتلى والجرحى وصعوبة التنازل عن حقوق (قومية وثأرية) تاريخية أعمق أثرا حتى من صراع سوريا نفسه -إن نحن حصرناه فيما حصره فيه قادة الفصائل السورية العلمانية وشبه الإسلامية (الوظيفية).

خلاصة هذا الفصل كله في جملة واحدة:

إن أنت (قبلت) مجرد مبدأ الجلوس للتفاوض مع عدوك.. فقضيتك قد هلكت لا محالة!

أتمنى يوما أن تتم ترجمة هذا الكتاب كاملة، حتى يكف الناس عن الاستدلال بحادث (ثمار غطفان) في جواز التفاوض مع بشار وأمريكا وأمثالها!

لماذا؟!

لأن القياس أخرق كله: فأمريكا والغرب وأجهزة المخابرات الحالية بالعموم -وكلها صار يوجد بينها تعاون هائل ضد قضيتك- لديها خطط كاملة للتفاوض بكافة مساراته نهايتها محتومة باغتيالك معنويا وشعبيا.. ووأد قضيتك تماما.. ولديهم خبرة هائلة في ذلك.. وسيتم إقناعك -قبل إقناع شعبك- بأن قطعة اللحم النتن التي ستقبل بها في النهاية هي انتصار عظيم وهائل ربما تأخذ جائزة نوبل عليه!

عندما تجيئني بدليل فيه أجلاف البدو النجديين من غطفان في جهة والنبي بجيشه في جهة.. وتجعل عليه قياس الواقع الحالي الذي فيه أمريكا والغرب والشرق كله باستخباراتهم بعلومهم العسكرية في التفاوض والتدجين في جهة - وبين مجموعة فصائل خرقاء نصفها أو أكثر يعتمد اعتمادا كليا على الدعم الغربي أو الإقليمي السعودي والقطري -وهم أسوأ حالا في تلك النقطة حتى من الآيرا والتحرير!- فلا يجب أن تغضب من وصفي لهذا القياس بالحماقة والخرق والجنون!

إن كل فصيل فكر مجرد تفكير في الذهاب إلى مؤتمر الرياض للتفاوض حول الثورة السورية -قد انتهت قضيته التي بدأ من أجلها ثورته! ودعكم ممن انسحب أو لم يذهب لأول لقاء من أجل التفكير، كله سيعود ويجلس! وسيتم تحوير هذه القضية ومبدأ التفاوض يوما بعد يوم حتى يصل الحمقى للتهليل للقادة الذين سيفوزون بقطعة اللحم العفن! لا تنجروا لقبول هذا الفعل ولا وراء هؤلاء الحمقى! اقتلوا فكر الإخوان والقومجية ورؤوسهم ومفكريهم بل ومن يتعاطف أو يتسامح مع فكر هؤلاء في هذه المجالات!

وليقبلن يوما من يتسامح معهم نتن اللحم ويتلذذ به ويخرج لنا بفمه القذر مهللا مكبرا بالنصر العظيم!

(يناير 2016)

إذن، ما مآل حكمة هذه الحركات المتذاكية كأحرار الشام وعلاليش الغوطة؟

مآلها أن صارت متسعودة سياسيا.. هذا ما كانوا يجادلون ألا إشكال فيه وأنه ليس بهذه الصورة التي يظنها المتعصبون الجهاديون وأنهم أكثر انفتاحا وأكثر تمسكا بذاتية القرار من الحركات المتعصبة وأنهم يلعبون سياسة والنبي كان سياسيا وكان يحيد من يستطيع تحييده/ وحلف الفضول/ وثمار غطفان/ ونتمنى من آل سعود أن يقوموا بعاصفة حزم شامية/ إلخ إلخ!

ثم يخرج صحفي أمريكي منذ أيام ليكشف الآتي: لقد كان البنتاجون يتجاهل سياسات أوباما ويعتبره أحمقا! كان يعطي البيانات والإحداثيات التي يحصل عليها إلى الروس عن طريق قنطرة سياسية.

يعني أن المتذاكين الذين كانوا يعتبرون روسيا وبشار ضد النظام العالمي وكتبوا قبلا عن ضرورة استغلالهم لهذا وكانوا يصنفون السعودية على أنها في المعسكر الضد روسي وبالتالي لو امتزجنا بها فلا إشكال كبير لأن السعوديين رجال أمريكا -كل هذا كان وهم!

ما حصل عليه السعوديون كقنطرة أمريكا في الشام كان يحصل عليه البنتاجون وما حصل عليه البنتاجون كان يتم إمرار الكثير منه إلى روسيا وبشار بقنطرة أخرى! لقد كان الجميع متحالفا بصورة غير مباشرة/ بينما هؤلاء المتذاكون يظنون أنهم يتلاعبون بالقوى الكبرى! قصة مملة مكرورة! ولا يفكر الجميع لحظة فيما جنوه على أنفسهم بعدما صاروا مجرد بيادق للكبار! وحتى صاروخ واحد يضربونه نحو دمشق لا يمكن أن يتم بلا موافقة أمريكية صريحة كما صرح علوش قبلا!

نفس هؤلاء الذين كانوا قد خرجوا منذ خمسة أعوام في سبيل الله ينتظرون الموت ولا يهمهم أي ترهيب: دجنهم المجرمون حتى صاروا الطرف الأضعف من لعبة عالمية يخشون في كل لحظة أن يتم دفعهم بعيدا عن ساحتها فلا يتجرأون على مخالفة واشنطن ويحلمون كل يوم بتدخل تركي سعودي عسكري ينقذهم! كيف صار هؤلاء إلى هذا؟

(يناير 2016)

إن كان من معاني الأيدولوجيا تحوُّل الأفكار السياسية التي يجوز فيها النقاش والجدل إلى أصل من أصول الدين أو رؤية جامدة يُعادى عليها: ففكرة أبي مصعب السوري رحمه الله عن خطأ قيام دولة في الوقت الحالي، وهي الرؤية التي صارت شعارا للقاعدة حاليا، بل واتخذها بعض الناقدين أحد مواطن الهجوم على الدولة البغدادية /هي نموذج واضح لهذا المعنى! هذه هي الأيدولوجيا بحق! بل إنها حتى من الجانب الشرعي البحت أضعف -لأن وجوب تنصيب الإمام عليه إجماع بينما لا يكاد يوجد من تحدث عن ما يشبه (تحريم) تنصيب إمام ودولة في وقت النوازل وجهاد الدفع، خاصة والصراع -بحسب أبي مصعب نفسه- ممتد وسيأخذ سنوات طويلة وجولات عديدة.. فهل المطلوب أن تنساق الأمة وراء تلك الفكرة/الأيدولوجية التي صارت علامة على القاعدة حاليا؟! وأن لا تنصب إماما وأن لا تعلن دولة طوال مدة الصراع الذي قد يستمر لعقود طويلة؟!

بل الواقع يدل أن فكرة أبي مصعب تلك قد تكون أكثر ما يلعب عليها الغرب للاستفادة: فعدم الدولة والإمام يعني عدم التوحد، وعدم التوحد يعني الخلاف والتحزب، والساعي للتوحد لن يجد أمامه سوى السيف لتوحيد الرافضين أو الاستسلام للدوامة الحزبية الحالية بأمر الواقع كما هو جارٍ لجبهة النصرة! وفي النهاية الغرب سيجد وسط هذه الأرضية المتصدعة للحركات الجهادية موطئا للعمل سواء بصورة مباشرة أو عن طريق دول القناطر كتركيا والسعودية وقطر.

وليست هذه هي الفكرة الخاطئة الوحيدة التي تسربت من أبي مصعب للحركة الإسلامية: بل من يقرأ كتاب تجربة الجزائر بعين ناقدة يعلم أن حكمه على قادات الجيا الجزائريين بالعمالة المباشرة للمخابرات كان مستندا على أدلة واهية كحكاية الشاب الجزائري الذي قابله في أفغانستان والتصرفات المريبة وشهادات خصوم ليبيين هاربين.. هذا نفس ما سيحدث مع دولة البغدادي في الوقت الحاضر من اتهام بناء على مثل تلك الشهادات وسيسري نفس المنهج في تأكيد العمالة المخابراتية عليهم بتلك الطريقة، وسيكون العائق الأكبر الذي سيفتت صحة قول القائلين هو كون دولة البغدادي تقاتل الجميع ويقاتلها الجميع بلا رحمة، حتى تصل السخافة أحيانا باتهامها أنها تابعة لنظام بشار الوضيع الذي لا يملك من أمر نفسه شيئا حاليا لكنه –مع ذلك- يملك تحريك دولة تحارب العالم بأكمله في سوريا والعراق! بل حتى شهادة أبي مصعب في أبي قتادة قد خرج الأخير مؤخرا وأعلن أنها كانت شهادة خاطئة وأن أبا مصعب افترى عليه في كتابه لكنه لن يرد لأنه -أي السوري- مسجون حاليا! أبو مصعب السوري عبقرية حقيقية.. وأفكاره نيرة وتحليله دقيق في أوقات كثيرة.. لكن عدم تناول أفكاره وطريقة استدلاله وتحليله للبيانات والمعلومات إلا بهيئة المنبهر لا هيئة الناقد أظنه تسبب في أفكار كثيرة تحتاج لمراجعة قوية جدا، ويكفي في ذلك التمثيلان اللذان ذكرناهما: أيدولوجية (وجوب) عدم بناء الدولة حاليا - وطريقة الاستدلال على التخابر واتهام الجماعات بها!

(مارس 2016)

عندما دخل المغول إلى الأناضول ليسيطروا عليها بعد انتصارهم على السلاجقة في معركة كوسى داغ الكارثية.. أقروا سياسة تقسيم السلطة بين ثلاثة سلاطين، أتباع للمغول، يأتمرون بأمر الإيلخان المغولي، وبالتالي عدم توحيد الراية والإمامة..

ثلاثة سلاطين! كل سلطان معه بهرج حزبه الأميري وجنده الأتباع!

ولا جرم كانت هذه السياسة قاتلة دولة سلاجقة الروم بعد حين. وكانت العمالة للمغول أو للقوى الإقليمية والعالمية القاهرة هي السياسة السائدة عند هؤلاء (السلاطين)! تارة مع مماليك بيبرس وأخرى مع البيزنطيين وثالثة ورابعة وخامسة مع سيدهم الأول وآمرهم الناهي: المغول!

سلاطين مرتزقة، عملاء لكل قاهر، ينتفخون على الناس ببهرجهم ونسبهم لعظمة سلجوقية بائدة، ويتنافسون في العمالة حتى يتسببون في قتل بعضهم البعض إما بوساطة الوشايات عند سيدهم المغولي أو بوساطة الاقتتال بين بعضهم البعض!

والمغول بذاك يفرحون، ومن الأحزاب والسلاطين ينتقون ويختارون! والناس حشو!

اللهم لا!

اللهم إن إبقاء التقسيم بين المسلمين خيانة!

اللهم إن إبقاء رايات العمالة خيانة!

اللهم إن الانبهار ببهرج العملاء وقد تساقط عنهم خيانة!

اللهم إن التسليم بلا بصيرة لصاحب قُدمَةٍ قد خانها وغدر بأهلها خيانة!

نازلة هي كل نظرية تقر الإبقاء على المسلمين بلا وحدة لا يجمعهم إلا الأخدود!

نازلة هي كل نظرية تقرُّ غياب الإمامة والخلافة وتأمر -الساقطة- طالبيها بكل القيود والحدود!

اللهم اجمع شتات المسلمين المستضعفين أصحاب الأخدود بعدل عادل، أو ببغي باغٍ، يرعى حق الزمان وحق دينك في التنكيل بأعدائك.. اللهم لا تبق للمسلمين النازلات الحالمات ولا الرايات الخائنات ولا العصبيات المنتنات.

(مارس 2016)

1- قال الإمام الأشعري رحمه الله في مقالاته، عن أحد أشهر خصائص الخوارج التي تميزهم عن أهل السنة، أنهم (**لا يرون إمامة الجائر**) (مقالات: 81). وقد ذكر الإمام الشهرستاني في معرض وصفهم أيضا أنهم (**كل من ينصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له بالعدل واجتناب الجور كان إماما. ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه. وإن غيَّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله**) (الملل والنحل: 135)!

كما أن أحد أهم بدع الخوارج التي أثبتوها عليهم هي أنهم: (**جوزوا ألا يكون في العالم إمام أصلا**). (ملل: 135). فالحقيقة أنه (**لا حاجة للناس إلى إمام قط**) (ملل: 144)!

فهذه الخصائص: التفرق وتجويز عدم وجود إمام، واشتراط العدل كشرط واجب لا يُتنازَل عنه، هي من أشهر خصائص الخوارج!

2- قال الإمام الجويني رحمه الله: (**لو فرض إلمام مهم يتعين مبادرته في حكم الدين، قبل أن يطأ الكفار طرفا من بلاد الإسلام ولم نجد بدا من جر عسكر وصادفنا فاسقا نقلده الإمارة، وعسر انجرار العسكر دون مرموق مطاع، ولم نتمكن من تقي دين، وإن بذلنا كنه المستطاع، فقد نضطر إذا استفزتنا داهية تتعين المسارعة إلى تقليد الفاسق جر العسكر**) (الغياثي: 219). وقد اضطر الشيخ حاكم المطيري نفسه، وهو من أبرز المعاصرين في فقه هذا الباب -أي السياسة الشرعية- أن يسلم بأن قول الشافعي عن جواز الخروج على الجائر هو قديم الشافعي (الحرية أو الطوفان: 162). وقال الإمام الغزالي في الاقتصاد بجواز الخروج على فاقد شروط إمام العدل كالجائر بشرطين: وجود (**من هو موصوف بجميع الشروط**) (الاقتصاد: 398) وبالتالي المفهوم أنه يلزم إيمان الخارجين بوجوب تنصيب إمام فورا. والثاني: أن يكون هذا (**من غير إثارة فتنة وتهييج قتال**) (نفسه).

وقد قال البيجوري في حاشيته على الجوهرة، ذاك المتن الأشعري المتأخر الشهير والمقرر على الأزاهرة (**ولو تغلب عليها شخص قهرا انعقدت له وإن لم يكن أهلا كصبي وامرأة وفاسق وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه كالمستوفي للشروط... الشارع أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وذلك لا يتم إلا بإمام يرجعون إليه في أمورهم**) (حاشية البيجوري: 325).

وإن كان الأحناف المنقول عنهم أنهم يرون جواز الخروج على الفاسق والجائر بالسيف اتباعا لإمامهم رضي الله عنه، كما نقل عنه الإمام الجصاص، فإن هذا لا يعني أنهم منعوا طاعة الجائر كسائر أهل السنة ما دام هناك عجز عن إقامة إمام العدل.

أما الحنابلة رحمهم الله فتشددهم في عدم تجويز الخروج أشهر من أن يُستدل عليه من كتبهم، وهم أكثر تماسكا في هذا الرأي المتشدد من الأشاعرة عموما، فإنك تجد في كتب الإمامين الغزالي والجويني ما يؤكد أن هذه الآراء فقهية لا عقدية، بينما يضعها الإمام اللالكائي في مجمل المعتقدات السنية. فيقول الجويني عن الأطراف المتناحرة في (كافة) مسائل الإمامة بتشدد: (**معظم الخائضين في هذا الفن يبغون مسالك القطع في مجال الظن**) (الغياثي: 93) ويقول تلميذه: (**هذه مسائل فقهية فليهوّن بها المستبعد لمخالفة المشهور على نفسه استبعاده ولينزل من غلوائه فالأمر أهون مما يظنه**) (الاقتصاد: 399).

3- فأهل السنة كلهم مجمعون على أن الاختيار يكون بين إمام جائر وإمام عادل، لا الاختيار بين إمام جائر أو فوضى بلا إمام كفصائل تؤصِّل لتغييب الإمام لعقود بدعوى المصلحة السياسية المعاصرة! أما الخوارج فيجعلون إما إمام عدل وإما لا إمام، فلا طاعة لإمام جائر مهما كانت النوازل تنثال على الأمة!

وإن كان ميلي الشخصي هو لآراء الأئمة الذين يجوِّزون الخروج على الفاسق أو الجائر بشرط القدرة على تغييره ووجود غيره -وصفات الفاسق أو الجائر معلومة فليس فيها شيء من الحكام العرب والعجم المعاصرين فلا يتنسمن جامي أملا- فمن البغي أيضا أن يقطع البعض بوجوب خلاف ما قرره أهل السنة بناء على نظريات سياسية معاصرة في فن حرب العصابات، فإن القطع والتشدد ليس في صالحه قطعا!

4- ثم إنه من تمام النزول، أن يكون بعضهم (أموي الهوى) فيبرر حتى ليزيد الجرم، ثم يكلمنا عن وجوب الخروج على الجائر ومن يعمل سيفه في المسلمين! قد أعمل الأمويون سيوفهم في المسلمين بل في خيار بيوتهم، بيت نبيهم، لابتداع نظام ملكي لعين، وقسموا بين المسلمين وبعثوا الأفكار الجاهلية العرقية العنصرية حتى أبادتهم وانتقمت من العرب بالعباسيين ومن ورائهم شر انتقام! ثم أفلت الأمويون من لسان نفس من يهاجم دولة البغدادي لأنها أعملت سيفها في المسلمين، هذا ولم تقتل دولة البغدادي ربع ربع من قتلهم عبدالملك بن مروان وحده، لا كما ولا كيفا!

5- هذا ورأيي في دولة البغدادي معروف لا يحتاج لبيان، وغلوها وخارجية الكثير من أهلها ليس لأحد أن يزايد علي بتبيانه. لكن الفارق أن المسلم الناظر لبلاد الشام يعلم جيدا أن ما ينكره اليوم قد يتغير حاله غدا، وأن البغي جارٍ بين الجميع، وأن الكل مستوجب للإنكار. لكن العالم بأفعال المتسعودة والمتأرغنين أتباع تركيا الأردوغانية ثم أفعال المتأمركين، من تآمر على الجهاد بوصفه حكم شرعي لأمة لا بوصفه نوع ثورة قومية أو وطنية لا أكثر، وعمالة تظهر يوما بعد يوم لتلك الأنظمة العالمية والإقليمية، وسير في طريق التفاوض مع موسكو وطهران والتنازل إرضاء لأسيادهم في الرياض وأنقرة وواشنطن -يعلم جيدا أن البغاة الغلاة لم يكونوا على

باطل كله. وأنهم استبصروا ما أراده بهم المتسعودة والمتأرغنة حين كان الجميع يهلل لفصائلهم التي كانت ثم صارت. ثم هو -إن عالج بصره- يشاهد الآن نفس سردية الشيطنة والتشويه تسير بصبر وتهل ضد النصرة وكل فصيل يحمل فكر الجهاد الشرعي لا الثوري المُعدَّل. وها هو شيطان الدار ديرانية وكلاب القومجية أمثال أبا نقصٍ والخائن وغيرهم يهاجمون ويحشدون ويشيطنون بنفس الأساليب. أفلا يستفيق من صعَّدهم أول مرة! فإنكار المنكر باللسان على الغلاة قد قمت به ولله الحمد، فلم أكن يوما محللا لهم ولا راضيا عن معتقدهم، بل ونالني منهم الأذى والتهديد والوعيد بالقتل في مرحلة مبكرة جدا من قيام دولتهم. وحين كان يشكر فيهم الشيخان السباعي وعبدالحليم وينكران على من يناوئهم؛ لكن إنكار المنكر باللسان شيء، وحشد الناس وتأييد الكافرين في ضربهم والفرح في التنكيل بهم، وتأييد المتسعودين والمتأرغنين، والصمت عن رايات الجاهلية القومية والوطنية، والسكوت عن هدن ومفاوضات الخيانة شيء آخر!

6- ثم إنه والله عجيب عجيب: أن يستصرخ المسلمين على بغي دولة البغدادي في فرض إمارتها من كان في مصره لا يرى سوى وجوب تجاهل مطالب العلمانيين بل والإسلاميين المشكوك في أمرهم كالدعلفيين ووجوب الصدام مع الجيش مبكرا، مع ثورة أو بثورة! ألم يلزم من موقفك هذا أن تقف مع كل من يرفض تعاونا مع المريب أو يواجه المدعوم من الأنظمة الوظيفية؟!

ثم إنه والله عجيب عجيب: أن يؤيد فصائل الخيانة في مفاوضاتها مع بشار من كان يستصرخ الإسلاميين الثورة على الإخوان والانحياز حتى ولو لثورة علمانية: لأن الإخوان قد فاوضوا العسكر! ألم يقتل بشار ألف ضعف من قتلهم عسكر مصر؟! ألم يلزم من ثورتك الأولى أن تكون في صف من يقوم ضدهم ويطلب زوال وجودهم؟ هذا وهم يصنعون اليوم ما اتهمتم الإخوان أنهم صنعوه قبلا: عندما هادنوا العسكر حتى أتم إزالة الحركات المتطرفة في عداوته والمطالبة بسقف فوق ما يضعه لها، ثم تفرغ للقضاء على الإخوان فنفخ فيهم نفخة واحدة أضاعت رؤوسهم أجمعين!

أخيرا: اللهم إن كان هذا هو الحق فثبتنا عليه. وإن كان هو الباطل فاصرفنا عنه واعذرنا فيما سلف؛ فإن هذه -حقا- السنوات الخدَّاعات التي أخبر بها نبيك، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به.

(مايو 2016)

الجهاد لا يقتصر أبدا على نقل كل عالم إلى موطن الصدام، الإيمان بهذا الإطلاق تنطع -وهو أحد أهم أسباب البلاء الذي استفحل مؤخرا بقصر الأخذ من أهل العلم على من تواجد في تنظيم أو أرض قتال، ثم لما جاءت سياسة أوباما بقتل كل الرؤوس الممكنة في تلك المواطن طوال الأعوام الماضية خلال عهده الإستخباراتي الأسود: تصدر الذيول وندر الفحول فأصبح شخص كالعدناني رأسا بل عالما، ثم جاءت الإنقسامات والتشنجات الحزبية المعتادة -المعتادة جدا بالمناسبة في كل مكان وزمان- لتزيد من تصدر الخطاب الغوغائي العصبي وتعمل على إسقاط أي صوت علمي عاقل هادئ!

كل عالم بقدر طاقته يشارك ورب عالم في موطن آمن أفيد لأمته ودينه وجهادها من آخر لا يجد أمنا ولا أهلا ولا آذانا صاغية لبحثه وجهده.. عالم ديني في الجزيرة أو مصر أو غيرها: غاية ما تطالبه به ألا يتوقف عن دعم الجهاد ولو بالكناية خوفا من مجرمي الجزيرة وجائريها /لكن، من التنطع كذلك، أن تطالبه بأن يبيِّن لك تفصيلا حكم صاحب الدولة التي يعيش فيها! يكفيك منه مساهمته العلمية على ثغره وألا يكون خنجرا في ظهرك بل هو -بفضل إيمانه بالقضية الإسلامية- معتبر خنجر لك، نائم النشاط إلى حين، في ظهور هؤلاء الحكام.. ولو علم الناس هذا لأراحوا واستراحوا.. والتسديد والمقاربة مع أهل العلم وعدم تذعيرهم على أصحاب القضية، حتى لو كانوا من المحايدين بل المناوئين: فقه.. افتقده للأسف الكثيرين..

ثم، مرة أخرى: الأمة في معركة كبرى حاليا، تحتاج للعالم في كل مجال، فأحمق كل الحماقة من يطالب كل إعلامي وكل متشرع وكل عالم من كل مجال، بترك مكانه الذي يحقق فيه طاقته القصوى، إلى موضع تنتهك فيه طاقته وتستهلك في غير طائل كبير.

(يونيو 2016)

هرقل كافر، وكسرى كافر..

هذا وذاك رفضا رسل النبي ورفضا الدعوة، وكان النبي يعلم معنى هذا الرفض في المستقبل القريب: إشعال الحرب.. بل كانت الحرب مع الروم أسرع ولم تحدث في حياته حرب مع الفرس.

مع كل ذلك: لم يستقبل النبي جواب هرقل المتأدب بنفس استقباله لجواب كسرى الغاشم الغبي!

بغض النظر عن الحماقة التي جعلت البعض يتمنى فوز هيلاري لأنها (الأقرب لتفهم الإسلام من ترامب!) بل ودفعت بعض الأمريكيين منهم لمساندتها والترويج لها صراحة -كأن سنوات أوباما الشؤم كانت بردا وسلاما على المسلمين!-

ثم بغض النظر عمن يؤمن أن هيلاري لن تفوز لأنها امرأة -بالرغم من كونها ابنة الخط السياسي الأمريكي العام والأقرب بالطبع- فقط لأنها امرأة، مع أنه مع التوجه العالمي الحالي كان الصحيح أن يقال أن هيلاري ستفوز لأنها امرأة تحديدا!

فإن تمني فوز ترامب، بتهديداته الخرقاء وتهييجه المجنون، انتظارا لمعركة (واضحة ومعسكرات ظاهرة) من جملة الأمور غير المعقولة! الطبيعي أن تتمنى صعود الأكثر لينا وتفاهما في المعسكر المعادي، ليس لأنك ستفاوضه بل لأنه سيترك بلينه مجالات لأساليب أخرى من الحركة في الغرب قبل الشرق، أنت تتمنى صعود من يهدد بصب الجحيم فوق رؤوس المسلمين؟! لا أعتقد أنني قرأت عن مثل هذا في تاريخ المسلمين وتاريخ القادة العسكريين قبل غيرهم! حتى أشد القادة العسكريين رغبة في القتال لم يكن يتمنى عدوا صلدا مخيفا أمامه! وقد كان المغول أهل الرعب والحرب يتآمرون في كييف وموسكو والأناضول السلجوقية قبلها: لتشجيع تولية حكام ضعاف أو أقل عداوة حتى إذا خاصموا لم يشعلوها حربا لا تبقي ولا تذر! ثم حين جاء إيفان الرهيب بتعصبه المجنون كان فاتحة الجحيم على مغول سراي والقرم!

وكم تذكرني كلمة (اللهم وفق عبدك ترامب) -بكلمة خرقاء مشابهة كان يقولها أحد الإخوة المجاهدين في العراق وسوريا حينما بدأت أمريكا في الضرب قبل عام ونصف، كان إذا سمع الزنانة (الطائرة بدون طيار) قال: اللهم سدد رميهم! كان يريد الشهادة فراح يدعو الله أن يوفق أمريكا، لولا أن أميره نهره ونهاه عن تكرار ذلك الخرف!

(أغسطس 2016)

إن موقفي كمسلم مع تنظيم الدولة هو نفس موقفي مع الإخوان الذين أراهم فيهم ما فيهم: لهم ولاء المسلمين وألا أناصر عليهم كافرا وألا أسكت عن ظلم بيّن عليهم.. هذا من الناحية الشرعية.. وهذا ما جعلني أعتصم في رابعة مع إخوان كانوا يرون فكر أمثالي السبب في نكبتهم (الديمقراطية!) وأن أبقى معهم لنهاية كنت مستيقنا منها ولا أندم لحظة عليها بل أشرف بها طوال عمري، لأنها كانت لله لا للإخوان ولا لغيرهم!

وهذا هو الموقف نفسه الذي جعلني أقف جاهدا -مستهزئا- ضد كل من روَّج لكون داعش تنظيما عميلا لبشار ولأمريكا.. وضد كل من هيَّج عليهم حربا شعواء محللا لأمريكا حتى وجدنا وغلا بغلا عراقيا يهلل لأمريكا قصفها لهم في بلده المحتل!

من قرأ كتاب (وطن الراشدين) من إخواني يعلم جيدا الفقرة التي تحدثت فيها عن حرج الوضع الحالي المعاصر واحتياجنا لكل جهد وتنظيم كي نواجه هذه الهجمة البربرية ووجوب تجاوز كل خلاف ما أمكن في المواقف العملية -ما لم يتحول التنظيم لقتل إخوانه! هذا الكلام قد كتبته في 2013 قبل الانقلاب بالمناسبة بل وأصله نشرته في 2012!

فهذا هو منهجي من قديم وليس بجديد.. أرى في الإخوان وداعش ما فيهم من طوام وأتحدث عنها لا أكتمها ولكن أعترف لهم بالولاء كمسلمين وأرجوا من الله أن يقصم الفاجر الطاغية منهم في ذات الوقت وأن يبدل الفاجر تقيا. وسأقف -بإذن الله، لا منتمٍ- ما قدرت مع كل من جاهد بشق تمرة. فهذا واجب الإسلام الذي أعرفه في حق سراة الناس والمسلمين. وما أنا إلا فرد واحد لا يعرفني إلا قلة. وأعرف أن هذا الموقف لن يأتيني بحب ولا قبول واسع، والله يغنيني عن مثل هذا حب وقبول من أي فصيل!

(سبتمبر 2016)

كان لنا أخ هنا، فك الله أسره، مثقف جدا ومر بمراحل الشيوعية في مقتبل شبابه.. كان دائم السؤال للشيوعيين من زملائه السابقين: أتم قرأتم حقا رأسمال ماركس وتطورات لينين ورؤية تروتسكي؟!

أي شخص يعرف تركيبة مصطلحات ورؤى ماركس عن القيمة الاستعمالية والقيمة المضافة والمعادلات (ن-س-ن) و (س-ن-س) لابد أنه يجزم بأن جمهور شيوعيي العرب لم يكن يوما من المقتنعين بالماركسية والشيوعية من قراءة واطلاع على التنظير الماركسي.. إنما لأن النضال ضد القوى العالمية خلال القرن الماضي (خاصة فيما بعد عصر الحربين العالميتين) اتخذ هيئة اليسار.. النضال والمقاومة الأممية والوطنية ضد أمريكا والمنظومة العالمية في النصف الثاني من القرن العشرين كان مكتسيا باللون الأحمر بلا شك.. جيفارا المقاوم الشيوعي الأممي هو رمز القرن الماضي عالميا بلا جدال.

فهم ذلك الأمر ضروري لإدراك جزء كبير من ظاهرة (الألتراس) الإسلامي العدواني الذي لا ينفك يسب ويلعن في كل تنظير إسلامي وكل رؤية مخالفة أو ،حتى، موافقة!! إن هذه الألتراسات تربية عصر المرئيات السريعة الخاطفة المعتمدة على القتال والضرب والشعارات الكبيرة دون أي محاولة لتنظير فكري لما يجري، ليس لأن المُنتِج عاجز عن ذلك إنما لأن الجمهور المستقبل ليس جاهزا ولا مهيئا -من الأصل- للتعمق! هناك جملة عبقرية قرأتها منقولة عن باحث غربي مفادها باختصار: أن هذا الجمهور الشبابي الإسلامي الغاضب ينضم للحركات الجهادية الأكثر تطرفا لأنها هي الأنجع حاليا، ولو كانت الشيوعية هي الأكثر تنكيلا لكانوا من أشد الشيوعيين!

هذه هي حقيقة تلك الجموع، وحقيقة عدائها للتنظير والقراءات والكتب والكاتبين، خاصة بعدما دخل فيروس (الفكر) السلفي الأشد عداوة للكتب الفلسفية والفكرية حتى وإن كانت تدعمه؛ فكل ما ليس نقولات مرتبة متتالية لأئمة من السلف وبعض أحاديث على بضع آيات مع كلمتين فقط من الكاتب لإقرار أو تفهيم -هو فكر، هو ضلال!

وهذا من أفضل عناصر تفسير انتقال بعض الشباب هؤلاء من السب واللعن والتوعد بالويل والمهالك لمن يعاند تنظيم الإسلامي -أو الجهادي-، إلى السخرية والاستهزاء من الإسلاميين بل وأحيانا من الإسلام كله -والعكس صحيح!

ألم يكن ذاك الذي يدخل حاليا غرف الإسلام غرفة غرفة ليشعل فيها النار جميعا، إخوانيا بالأمس قبل أن يرحل للشتات الأوروبي، أليس هو هو الذي كان قد أخذ مقالا كتبته عن الصراع الديني لينشره معلقا أنني أمثل الفكر الظلامي المتحجر والمعادي للإنسانية؟ نعم: هو نفس الذي، قبل أربعة أعوام، كان يهاجمني باعتباري عدوا للمشروع (الإسلامي العالمي) حينما كان في الإخوان!

قد عرفت شبابا كانوا يهاجمونني بشدة باعتباري داعشيا أكتب ضد (إخوانهم!)، ثم فتح الله عليهم وصاروا دواعش فصاروا يسبونني بكل فحش ويتوعدونني بكل إجرام حتى وصل بعضهم إلى أن بعث لي منذ أيام يخبرني عن يقينه أن الله -منتقما- سيجعل مني آية، وأنه ينتظر هذا اليوم!

هذا الانتقال السريع من اتجاه لاتجاه لغياب ثقل التنظير جعلهم مجرد (جماهير) خرقاء متى ساد تيار في (مقاومة) هرولوا إليه، وكأي جماهير، هم أعداء لكل ما هو محايد أو ما لايفهمون موقفه، هم أعداء أي عمق وعبيد السطحية والشعارت العنيفة المستهترة.. المقاومة الإسلامية العالمية حاليا تمر بانتكاسة وعثرة بعد صعود كبير، وسترون الكثير من هؤلاء (الألتراس) فجأة ينتقل من خانة لخانة ومن أقصى اليمين لأقصى اليسار، لأنهم ببساطة كالمركب الصغير تديره الرياح كلما اشتدت، وهو فخور بهذا وليس عنده استعداد لثقافة أو قراءة أو حتى احترام تلك الفكرة نفسها! ظاهرة الألتراس ظاهرة كبيرة وآثارها ضخمة، وتناولها باستهزاء دائما يُغيّب -دون وعي- المعنى الخطير وراءها ويطمس أي درس مفيد لمستقبل الصراع ومراحله القادمة.

(سبتمبر 2016)

ما أنت؟ أنت (متعاطف) أو ما اصطلح الآن على تسميته (ألتراس) لتنظيم شمولي مثالي!

أنت أكثر أفراد هذه الشمولية سذاجة، وأبعدهم عن فهم أصول اللعبة وأشدهم إيمانا، وأرخصهم كذلك!

صدق أو لا تصدق فإن (كبارك) والحلقة المحيطة بهم أدرى بحقائق الخبايا منك ومن ألف مثلك!

تهاجم كل من لا يعلن الخضوع التام؟

تسب وتلعن كل (نخبة) كنت تقدسها بالأمس فأعلن (الزعيم القائد) أنها ملعونة فصرت أكبر لاعنيها اليوم بعدما قُدِّمت إليك أرخص وأوهى أدلة الإقناع؟!

هذه هي الشمولية يا أخ!

وكلما ازدادت بذاءة ألفاظك وتجذَّر صدق عداوتك ازداد إثباتك -دون أن تدري- أنك عضو في تنظيم / حركة / جماعة شمولية لن تبقي ولن تذر حين التمكين!

ثم ليس الحديث عن داعش وحدها - بل الحديث ممتد لكثير من خصوم داعش بل وحركات (فشلت) أن تكبر وتستمر فانهارت ولم يكتب الله لها إكمال طريق الشمولية الذي كانوا يسيرون إليه بوعي -أو دون وعي- عن طريق إسقاط الجميع وتفتيت كل ما لا ينتمي ويخضع إليهم وحدهم!

كل هذه التصرفات المهووسة بإسقاط الجميع عن طريق ضم أكبر قدر ممكن في سلة واحدة مثل (النخبة السياسية، نخبة الفيسبوك.. إلخ) وبغض الناس عما سوى هذا (التنظيم / الجماعة / الحركة) الأوحد والزعيم الأسمى والمفكر المتجرد والباحث المنصف، هي أكبر علامات شؤم الشمولية اللعينة.. الشمولية التي إن وصلت إلى ما تتمناه من عروش قد تجعل ديكتاتورية السيسي العسكرية نوعا من المزاح !

(سبتمبر 2016)

التركيز على وصف مقاتلي داعش (بالمارقين) ذكاء كبير من مروجيه، منذ قرأته قبل عامين وأكاد أصفق إعجابا بمكر هذا المسار الذي يسعون إليه وما زادتني الأيام إلا يقينا بتعمدهم الاتكاء على ذلك الوصف حتى بدأ بعضهم يصرح بمراده مؤخرا: أن مقاتلي داعش كفار!

لا يعزب على أي مسلم قرأ في الشريعة أن الخوارج لم يتم التعامل معهم فقهيا كالمرتدين ولا الكفار.. وأن لهم أحكاما خاصة مخالفة لأحكام طوائف الردة والكفر.. وكان يتم التعامل معهم تاريخيا بالشريعة على أساس أنهم فرق مبتدعة كالمعتزلة وغيرهم بل كانت المعارك مع المعتزلة عقديا أشد.

إذن ما الحل لقطع أي سبيل لكل تعاطف ممكن مع هؤلاء؟! نعم: الحكم عليهم بأنهم كفار! هنا يتم التمسك ببعض أقوال أهل الفقه وبظاهر كلام النبي عن (المروق) ونفي أي تأويل آخر -لابد من تكفير مقاتلي داعش ردا على حكمهم علينا بالردة ومن أجل الاستخدام السياسي للشريعة في مسائل مثل التعاون مع الكافرين

الصحراء كأمريكا لمقاتلتهم باعتبار أن كليهما من الكافرين، مثلا، أو حتى إيجاد عذر لحمير الجر التي صار زمامها بيد واشنطن وموسكو حتى وصلت للقتال بمشهد من القوات الخاصة الأمريكية صراحة!

أصل هذا التكفير المتبادل بين الفريقين لا يغيب عن عاقل أنه سياسي في حقيقته لا شرعي.. هذا المقاتل بحاجة لحكم نهائي بأن من أمامه مرتد يجوز فعل كل شيء فيه لأنه أخطر عدو.. وهذا المقاتل الآخر بحاجة لحكم نهائي مماثل بأن من أمامه كافر يجوز فعل كل شيء فيه لأنه أخطر عدو!

هذا الذي يروج لكفر مقاتلي تنظيم الدولة باعتبارهم خوارج -كأنما هذا أمر مستقر مجمع عليه لا الرأي الأضعف المرجوح: أن الخوارج كفار- يريد استخدام هذا سياسيا في زيادة حشد وتعبئة أجناده ومناصريه، أولا.. وزيادة الضغط على كل من يحكم بأن هؤلاء حتى بخارجيتهم أهل إسلام لهم من الولاء لأهل الإسلام ما يمنع استخدام أي وسيلة لقتالهم بالمطلق! هذا أحد أسباب انتشار المكارثية المجنونة التي تبحث عن أي (متعاطف) أو (ساكت) عن أفعال تنظيم الدولة كي تهاجمه، لقد حكمت المكارثية بالتكفير داخليا سواء بوعي أو بدون وعي، وانطلقت من هذا المنطلق لتبحث محتاجة عن صنع حالة ضغط نفسي على جميع المحايدين كي يصطفوا معها في احترابهم الأحمق!

من الخاسر؟ الأمر لم يعد يحتاج لذكاء كبير لإدراك فشل الثورة السورية وأن مسألة تقسيم سوريا بين أمريكا وروسيا قد تمت وانتهت وقضي الأمر وبقي فقط (إتمام التنفيذ) والقضاء على بعض الجيوب التي يقبع فيها تنظيم الدولة شرقا وجبهة النصرة غربا!

إن الخطأ الأفدح في هذه الأجواء القاتمة: أن ينجر مسلم واع إلى هذه المزايدات والتراشقات السياسية في حقيقتها الشرعية في واجهتها بالتكفير المتبادل! هذه حرب (إعلامية) بين الفريقين تستعمل بعض أقذر وألعن تكتيكات الحروب الإعلامية، والتي يجيء على رأسها وصم العدو بالكفر، لقطع أي رباط معه بصورة نهائية وشيطنته وجعله هو المطلوب الأول!

(ديسمبر 2016)

إن النموذج التفسيري والبنائي للمعاملة السياسية الإسلامية -بحسب رأيي ولا ألزم به أحدا- لابد أن يكون ثنائي الطبقة: طبقة واقعية سياسية Realpolitik مع الحركات الإسلامية والمجتمع الإسلامي، بحيث تفسر الوسط المحيط بها دون تشنج مثالي طوبوي وتتعامل بالجانب المهدئ من السياسية الواقعية، وطبقة مبدأية Idealistic مع غير المسلمين وغير الإسلاميين، تتعامل بالمبدأ الإسلامي في تنشئة العلاقات أو قطعها.

ليست الازدواجية في المعاملة نموذجا غريبا عن الإسلام الذي يجعل هناك هيئة للمعاملة مع المسلم مختلفة عن معاملة غير المسلم، وهي مشروحة باستفاضة تراثيا في أبواب الولاء والبراء، وفيها نرى كيف أن إثبات حق الإسلام لأحد يغلّب مبدأ التسامح وتفهم الدوافع البشرية الإنسانية مع محاولة إقامة تسوية معها، وكيف أن نزع الإسلام منه لا يغلب مبدأ التسامح بل يعلي من شأن النموذج المبدأي (الإسلام مقابل الكفر) فوق النموذج الواقعي (شر الإنسان مقابل شر الإنسان).

وأرى أن أحد أهم أسباب الفساد الفكري الشائع حاليا هو قلب هذا النموذج الإسلامي عند بعض جماعات العمل الإسلامي أو توحيده عند البعض الآخر (نموذج مبدأي بحت) أو (نموذج واقعي بحت).

لأضرب أمثلة:

الفكرالإخواني -الغنوشي بشكل أكثر تحديدا، وهو الأكثر رواجا في العصر الحالي لا المدرسة الإخوانية المصرية المتحفظة والمضطربة- هذا الفكر يتعامل بمقاربة واقعية/براجماتية مع العالم غير الإسلامي، ولكنه مع الإسلاميين تجده يرفع شعارات مبدأية ويتعامل بصورة مثالية، فقط مثاليته مبدأها صار الليبرالية لذا فهو لا يطيق أي فكر يناهضها بداخل الإسلاميين ويرفع شعار التعامل بالسياسة المبدأية المثالية معهم. نعم الواقعية يمكن أن تفسر ذلك أيضا بكفاءة لكني لن أخوض في هذا المسار الآن.

الفكر الجهادي ينقسم إلى نموذجين واضحين حاليا: النموذج الجهادي المفتوح وتمثله القاعدة، بتيارها العدلي (المقاومة العالمية من أجل العدل العالمي، النموذج المصعبي) وتيارها السلفي التقليدي (الجهاد الإسلامي من أجل التحرير الإسلامي لا غير، النموذج اللادني) - مقابل النموذج الجهادي العدائي ممثلا في الدولة الإسلامية بالعراق والشام، والتي نجحت بشمولية فكرها أن توحد التيار الداخلي ليصبح واحدا فقط (القتال الإسلامي النخبوي ضد المحيط الإقليمي والعالمي كله).

إن النموذج العدلي يتعامل بمقاربة واقعية مع المحيط الإسلامي ومقاربة ثورية مبدأية مع المحيط العالمي، متوسعا في جعل المقاومة الإسلامية جزءا من المقاومة العالمية. بينما النموذج اللادني لا يتوسع هذا التوسع الأول غير آبه بالعالم ومقاومة اليسار أو غيره من غير الإسلاميين، وهو مبدأي تماما في التعامل مع العالم وفيه درجة من الواقعية مع الإسلاميين الآخرين. بشر هذه الواقعية وخيرها! أما النموذج العدائي فهو مبدأي مع الجميع! إنه يضرب الجميع بشمولية لا ترحم ويقوم بعمل تصفية فكرية وجسدية إن أمكن لأي فكر إسلامي خارج عن منظومته ورؤيته للصراع. وقد فقد هذا النموذج العدائي الكثير من الفرص لتهدئة جبهات كان لابد أن تهدأ مبكرا بسبب إطلاقه شعارات إما المثالية المحضة وإما المفاصلة النهائية بالتكفير.. لا ليست مفاصلة وقتية، بل التكفير الذي يجعل المفاصلة ختامية والصراع أبدي لا يمكن أن يتوقف

لحظة؛ لأن توقفه يعني -ببساطة- أن القادة يتلاعبون بالدين، وهذه مخاطرة رهيبة لا يمكن أن يجازف بها تنظيم هش إعلاميا وأمنيا، هذه مخاطرة تحتاج لشمولية دولة قوية.

الخلاصة: أن ازدواج الطبقة التفسيرية والإنشائية، وعدم الحصر في نموذج واحد ومقاربة واحدة في العلاقات السياسية، مع تصدير الرؤية الواقعية المتفهمة للتفاعلات الداخلية الإسلامية-الإسلامية والتي تخفض من حميَّة الصراع مقابل تصدير الرؤية المبدأية الإسلامية أمام العدو أو الخصم غير الإسلامي -لاحظ أني لم أقل كل غير إسلامي- هو نموذج فيه توجيه للصراع إلى وجهته الصحيحة -ولابد من صراع-. كما أنه يساعد في عدم بعثرة الأولويات العملية والقتالية، وهي الفكرة التي ناقشتها قبلا عن العدو الأول والعدو الصانع والمصنوع.

الفصل الثامن: **توظيف الإسلاموطوبيا**

ليس أصعب على المرء من نقد الحركات الإسلامية العاملة، لقد أثبتت الأحداث أن الفراغ الذي يحدثه تغييبها عن المجتمعات الإسلامية لا يملأه أحد إلا التوحش أو التغريب الكامل، هذا في حال لم تتعرض المجتمعات لخطر وجودي مخيف مثل الخطر اليهودي أو حتى الشيعي مؤخرا بعد اعتمادهم استراتيجية (الإبادة السنية والإحلال الشيعي).

كما أنه من الحماقة تجاهل الأجواء التاريخية والاجتماعية والسياسية والعسكرية التي تعيش بداخلها الحركات. فمثلا تلك الأجواء العراقية والشامية التي يتعامل فيها الشيعة والنصيرية والروس بسعار وجنون لدرجة حرق الأطفال ودهسهم بالدبابات وسلخ الرجال والتفاخر بهذه المشاهد منذ عام 2011 في سوريا وقبله بكثير في العراق، إن تجاهل هذا مقابل تسليط الضوء فقط على ظاهرة شمولية تنظيم الدولة /هو رفاهية لا نمتلكها، والشعور برفاهية الاختيار هو السبب الأول في الوصول لحالة الجنون التي دعت المتأثرين بالصورة المختزلة التي ينقلها الإعلام لتمني الخلاص منهم بأي صورة والتحالف مع أمريكا والسكوت عن انهيار الفصائل المتأرغنة والمستعودة ودخولهم تحت أقدام القوتين العالميتين بعدما عادت روسيا للصراع. ألم نر هذا قبلا من رجال كانوا يدعون الله ليلا نهارا أن يخلصهم من حكم الإخوان المسلمين المميعين وروجوا كثيرا لوجوب التخلي عنهم فلما سقطوا من الحكم وجدناهم يتحالفون مع من يحارب دين الله جهرة!

إن المجتمع الإسلامي بدون الحركة الإسلامية -على كل أمراضها ومعايبها- تائه مستسلم للتغريب والزندقات. لقد لعبت الجماعات مزيجا من دور الأنسجة البينية التي تحفظ لحمة المجتمعات والجلد الواقي من ملايين الميكروبات.

إن أتفه ميكروب ممن يحجزهم الجلد قادر على أن يسبب دمارا كبيرا في أنسجة الجسم إن لم يجد أول طبقات المقاومة تلك التي لا ينتبه عامة الناس لخطورتها ولا يعلمون دورها المحوري في جهاز المناعة. كما أنه هو عضو الإحساس الأول بالأجسام الغريبة، بدونه فحتى الحرق قد لا تشعر به!

إن التيار الإسلامي يلعب دورا هاما في الأمة، وحتى الحركة السلفية العلموية التي اشتغلت في صرف هم الشباب عن القضايا الكبرى للأمة قامت قديما بتحويلها إلى دراسات معمقة للنصرانية والرافضية ووجهتهم لمجابهة التنصير والتشيع فلعبوا دورا كبيرا في وقف الزحف التدميري حينها. ولعبت المدرسة النقدية دورا في زيادة ثراء الزاد الفكري للحركة في التعرف على مناهج جديدة لرؤية الصراع الدولي وتطور الدول المعاصرة وسمات العلمانية المعقدة. في حين زودت اللبرلة المجتمع الحركي الإسلامي بتراث كبير أنهى تماما فكرة أن الدولة الإسلامية استبدادية ولابد ولا يمكن أن تجري فيها انتخابات، منهية حصار الدائرة التراثية في مفاهيم أهل الحل والعقد، كذا سلط الضوء على خطورة مفاهيم العنصرية وامتداداتها المؤسفة مكانيا وزمانيا.

نعم، الشر الذي في أغلب المناهج والحركات المذكورة لا ننفيه، وما هذا الكتاب من أوله لآخره إلا عرض موجز لبعض ملامح هذا الخبَث المدمر الذي يودي بالكثيرين إلى الانحراف الكلي والمهالك؛ لكن لا يوجد خبث خالص ولا شر خالص؛ هناك خير في كل منهج ولابد أن يقوم طلبة العلم وأهله والمفكرون بعرضه وإبرازه وفصله بدقة عن المحتوى الخبيث المنتن مهما قل هذا الخير فقد يكون مميزا ويضر تجاهله. لابد أن يكون هذا هو أحد أدوارهم الرئيسية وجزءا من منظومة حسبة ذاتية يسأل المرء فيها الإخلاص لله سبحانه وتعالى القائل: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

إنني لا أدعو ها هنا لبقاء الانحرافات التي تموج بها الحركات الإسلامية؛ فالكثرة الكاثرة ليست خيرا إن لم تكن عاملة بخير؛ بل أدعو لأن تكون الحركة الإسلامية نفسها مجالا للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن كل منكر شرعي وفكري وثقافي! أدعو لمجابهتها ولفظ الدعوة الدائمة (لتدمير) الآخر بداخل الحركة ما دام هناك عجز عن إحلال أصحاب الحق مكانه، التعامل بواقعية في هذه الأمور هو المطلوب. لقد رأينا في سوريا كيف آمن كل طرف بضرورة تفريغ الأرض من الباطل والضلال (الخارجي/المرتد) فتفرغت الأرض من كليهما ومن أهل السنة وبقي أكفر الناس! لم يقتنع كل طرف بصناعة سقف للمواجهة لا ينبغي تعديه: المواجهة الشرعية والفكرية؛ بل بدا كما لو أن المواجهة الشرعية والفكرية تابعة للصراع على الأرض لا العكس! فالتكفير والخورجة ما ظهرا بصورة عامة للجميع إلا بعد أشهر من الاقتتال أما قبلها فلم يكن هذا ولا ذاك يصفان بعضهما البعض بهذه الصفات الإبادية!

كما أنني عرضت في هذا الكتاب كثيرا من ملامح التوظيف الخارجي للإسلاموطوبيات المختلفة: تخذيلا وإرجافا للمؤمنين وهدما للحركة الإسلامية وتحريفا لها واستغلالا لأدلجاتها من أجل استخدامها أداة لضرب الحركات والتنظيمات الأخرى المنافسة. ورأينا كيف يمكن بإسلاموطوبيا اللبرلة أو النقدوية والمركسة أن يقوموا بتغييب البعد العقدي عن الصراع من الأساس! وكيف يمكن أن تشتط النقدوية لتصل إلى حالة يصبح معها المرء عدوا للإسلامي الآخر وصديقا للكافرين والمتزندقة بدعوى الاشتراك الإنساني في القضايا الاجتماعية والسياسية، وتصبح وظيفتها هي النقد الهدام لكل رؤية إسلامية. كما رأينا من ملامح التوظيف الداخلي للإسلاموطوبيات صناعة التنظيمات الشمولية المؤمنة بضرورة تدمير الحركة الإسلامية كلها وصناعة الأنساق المغلقة التي تنفي الآخر وتدمر الحركة الفكرية والثقافية والعلمية أو تحتكرها.

وفي النهاية، لابد من التنبيه أن النماذج الكبرى المعروضة ها هنا ليست مجموعة من الصناديق المغلقة: بمعنى أن هناك أشخاص يحملون سمات عدة إسلاموطوبيات مختلفة بل ومتضاربة أحيانا. هناك متلبرلة ومع ذلك عندهم مركزية كبيرة للتأريخ التبريري الإسلاموطوبوي في أفكارهم. وهناك أناس يعملون في الأنساق السلفية الطوبوية وهم أجزاء منها ومع ذلك يناصرون الجهاد ولهم مواقف مشرفة توضح أنهم لا يعملون بصورة واعية داخل هذا النسق. وهناك من يساهم في حركة إسلاموطوبيا التنسون مساهمة خفيفة غير فاعلة ولا يدرك الصورة الكبرى للأمر. وهناك جماعات يمكن تصنيفها بسهولة تحت نمطين متناقضين في بعض الأحيان! النماذج الإنسانية أكثر من أن يتم حصرها وجعل هذه الطوبويات المختلفة جامعة مانعة.

الختام

جنس الملائكة

ما جنس الملائكة؟ هل الملائكة ذكور أم إناث؟!

لا تستخف بإجابة هذا السؤال؛ فسيترتب عليها الكثير. ولا يجادل إلا جاهل في أهمية زيادة معرفتنا بأولئك الذين وكلهم الله بمراقبتنا وكتابة أعمالنا، إن الملائكة لهم مهام ضخمة وهائلة في سيرورة هذا الكون. لدينا أدلة مختلفة قد تتضارب مستخرجة من الكتب المسيحية المقدسة على أن الملائكة ذكور؛ فمنها ما جاء في سفر الرؤيا **"ثم خرج ملاك آخر من الهيكل الذي في السماء، معه أيضا منجل حاد"** والعديد من النصوص الأخرى؛ لكن المعارضين يستدلون بما ورد في سفر زكريا حيث ظهرت ملائكة إناث: **"ورفعت عيني ونظرت وإذا بامرأتين خرجتا والريح في أجنحتهما ولهما أجنحة كأجنحة اللقلق؛ فرفعتا الأيفة بين الارض والسماء"**. إن الأهمية الكبيرة لهذا السؤال قد توضح طبيعة الروح، فالملائكة المفترض أنهم أرواح بلا جسد، وبالتالي فلا يوجد معنى للتقسيم، إذن هي بلا جنس. لكن ماذا عن النصوص التي تؤكد أنهم ذكور؟! نعم ذكور فقط لأن النص الذي ورد في سفر زكريا جاء في سياق حلم لا حقيقة. بالتالي فالاحتجاج به ضعيف جدا. لكن لماذا ذكور فقط بينما هم بلا جنس فعلا؟! أليسوا أرواح؟!

هذا النقاش عظيم جدا كما ترى، وهو من الأهمية بمكان لدرجة أن تتصدع عقول الطبقة المثقفة واللاهوتية وتبح أصواتهم جدالا فيه؛ بينما محمد الفاتح بجيش يقارب الربع مليون جندي يحيط بالقسطنطينية ويوشك على واحد من أكبر التغييرات في تاريخ أوروبا والعالم كله: إسقاط القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية المسيحية. تسقط في أيدي من؟! المسلمين بالذات! هل أخرجت أوروبا الخنجر الأندلسي من قلبها ليكافئها الله بالسيف العثماني في ظهرها؟! أيكون هذا هو المصير بعد الاجتياحات الصليبية الهائلة في قلب المسلمين قبل قرون قليلة؟

لكن للقسطنطينية رب يحميها! وستظل المسيحية للأبد! فليبك الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر كما يشاء وليصرخ فينا حتى يموت بأيدي العثمانيين، إنه رجل سياسة فليتدبر أمره، أما العلماء والمثقفون نخبة المجتمع فعليهم التفكر في تلك الأمور الكبيرة. إن الآراء كثيرة وخطيرة وأنت لم تر منها في ذلك الموجز بالأعلى إلا سطح السطح! تصور أن هذا المتزندق هرع إلى الكنيسة الكاثوليكية يطلب مساندتهم كالعادة البيزنطية الإمبراطورية الخرقاء! هؤلاء المسيحيون اللاتين المهرطقون! سيقول نوتاراس رئيس وزراء بيزنطة باشمئزاز: إنني أفضل أن أشاهد في ديار البيزنطيين عمامة الأتراك على أن أشاهد القبعة اللاتينية! هذه من اللحظات التاريخية الحاسمة التي يجب علينا فيها كمسيحيين ألا نتوحد!

فلنترك هؤلاء النخبة يتجادلون، مع تقديرنا لأهمية المسألة الكبيرة جدا، ولا نحزن كثيرا لحال قسطنطين، فسيقوم اليونانيون بتصويره بعد موته على أنه الإمبراطور الرخامي المقدس الذي سيبعث من موته ليهزم العثمانيين المسلمين ويطردهم من القسطنطينية. سيفوز الإمبراطور بشيء ما بالرغم من كل هذا! فلنتركهم يتجادلون بينما التاريخ كله يتغير؛ ولنحمد الله أن مسائلهم ومعارفهم الكبرى شغلتهم عن الفاتح!

***

لقد أخذنا جولة في الداخل الإسلامي خلال صفحات هذا الكتاب، رأينا المناهج الكثيرة ورأينا الأفكار العديدة، رأينا المتناقض والمتضارب والأصيل والوارد. إن الحركة الإسلامية أكثر ثراء من الناحية الفكرية مما يردد السطحيون أو الكارهون؛ لكنه ثراء فكري أغلبه بيزنطي! يشتت الجهود ويشيد أبنية طوبوية وهمية يسعى إليها بلا لحظة تردد! من يسلك السبيل الصحيح يدمر كل من يمشي بجواره ومن لا يرضى بهذا الطريق يلعن كل الماضين فيه!

***

قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشهير: (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأَكَلة إلى قصعتها؛ فقال قائل: ومِن قلة نحن يومئذ؟ قال :بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل).

لقد تحدثت في محاجات المعوقين عن أهمية هذا الحديث في تبيان مفهوم (الوهن) وأثره، لكني هنا أعرضه لشأن آخر: لمناقشة الكثرة!

إن كثرة الأمة مطلوبة لا شك، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القائل: (تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم). فليست الكثرة هي الخطأ الذي استلزم التوصيف بغثاء السيل؛ إنما الخطأ هو التكاثر في الطريق الخاطئ. التكاثر المعوِّق المعطِّل عن دفع الأذى عن الأمة؛ والمهاجم للعاملين على دفع الأمم الأخرى. هذا حديث عظيم في التفرقة بين الكثرة الممدوحة والكثرة المذمومة، فهل كثرة الآراء تدخل في هذا الباب كذلك؟ نعم ولا! ليس دائما! وكم كثرت الآراء في الفقه وأصوله ولم يعتبر عاقل أن ذلك دلالة ضعف، بل كانت كثرة التنوع واختلاف الأفهام قوة لأنها تصب في طريق واحد هو توسعة سبيل الشريعة وملاءمتها للمواقف المختلفة، وقد تحدثت في الفصل الأخير عن فوائد تلك الحركة الفكرية. لكن الكثرة التي تنقض بعضها البعض وتخرب الطريق القدري للأمة الإسلامية، فلا يمكن أبدا أن تكون على حق وصواب، وستظل رغم ثرائها ليست أكثر من غثاء حتى يأذن الله فتندحر.

إنني لا أقول في هذا الكتاب أن كل المناهج ساقطة أولا عن آخر، بل فيها منافع كبيرة غيابها عن العقل الإسلامي ضار في معركة تحتاج لكل معرفة ممكنة عن الواقع والعدو. الليبرالية الديمقراطية فيها فوائد والنقدية فيها فوائد والماركسية فيها فوائد، والله سبحانه وتعالى جعل ساحة الأفكار والنظريات السياسية أوسع من ساحة العقيدة أو الفقه؛ لكنها ساحة ملغومة خطيرة جدا، لا تحتمل العبث!

وكل منهج سياسي واجتماعي أنتج في غير الوسط الإسلامي وفي القرون الغربية الأخيرة تحديدا له معايبه التي يدركها الغربيون أنفسهم قبل غيرهم، فإن تعاملت دون حذر انفجرت ألغام الساحة المعرفية في عقلك محرفة إياك عن الطريق السليم. وللمسلمين تجربة تاريخية كبيرة مؤسفة في ذلك مع المنهج الفلسفي الأنطولوجي الذي أُخذ بانبهار دون تريث وتعمق في فصل الصالح عن الطالح فخرج من تحت عباءته المعتزلة والفلاسفة! هذه المناهج يمكنها أن (تضيف) إلى المركز المعرفي الإسلامي مناهج وطرائق جديدة للعمل؛ لكن الخطورة أن يأخذها الآخذ كلها كما هي أو بتعديلات خرقاء؛ فتؤدلجه وتحرفه عن المسار لتجعله أحد المعوِّقين المنفرين عن سبيل الحق بلا وعي. وفي الكتاب تكلمت عن آثار داخلية كذلك مثل الشمولية فيها خطورة قد تفوق المناهج الغربية في الساحة العملية: أفكار إبادة كل رأي آخر!

..

..

فليكن! سأصارحكم بشيء!

إنني أكتب هذه الخاتمة وفي قلبي غصة وانكسار مما ستقرأونه فيما بعد بلا مبالاة كحدث تاريخي عادي! إن الموصل تباد الآن بطائرات أمريكية بعدما فشل خراف الشيعة في الاقتحام البري. حلب سقطت منذ أسابيع قليلة بلعبة خسيسة حقيرة من (أصدقاء سوريا)! أنا أعلم والله كل ما كتبته وكل ما أومن به، أعلم أن هذه مرحلة انكسار كنت أتوقعها حتى في عز الانتصار ورفع الرايات الخفاقات بلا إله إلا الله في أعز أماكن مصر وسوريا والعراق. أعلم أنهم يألمون كما نألم ولا يرجون من الله ما نرجوا. أعلم. لكن عيني أرق من عقلي! أنا لا أستطيع أن أتحمل رؤية هذا العلو لأعداء الله، حتى لو كنت أثق أن غدا أو بعد غد أو حتى بعد عقد أو مئة عقد لن نحضره، سترجع الكرة عليهم؛ لأن هذا هو التاريخ المعتاد وسنن الله في كونه. لكن المشهد أكبر من أن يتم التعامل معه ببرود التنظير! المشهد فيه بحور من دماء المسلمين وإلف لمشاهد انتهاك الأعراض وخداع وراء خداع وصراع وراء صراع وألم وراء ألم! المشهد فيه فقدان للأطهار كي يبقى الأوغاد وينتفش باطلهم وتغييب لأنضج العقول كي يفسدها مرور السنين في السجون مقابل إفساح الطريق لأسخف العقول كي تتسلط وتنشر باطلها. المشهد فيه انسحاب هائل واستعلاء رهيب لكل المجرمين. هذا أثقل من أن يبقى في مقلتي! هذا أثقل من أن تتحمله روحي! هذا ألعن من أن أتصوره وإن كنت أعلم أن من واجبي أن أتصوره مبكرا! لكن هذه الدماء، هذه الكلمات الحاقدة الساخرة المستهزئة من الإسلام والنبي والمسلمين، هذه الحشود السوداء الوضيعة الحاقدة التي رضيت بأن تكون حمير جر من المنظومة العالمية طمعا في إمبراطورية صفوية جديدة لا أشك لحظة أنهم سيدمرونها كما صنعوها! هذا السب للصحابة وهذا الجنون الشيعي! المشهد أكثر جنونا من أن يتحمله عاقل؛ لكن ماذا معي غير كلماتي؟! إنني أرجوا الله أن تكون يوما مما ينكل تنكيلا كبيرا في حشود الإجرام الحقيرة تلك. لا أريدها أن تنسب لي حتى. أريدها فقط أن تؤذيهم. تؤذيهم كثيرا. أن تحشد ضدهم كل من دُفِعت الأموال ونُصِبت القنوات والمنابر لتغييبهم وجعلهم كثرة الغثاء. أتمنى أن تعذبهم كلماتي يوما. أن يعلموا أن (التطور الإنساني) واليوتوبيات التي يحلمون بها سيدمرها لهم المسلمون دائما وسيكونون عند ظنهم دائما: العقبة الكبرى أمام مخططاتهم! أن يعلموا أن تراجع أسنة الرماح يعني شيوع أسنة الأقلام تنظيرا لما هو أنكى، وأن كسر الأقلام يعني صعود السنان من جديد. أن يظلوا في حيرتهم تلك مع هذا الدين: متى حاربوه اشتد ومتى تركوه امتد. نعم الحرب مؤلمة، هي أكثر هولا من أن يتم وصفها. ولحظات التنكيل بالمسلمين أكثر هولا من أن يتم الحديث عنها. لكن نسأل الله الصبر والقوة وسلامة العقل. لن أسأله جبر كسر القلب فلا جابر له طالما ظلت أنهار الدماء تجري. لكنه قدرنا.. قدر هذه البشرية كلها لا قدر أمتنا فقط. إننا لسنا (جنس الملائكة) الذي كلفه الله بمجاهدة الشيطان وأوليائه، لكننا من جنس البشر. بكل معايبهم وسقطاتهم وثغراتهم.

وأختم سائلا المولى أن يعيد للكثرة قوتها وينزع عنها الضعف والوهن بالتسديد والتوجيه إلى الطريق القويم والتخليص من شرار المعوِّقين والسفاحين، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

يناير 2017

المصادر والمراجع

إبراهيم الحيدري -النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب. ط: دار الساقي.
آلن هاو -النظرية النقدية. ت: ثائر ديب، ط: المركز القومي للترجمة.
أماني الطويل -العلاقات المصرية السودانية جذور المشكلات وتحديات المصالح. ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
أندرو هيوود –النظرية السياسية مقدمة. ت: لبنى الريدي، ط: المركز القومي للترجمة.
أوليفيه روا –عولمة الإسلام. ت: لارا معلوف، ط: دار الساقي.
حنة أرندت -أسس التوتاليتارية. ت: أنطوان أبو زيد، ط: دار الساقي.
حنة أرندت –ما السياسة؟. ت: زهير الخويلدي وسلمى الحاج مبروك، ط: ضفاف.
دارن بارني –المجتمع الشبكي. ت: أنور الجمعاوي، ط: ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
دانيال غيران –الأناركية من النظرية إلى التطبيق. ت: عومرية سلطاني، ط: تنوير.
ديفيد باتريك هوتون –علم النفس السياسي. ت: ياسمين حداد. – ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
روبير مانتران -تاريخ الدولة العثمانية. ت: بشير السباعي، ط: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
ستيفن لو -الإنسانوية مقدمة قصيرة جدا. ت: ضياء وراد، ط: مؤسسة هنداوي.
سيار الجميل -العثمنة الجديدة. ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
عبد الله العروي -مفهوم الأيدولوجيا. ط: المركز الثقافي العربي.
عزمي بشارة -المجتمع المدني. ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
عقيل سعيد محفوض -السياسة الخارجية التركية. ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
علي عبود المحمداوي –الفلسفة السياسية. ط: ضفاف.
فاطمة الصمادي –التيارات السياسية في إيران. ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
كارل مانهايم -الأيدولوجيا واليوتوبيا. ت: محمد رجاء الديريني، ط: شركة المكتبات الكويتية.
كلود ليفي شتراوس -العرق والتاريخ. ت: سليم حداد، ط: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
لوي ألتوسير -مونتسكيو السياسة والتاريخ. ت: نادر ذكري، ط: التنوير.
ماكس فيبر –مفاهيم أساسية في علم الاجتماع. ت: صلاح هلال، ط: المركز القومي للترجمة.
مجموعة -اليوتوبيا والفلسفة: الواقع اللامتحقق وسعادات التحقق. ط: ضفاف.
مجموعة -نظريات العلاقات الدولية. ت: محمد صفار، ط: المركز القومي للترجمة.
مصطفى حجازي –علم النفس والعولمة. ط: المركز الثقافي العربي.
ميل تشيرتون وآن براون - علم الاجتماع النظرية والمنهج. ت: هناء الجوهري، ط: المركز القومي للترجمة.
الهادي التيمومي -المدراس التاريخية الحديثة. ط: التنوير.
وجيه كوثراني -تاريخ التأريخ. ط: ط: المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
يوسف كرم -تاريخ الفلسفة الحديثة. ط: دار العلم العربي.